

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

كلية الآداب والحضارة الإسلامية

قسم اللغة العربية



جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

– قسنطينة –

الرقم التسلسلي:

رقم التسجيل:

الخطاب القرآني بين سياق التنزيل والسياق اللغوي – دراسة تطبيقية في السور المكية في الربع الثاني من القرآن الكريم –

أطروحة مقدمة لنيل درجة دكتوراه العلوم

في الدراسات البلاغية

إشراف الأستاذة الدكتورة:

ذهبية بورويس

إعداد الطالبة:

سهام صياد

أعضاء لجنة المناقشة

الاسم واللقب	الرتبة	الجامعة الرئيسية	الصفة
أ.د. رابع دوب	أستاذ	جامعة الأمير عبد القادر – قسنطينة	رئيسا
أ.د. ذهبية بورويس	أستاذة	جامعة الأمير عبد القادر – قسنطينة	مشرفا
أ.د. صالح خديش	أستاذ	جامعة عباس لغرور – خنشلة	عضوا
د. عبد الناصر بن طناش	أستاذ محاضر أ	جامعة الأمير عبد القادر – قسنطينة	عضوا
د. خالد هدنة	أستاذ محاضر أ	جامعة لمين دباغين – سطيف	عضوا
د. وردة مسيلي	أستاذ محاضر أ	المركز الجامعي – ميلة	عضوا

السنة الجامعية 1437هـ – 1438هـ / 2016م – 2017م.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

جامعة الأمير

العلوم الإسلامية

شكر وتقدير

ثنائي العطر وشكري الجزيل لأستاذتي المشرفة، الأستاذة الدكتورة:
"ذهبية بورويس" على توجيهاتها القيمة المفيدة، مما كان له أجمل الآثار
الحميدة.

و الشكر موصول أيضا لكل موظفي مكتبة الدكتور: أحمد عروة،
ومكتبة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، ومكتبة الشيوخ، وقسم الدوريات،
فجزاهم الله عني كريم الجزاء.

المفصلة

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

يُعدّ النص القرآني محورا رئيسا عند علماء اللغة، حين عُنوا بشرحه وتفسيره ورسمه وضبطه بالحركات، وكانت مدارستهم له من معطيات حفظه، مصداقا لقوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: 09]، لقد أدركوا أن هذا تكليف من الله بالحفاظ على هذا الكتاب المقدس، ومن هنا اقتضت طبيعة البحث في النص القرآني أن يركز على الجانب الدلالي وذلك بالكشف عن معاني كلماته وجمله لتيسير فهمه.

وتشير الدراسات اللغوية إلى أسبقية الدراسات المعجمية والدلالية على الدراسات النحوية، التي كان رائدها الأول الرسول ﷺ؛ فقد كان يرجع إليه الصحابة في تفسير الكلمات الصعبة، ومن بعده ﷺ نجد الصحابي عبد الله بن العباس، الذي دعا له الرسول ﷺ بالفقه في الدين والعلم بالتأويل.

وبعد فتح بلاد الأعاجم كان واجبا على المسلمين الحفاظ على القرآن الكريم، من اللحن والخطأ في قراءته، فنشأت الدراسات النحوية على يد أبي الأسود الدؤلي، لكن هذا لم يمنع مرة أخرى من ظهور الدراسات الدلالية المتمثلة في جمع اللغة وإعداد الرسائل اللغوية ذات الموضوع الواحد، وبعد ذلك المعاجم الموضوعية التي تمثل مستوى من مستويات التحليل.

ومن بين الموضوعات التي تناولها علماء اللغة بالدرس والتحليل موضوع السياق اللغوي وغير اللغوي، ففي الوقت الذي كانت فيه طائفة تدعو للنظر إلى الكلمة في سياقها اللغوي، كانت طائفة أخرى تدعو إلى تحكيم الظروف والملابسات الخارجية التي تحيط بالموقف المقالي، ومن هنا نشأت فكرتا سياق الحال "المقام" وسياق التنزيل، وقال علماء البلاغة قديما "إن لكل مقام مقال" و"لكل كلمة مع صاحبها مقام".

وصورة المقام في نظر البلاغيين تختلف بحسب المقام الاجتماعي الذي يُمثل جملة الظروف الخارجية والملابسة للنشاط اللغوي، وصورة المقال تختلف من مقام إلى لآخر، فلكل مقام أسلوبه الخاص، كما أن تراكيبه قائمة على ارتباط النحو بالمعاني في شكل جمل لها معنى محدد في ذاتها.

ويعدّ الجاحظ من أوائل اللغويين الذين خصصوا أبوابا في كتبهم للحديث عن السياق المقامي، وتبعه بعد ذلك ابن جني في كتابه الخصائص، كما تعرض عبد القاهر الجرجاني لهذا النوع من السياقات أثناء توجيه المعاني النحوية، وهو ما يسمى بنظرية النظم.

وقد عرفت الدراسات القرآنية التي لها علاقة بعلوم القرآن السياق اللغوي، الذي حاولت ربطه بسياق التنزيل، مما يدفعنا إلى تجاوز النظر إلى الكلمة في النص القرآني من ناحية النظم أو علاقتها

بالكلمات الأخرى داخل التركيب، وإنما هناك جانب خفي يتحكم في النص القرآني، متمثلاً في سياق التنزيل والسياق اللغوي.

وفي هذا الإطار تأتي هذه الدراسة محاولة للكشف عن أسرار أسلوب الخطاب القرآني، في هذا الموضوع الموسوم: الخطاب القرآني بين سياق التنزيل والسياق اللغوي: دراسة تطبيقية في السور المكية في الربع الثاني من القرآن الكريم.

-الإشكالية:

يحتاج دارس القرآن الكريم إلى معرفة مكان النزول وزمانه، لأن القرآن الذي نزل بمكة يختلف عن القرآن الذي نزل بالمدينة المنورة من حيث المحتوى وطرائق الأسلوب، وظروف البيئة المحيطة، وطبيعة المخاطبين، ومنه عُدَّت أسباب النزول أهم طرق الخطاب لأنها تعالج الوقائع والأحداث الحاصلة في المجتمع، كاشفة عن ظروف التنزيل ومناسبة النص للواقع وما يقتضيه، وانطلاقاً مما سبق تُطرح الإشكالية الآتية:

-هل يتوافق سياق التنزيل " أسباب النزول" في السور المكية مع السياق اللغوي؟ وهل سبب النزول كافٍ لوحده للوصول إلى المعنى دون الرجوع إلى هذا السياق؟.

ويندرج تحت هذه الإشكالية تساؤلات فرعية أخرى:

-هل يتطابق السياق اللغوي مع سياق الحال "المقام"؟.

-هل أسباب النزول كافية لتشكيل السياق اللغوي بغرض الوصول إلى دلالة الخطاب القرآني؟.

-هل يمكن التوصل إلى المعنى بواسطة السياق اللغوي فقط؟.

-هل يمكن استثمار سياق التنزيل في قراءة جديدة للنص القرآني بما يؤسس لقضايا كثيرة في المنجز اللغوي والتفسيري؟.

-أهمية الموضوع:

تكمن أهمية مثل هذه الدراسات فيما يأتي:

_ التركيز على الوحدة الدلالية في السور المكية من حيث مواضيعها المكونة لبنيتها الخطابية.

-التركيز على خطاب السور المكية لأنه متعلق بمرحلة هامة من مراحل الدعوة الإسلامية، وهي مرحلة ما بعد الهجرة وما رافقها من إنشاء دولة الإسلام، وارتباطها بمعطيات اجتماعية وثقافية واضحة، صحبتها مجموعة متغيرات على أكثر من صعيد، نستطيع أن نلمح معالمها داخل النص القرآني نفسه.

- إضاءة بعض معالم التكيف اللغوي في الخطاب القرآني مع معطيات السياق المختلفة، بدءاً من النص ووصولاً إلى السياق.

- الأهداف:

- كشف ملامح السياق في كتب الدراسات اللغوية القديمة وتطبيقاتها في تفسير القرآن الكريم.
- تأكيد أن السياق المقامي هو أحد أبرز آليات فهم النص القرآني.
- إبراز كيفية ارتباط النص بالسياق في القرآن الكريم، بالإفادة من التراث الضخم الذي تركه علماء البلاغة والمفسرين.
- تأكيد أن علوم اللغة من نحو وبلاغة وتفسير وعلوم للقرآن كل متكامل يخدم النص القرآني.

- أسباب اختيار الموضوع:

- اختيار السور المكية لما فيها من وحدة الموضوع في الحديث عن العقيدة، وأيضاً لوحدة مكان نزولها وزمانها؛ فهما من عناصر السياق المحيطة بالنص، ولما فيها من قصص وأحداث وعبر، ولأن أغلبها تمثل خطاباً بين الرسول ﷺ والكافرين والمنافقين، وهذا الخطاب يطلب صيغاً وأساليب لغوية موفورة الدليل والحجة.
- الوقوف على أشكال العلاقة المختلفة بين سياق التنزيل والسياق الحالي، أو العلاقة من جهة اللفظ بين اللفظ والسياق اللغوي في النظم القرآني، من حيث المعنى المعجمي والوظيفي والصرفي والنحوي، أو من جهة السياق من حيث مدلوله أو نسقه أو تركيب الجملة فيه.
- البحث عن وسائل جديدة من شأنها تدبر الخطاب القرآني، واستجلاء مكنوناته الإعجازية.
- الرغبة في التعمق أثناء دراسة القرآن الكريم ومعانيه، والتعرف على بعض أسرار إعجازه.

- الدراسات السابقة للموضوع:

إن أقرب الأبحاث اتصالاً بموضوع هذه الدراسة، هي التي بحثت في مجال الخطاب القرآني، واهتمت بالسياق اللغوي، وتختلف هذه الدراسة عن سابقتها، كونها تركز على علاقة سياق التنزيل بالسياق اللغوي في السور المكية، ومن الدراسات السابقة نجد:

- كتاب: الخطاب القرآني دراسة في العلاقة بين النص والسياق " مثل من سورة البقرة "، لخلود العموش؛ حيث تناولت السياق اللغوي وفروعه من حذف الجملة، والتقديم والتأخير، والعطف،

والتعريف والتكبير... إلخ، لكن هذه القضايا اللغوية، لم يتم ربطها لا بالسياق الخارجي ولا بأسباب النزول.

- كتاب: المناسبة في القرآن: دراسة لغوية أسلوبية للعلاقة بين اللفظ والسياق اللغوي لمصطفى شعبان عبد الحميد، الذي تناول المناسبة بين الأفعال والسياق اللغوي، والمناسبة بين معنى اللفظ المعجمي والسياق اللغوي، والمناسبة بين معنى اللفظ الوظيفي والسياق اللغوي، وكان تركيز على الجانب اللغوي فيها، دون ربطها بأسباب النزول.

- كتاب: أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية لحسن طبل، وكتاب: الإعجاز البلاغي في الخطاب القرآني " الالتفات أمودجا " لمارن موفق صديق الخيرو، حيث قام المؤلفان برصد الظواهر التي لها علاقة بالالتفات من: صيغ، وأفعال، وأساليب، كما تناولوا أيضاً الالتفات العددي، إلا أنهما لم يقوموا بربطها بأسباب النزول ولم يشارا إلى ذلك.

ومن البحوث الأكاديمية الجامعية رسالة الماجستير: الالتفات في القرآن الكريم إلى آخر سورة الكهف، لخديجة محمد أحمد البناني، حيث قامت الباحثة برصد جميع صور الالتفات وربطها بالجانب اللغوي.

وما يلاحظ أيضا على هذه المؤلفات أنها أسهبت في الحديث عن السياق اللغوي، ونادرا ما نجد حديثا عن السياق الحالي أو سياق التنزيل.

- المنهج المتبع في الدراسة:

تتطلب مثل هذه الدراسات مناهج عديدة للوصول إلى نتائج دقيقة، وخاصة ونحن نتعامل مع النص القرآني.

- الاستعانة بالمنهج الوصفي: حيث يتمثل الوصف في تحديد العلاقة بين أسباب النزول أو السياق الاجتماعي والسياق اللغوي، ودراسة أحوال المخاطبين النفسية والاجتماعية الواردة في السور المكية على وجه الخصوص مع تحليل هذه القضايا بإبراز دور السياق في الخطاب القرآني، ودور أسباب النزول في تحديد المعنى المطلوب، عن طريق إحصاء مختلف الظواهر اللغوية الموجودة في الدراسة.

- المنهج التاريخي يسمح بتتبع ظاهرة السياق عند القدماء والمحدثين، وعند ذكر سبب نزول الآيات.

- المصادر والمراجع المعتمدة في البحث:

- اقتضت الأطروحة أن تتشكل تأسيسياً من مادة موزعة على مصادر تراثية ومراجع قديمة

وحديثة، ومن الكتب التراثية نجد:

- كتاب البيان والتبيين للجاحظ.
 - الخصائص لابن جني.
 - مفتاح العلوم للسكاكي.
 - المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر لابن الأثير.
- ومن كتب علوم القرآن:

- البرهان في علوم القرآن لبدر الدين الزركشي.
- الإتقان في علوم القرآن لجلال الدين السيوطي.

ومن كتب التفسير:

- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل للزمخشري.
- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني للألوسي.
- التحرير والتنوير للطاهر ابن عاشور.

ومن المراجع:

- البيان في روائع القرآن: دراسة لغوية وأسلوبية للنص القرآني لتمام حسان.
- بلاغة التقديم والتأخير في القرآن الكريم لعلي أبو القاسم عون.
- التغيرات السياقية في القرآن الكريم لحازم ذنون إسماعيل السبعاوي.
- علاقة الظواهر النحوية بالمعنى في القرآن الكريم لمحمد أحمد خضير.
- علوم القرآن لنور الدين عتر.

-خطة البحث:

تمت معالجة هذا الموضوع وفق خطة توزعت على مدخل وثلاثة فصول، مع ذكر أسباب نزول الآيات إن وجدت.

فالمدخل تناولت فيه قراءة في المصطلحات الموجهة للموضوع وهي السياق عموماً، السياق اللغوي، أسباب النزول ، عناصر الخطاب ، خصائص القرآن المكي ، المناسبة ، وترتيب السور .

والفصل الأول سعت فيه للحديث عن أثر دلالة السياق في التراكيب النحوية، الذي تضمن ثلاثة مباحث، الأول: أثر دلالة السياق في التقديم والتأخير، والثاني: أثر الحذف في دلالة السياق، والثالث: أثر دلالة السياق في تعيين نوع الجمل.

والفصل الثاني كان للحديث عن اتساع دلالة السياق في الخطاب القرآني، حيث تضمن ثلاثة مباحث، الأول: تنوع الصيغ في الخطاب القرآني وعلاقته بالسياق، والثاني: أثر دلالة السياق في إظهار تناسب الآيات وترابطها، أما المبحث الثالث فتطرق فيه إلى المناسبة الصوتية لسياق الكلام وأثرها في بيان المعنى، الذي احتوى عناصر لها علاقة بالمناسبة.

والفصل الثالث حُصِّص للحديث عن ظاهرة الالتفات في الخطاب القرآني الذي جاء في ثلاثة مباحث تناولت الظاهرة بالتفصيل؛ ففي المبحث الأول كان حديثاً عن الالتفات من الغيبة إلى الخطاب، والالتفات من الخطاب إلى الغيبة، أما المبحث الثاني: الالتفات من الغيبة إلى التكلم، والالتفات من التكلم إلى الغيبة، والمبحث الثالث تطرقت فيه إلى الالتفات من التكلم إلى الخطاب، والالتفات من الخطاب إلى التكلم.

وفي الأخير ختمت هذه الدراسة بخاتمة تناولت فيها أهم النتائج المتوصل إليها. ولا أدعي أنني بلغت بالبحث درجة الكمال، ولكن بذلت جهداً من أجل أن يكون ثمرة طيبة، وإن لم ينضجها البحث والتنقيب فأملني أن ينضجها التوجيه والتعقيب. وإذا كان من تمام الواجب شكر ذوي الفضل فإنني أتقدم بالشكر الجزيل والعرفان لأستاذتي المشرفة الأستاذة الدكتورة: **ذهبية بورويس** التي لم تتوان في تقديم ملاحظات موجهة للبحث ، فجزاها الله خير الجزاء على نصحتها، وعلى صبرها طيلة سنوات البحث. والشكر موصول أيضاً للجنة المناقشة، التي سهرت على قراءة العمل وتنقيحه وتهذيبه وتصويب أخطائه، حتى يكون في المستوى المطلوب.

والحمد لله رب العالمين.

المدخل:
المصطلحات الموجبة
لمضاهين البحث.

كان للقرآن الكريم أثر كبير في نشأة كثير من العلوم، وفي مقدمتها التفسير وأسباب النزول والقراءات وإعجاز القرآن...، وما له صلة بعلوم اللغة والنحو والبلاغة وغيرها، وقد نهلنا هذه العلوم من معينه، وغلب على أكثرها الجانب التطبيقي الوصفي؛ إذ كانت ترمي إلى فهمه واستنباط أحكامه، واقتضى ذلك أن تتوفر في أهل الاختصاص الرؤية الشاملة له، تتم فيها مراعاة السياق اللغوي والسياق الحالي، ففسروا القرآن بالقرآن وبالسنن وبأسباب النزول، فضلاً عن لغة العرب.

وقد كان هؤلاء العلماء على وعي بمفهوم السياق، فصرحوا به أحياناً ومارسوه أحياناً أخرى من غير تصريح، وعبروا عنه بثلاثة مصطلحات رئيسة هي: السياق، المقام والحال⁽¹⁾.
فما معنى السياق لغة واصطلاحاً؟ وكيف نظر إليه العلماء القدماء؟.

السياق مأخوذ من: (ساق، يسوق، سوقاً، وساقاً) وأصل السياق السِّوَأُ، قلبت الواو منه ألفاً لسكونها وكسر ما قبلها وهو السين، ويأتي المصدر الميمي منه على صيغة "مَسَاق" ومنه قوله تعالى: ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ﴾ [القيامة: 30].

تقول العرب: سَاقَ الإِبِلَ وغيرها يسوقها سوقاً وسِيقاً، وتَسَاقَتِ الإِبِلُ تساقواً إذا تتابعت، وسَاقَ إليها الصِّدَاقَ والمَهْرَ سِيقاً وأساقه والسياقُ المهْرُ، ويسوقُ الهدْيَ: يقدّمه، وساق بنفسه سِيقاً: نزع بما عند الموت، ويقال: فلان في السياق أي في النزع، والسياق نزع الروح، ويقال: دخل عليه وهو في السوق أو في سياق الموت، أي النزع، كأن روحه تُسَاقُ لتخرج من بدنه، وفي صفة مشبه عليه السلام كان يسوق أصحابه، أي يُقدّمهم، ويمشي خلفهم تواضعاً⁽²⁾.

وسِيقَ الحديث سرده وتتابعه، يقال: «هو يسوق الحديث أحسن سياق، وإليك يُسَاقَ الحديث،

(1) -تناولت الكتب الآتية السياق بتوسع:

- نظرية السياق: دراسة أصولية: نجم الدين قادر الزنكي، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان 1427هـ. 2006م.
- نظرية السياق القرآني: دراسة تأصيلية دلالية نقدية: المثني عبد الفتاح محمود، ط1، دار وائل للنشر، عمان الأردن، 1429هـ، 2008م.

- نظرية السياق بين القدماء والمحدثين: دراسة لغوية نحوية دلالية: عبد المنعم خليل، ط1، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، مصر، 2007م.

- دلالة السياق: ردة الله بن ردة ضيف الطلحي، ط1، مكتبة فهد مكة المكرمة، المملكة العربية السعودية، 1424هـ.
(2) - ينظر: -لسان العرب: ابن منظور، تح: عبد الله علي الكبير وآخرون، دط، دار المعارف، القاهرة، مصر، دت، مادة (سوق).
مج4، ج24، ص2153-2154.

- الصّاح تاج اللغة وصحاح العربية: إسماعيل بن حماد الجوهري، تح: أحمد عبد الغفار عطار، ط2، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، 1399هـ-1979م، مادة (سوق)، ج4، ص1499، 1498.

وهذا الكلام مساقه إلى كذا، وجئتك بالحديث على سوقه، على سرده»⁽¹⁾.

ومن التعريفات الحديثة للسياق تعريفُ محمد فريد وجدي الذي يقول فيه: «ساق الحصان يسوقه سوقًا وسياقًا: حثه على السير من خلفه، وتسوّق القوم: باعوا واشتروا، واستاق الماشية: ساقها من خلفها، وسياق الكلام أسلوبه، وجاءت هذه الكلمة في سياق الكلام أي في ضمنه، والساق ما بين الكعب والركبة، جمعها سوق وسيقان، والساقّة: مؤخر الجيش، والسوقة الرعية لواحد، والجمع المذكور والمؤنث، والسوّقي واحد السوّقيين لأهل السوق، والسوّيق: الخمر والناعم من دقيق الشعير»⁽²⁾.

وفي المعجم الفلسفي:

«السياق في الفرنسية Contexte وفي الإنجليزية Context، سياق الكلام: أسلوبه ومجراه، تقول: وقعت هذه العبارة في سياق الكلام، أي جاءت متفقة مع مجمل النص، وسياق الحوادث Processus مجراها وتسلسلها وارتباط بعضها ببعض، فإذا جاء الحادث متفقا مع الظروف المحيطة به كان واقعا في سياقها، وإذا جاء مخالفا، وجب البحث عن علّة هذا الخلاف تقول: سياق المرض وسياق الظواهر النفسية أو الاجتماعية»⁽³⁾.

إن التعريفات السابقة تشترك في المعاني والمفاهيم الخاصة بمصطلح السياق، الذي يعني التابع والتناسق؛ أي أن المعنى لا يبدو إلا من دراسة سلسلة الكلام وتتابعه، فهو يكشف عن نظام الكلام وتناسقه وترابطه، وهو بذلك يشبه قافلة الإبل التي تسير وفق نظام معين إلى غاية محددة، كما يرتبط السياق بطرفي الكلام، ويسوق المعنى إلى غايته التي هي إيصال غرض المتكلم إلى ذهن المخاطب في أحسن صورة.

وسياق الحديث تتابعه وسرده وتوجيهه نحو الغاية المقصودة، وفق نسق معيّن، وسياق الكلام هو ما يرمي إليه، ودلالة السياق هي الدلالة المكتسبة من سياق الكلام.

لقد تبين لنا من خلال البحث اللغوي أن السياق يدل على التابع والانتظام في السير، وذلك

(1) - ينظر: تاج العروس من جواهر القاموس: محمد مرتضى الحسيني الزبيدي، تح: مصطفى حجازي، دط، الكويت، 1409هـ-1989م، مادة (سوق)، ج25، ص483.

- أساس البلاغة: أبو القاسم جار الله محمود بن عمر بن أحمد الزمخشري، تح: محمد باسل عيون السود، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1419هـ-1998م، مادة (سوق)، ج1، ص484.

(2) - دائرة معارف القرن العشرين: محمد فريد وجدي، دط، دار الفكر، بيروت، لبنان، 1979م، ج، ص333، 334.

(3) - المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية والفرنسية والانجليزية واللاتينية: جميل صليبا، دط، الشركة العالمية للكتاب، بيروت، لبنان، 1994م، ج2، ص681.

لبلوغ غاية محددة بيّنة، ولما كان المفهوم الاصطلاحي مرتبطاً بالمعنى اللغوي، فلا بد من أن ينطلق المعنى الاصطلاحي من الأصل اللغوي، لهذا عُرِّفَ السياق تعريفات عديدة من قبل العلماء على اختلاف معارفهم.

أما عن نظرة العلماء للسياق قديماً وحديثاً فنبذوها بأول من أشار إليه، وبيّن أهمية مراعاته بشر بن المعتمر (ت210هـ)؛ إذ نقل عنه الجاحظ (ت255هـ) قوله: « والمعنى ليس يشرف بأن يكون من معاني الخاصة، وكذلك ليس يتّضح بأن يكون من معاني العامة، وإنما مدار الشرف على الصواب وإحراز المنفعة مع موافقة الحال، وما يجب لكل مقامٍ من المقال»⁽¹⁾.

و يذهب ابن قتيبة إلى الرأي نفسه (ت276هـ) من مراعاة مقتضى الحال، فيرى أنه يجب على الكاتب أن يجعل ألفاظه: «على قدر الكاتب والمكتوب إليه وألا يعطي خسيس الناس رفيع الكلام، ولا رفيع الناس خسيس الكلام»⁽²⁾.

لقد لقيت هذه الإشارة المحددة لعلاقة المقام والمقال العناية من البلاغيين، وكانت أساساً مهماً في توجيه البحث البلاغي، فعبروا عن مفهوم السياق الحالي بما يسمى مقتضى الحال، وربطوا بلاغة الكلام بموافقته لمقتضى الحال، وجعلوها أساس البلاغة كلها، وهي التي يجب مراعاتها في الكلام لكي يصبح بليغاً يتعدى مرحلة الإفهام، ليوصل المعنى في أحسن حال وفي أجمل صورة.

وهذا ما أوجد ثلاثة مصطلحات متداخلة في البلاغة العربية: المقام، السياق والحال؛ إذ البليغ هو من يصوغ كلامه مرافقاً لأحوال المخاطبين، والتفنن في تعبيره حسب المقام، فمقام الشكر يختلف عن مقام التهنية، ومقام الفرح يختلف عن مقام الحزن، ومقام الجد يختلف عن مقام الهزل وهكذا، فالمقامات تختلف حسب الأحوال.⁽³⁾

(1) - البيان والتبيين: أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، تح: عبد السلام محمد هارون، ط1، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، 1417هـ-1998م، ج1، ص136.

(2) - أدب الكاتب: أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة، تح: محمد الدالي، دط، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، دت، ص18.

(3) ينظر: -مفتاح العلوم: أبو يعقوب يوسف ابن أبي السكاكي، ضبط: نعيم زرزور، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1407هـ-1987م، ص168، 169.

-الإيضاح في علوم البلاغة: الخطيب القزويني، شرح وتعليق: محمد عبد المنعم خفاجي، ط3، المكتبة الأزهرية للتراث، مصر، 1413هـ-1993م، ج1، ص11-13، 41-43.

-البيان والتبيين: الجاحظ، ج1، ص116.

-العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده: أبو الحسن بن رشيق القيرواني، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، ط5، دار الجيل، بيروت، لبنان، 1401هـ-1981م، ج1، ص199.

كما وظف البلاغيون مفهوم مطابقة الكلام لمقتضى الحال في تفسير بعض الظواهر الأسلوبية مثل: التقديم والتأخير، والحذف والذكر، وقسموا أنواع الخطاب الخبري على وفق حال المخاطب من حيث الإنكار أو عدمه.

لأنّ تحليل المعنى على أساس الموافقة بين النص والسياق أو المقام والمقال يعد من أحدث نظريات دراسة اللغة، وهو المركز الذي يدور حوله علم الدلالة الوصفي في الوقت الحاضر⁽¹⁾.

فنظرية النظم مثلاً عند عبد القاهر الجرجاني (ت471هـ) قامت على مفهوم السياق اللغوي، أي تتابع الألفاظ على نسق معين، وتعالقها والتغامها، واللفظ عنده لا يكتسب دلالة وقيمة إلا من السياق الذي يرد فيه، إذ « إن الألفاظ المفردة التي هي أوضاع اللغة لم توضع لتُعرف معانيها في أنفسها، ولكن لأن يُضَمَّ بعضها إلى بعض، فيُعرف فيما بينهما فوائد»⁽²⁾.

وهذا يعني أن عبد القاهر يرى أن: «تركيب الكلمات هو الذي يعطي لكل جزئية أهميتها في السياق... فالسياق هو نقطة البدء، بحيث لا يمكن وجود كيان للتعبير إلا من خلاله، وحينئذ من الواجب رصد السياق ثم البحث عن الألفاظ وعلاقتها فيه ثانياً»⁽³⁾.

ولقد صرح الجرجاني بمصطلح السياق في أثناء حديثه عن سر إعجاز القرآن الكريم؛ إذ يرى أن العرب: «أعجزتهم مزايا ظهرت لهم في نظمه وخصائص صادفوها في سياق لفظه، وبدائع راعتهم من مبادئ أيه ومقاطعها، ومجاري ألفاظها ومواقعها، وفي مضرب كل مثل، ومساق كل خبر، وصورة كل عظة وتنبية...»⁽⁴⁾.

وتصريحه بمصطلح السياق في قوله (سياق لفظه) يدل على إدراكه أهمية مراعاة السياق اللغوي في بيان دلالات الألفاظ، ومعرفة إعجاز القرآن الكريم فضلاً عن مراعاة سياق الحال.

ويُعدُّ استشهاد اللغويين والنحويين والبلاغيين بالقرآن الكريم وكلام العرب شعره ونثره، نوعاً من

–الوساطة بين المتنبّي وخصومه: علي بن عبد العزيز الجرجاني، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، علي محمد البحراوي، ط1، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، لبنان، 1427هـ-2006م، ص30.

(1) –اللغة العربية معناها ومبناها: تمام حسان، دط، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، 1994م، ص337.

(2) –دلائل الإعجاز: أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني، قراءة وتعليق: محمود محمد شاكر، ط5، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، 2004م، ص539.

(3) –البلاغة والأسلوبية: محمد عبد المطلب، ط1، مكتبة الشركة المصرية العالمية للنشر، لوجمان: القاهرة، مصر، 1994م، ص321.

(4) –دلائل الإعجاز: عبد القاهر الجرجاني، ص39.

أنواع استحضار السياق اللغوي أو الحالي، حيث ربطت المعاني بالسياق الذي قيلت فيه.⁽¹⁾

ونستطيع أن نضع مفهوم عبد الحكيم بن عبد الله القاسم تعريفاً اصطلاحياً للسياق حيث يقول: «تتابع الكلام وتساققه وتقاوده، ويمكن تعريف دلالة السياق بأنها فهم النص بمراعاة ما قبله، وما بعده، ويمكن تعريف دلالة السياق في التفسير بأنها بيان اللفظ أو الجملة في الآية، بما لا يخرجها عن السابق واللاحق إلاّ بدليل صحيح يجب التسليم له»⁽²⁾.

أو هو الإطار العام الذي تنتظم فيه عناصر النص ووحداته اللغوية، وبواسطته تتصل الجمل فيما بينها وتترابط، مشكلةً بيئة لغوية ترعى معنى الكلمة أو الجمل، فلا تُفهم إلاّ بوصلها بالتي قبلها أو بالتي بعدها داخل إطار السياق⁽³⁾.

فالسباق إذا هو تتابع المفردات والكلمات والجمل، وانتظامها مع ما قبلها وما بعدها في التراكيب، لتؤدي معناً معيّنًا بحسب السياق الواردة فيه.

وإذا كان العلماء قد تناولوا القرآن بالنظر والتحليل على اختلاف اختصاصاتهم اللغوية والنحوية والبلاغية والفقهية والأصولية، فإن المفسرين تناولوه بدراسة شملت كل تلك الاختصاصات، لأنّ التفسير كما عرّف: «هو العلم الذي يعرف به فهم كتاب الله المنزل على نبيه ﷺ وبيان معانيه واستخراج أحكامه وحكمه واستمداد ذلك من علم اللغة والنحو والتصريف، وعلم البيان وأصول الفقه والقراءات، ويحتاج إلى معرفة أسباب النزول والناسخ والمنسوخ»⁽⁴⁾.

ويعرّفه أبو حيان التوحيدي (ت745هـ) أنه: «علم يُبحث فيه عن كيفية النطق بألفاظ القرآن ومدلولاتها وأحكامها الإفرادية والتركيبية ومعانيها التي تُحمّل عليها حالة التركيب وتتمّات لذلك»⁽⁵⁾، ويقصد بتتمّات ذلك الناسخ والمنسوخ وأسباب النزول وكل ما له علاقة بعلم التفسير.

(1) - ينظر: الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز: يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم العلوي، دط، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، دت، ج3، ص227، 228.

(2) - دلالة السياق القرآني وأثرها في التفسير: دراسة نظرية تطبيقية من خلال تفسير ابن جرير: عبد الحكيم بن عبد الله القاسم، ط1، الدار التدمرية، المملكة العربية السعودية، 1433هـ-2012م، مج1، ص93.

(3) - منهج السياق في فهم النص: عبد الرحمان بودرع، دط، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، 2006م، ص27.

(4) - البرهان في علوم القرآن: بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دط، دار التراث، القاهرة، مصر، دت، ج1، ص13.

(5) - تفسير البحر المحيط: محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي، تح: عادل أحمد عبد الموجود، علي محمد معوض، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1413هـ-1993م، ج1، ص10.

لقد وضع المفسرون القدماء شروطاً صارمة ودقيقة لمن أراد أن يفسر كتاب الله تعالى، منها التمكن من دقائق اللغة العربية وأحكامها الصوتية والتركيبية والدلالية، ومعرفة أوجه الإعجاز القرآني على مستوى النظم واللفظ والدلالة، وما تجرّي عليه لغة القرآن الكريم من إيجاز وتشبيه واستعارة وتلاؤم الحروف والكلمات والفواصل والمقاطع في الآيات وتجانس الصيغ والألفاظ، وتعريف القصص والأحوال، وتضمين الحكم والأسرار والمبالغة في الأمر والنهي، وحسن بيان المقاصد والأغراض، وتمهيد المصالح والأسباب والإخبار عما كان وما يكون...⁽¹⁾.

وغير ذلك مما يدخل في السياق اللغوي وما يتطلبه من استحضار النص القرآني عند تفسيره، لأنّ القرآن يفسر بعضه بعضاً، والسياق يؤكد ارتباط أيّ الذكر الحكيم بعضها ببعض: « حتى تكون كالكلمة الواحدة، متّسقة المعاني، منتظمة المباني »⁽²⁾.

وللمفسرين في البحث عن المواد أو المعنى في القرآن الكريم طريقتان وهما: التفسير بالمأثور، والتفسير بالرأي.

فأما التفسير بالمأثور فسندده القرآن والسنة وأقوال الصحابة، حيث يقول ابن تيمية: « إنّ أصحّ الطرق في ذلك أن يُفسّر القرآن بالقرآن، فما أجمل في مكان فقد بُسط في موضوع آخر، فإنّ أعيانك ذلك فعليك بالسنة فإنها شارحة للقرآن وموضحة له »⁽³⁾.

وإذا تعذّر وجود التفسير في القرآن والسنة النبوية الشريفة نرجع إلى أقوال الصحابة لمعايشتهم مختلف الوقائع والأحوال، ثم اللجوء إلى العلماء والأئمة الأربعة، وحتى الخلفاء الراشدين لما عُرف عنهم من حكمة وعلم⁽⁴⁾.

وعليه فإنّ القرآن قد يُفسّر بالقرآن، لأنّ ما أجمل في مكان قد فُصّل في موضع آخر، أو قد يفسّر بالسنة النبوية الشريفة لقوله تعالى: ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا ﴾ [الحشر: 7].

ومما فُسر بالقرآن، ما فسّر به الرسول ﷺ قوله تعالى: ﴿ وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ ﴾ [الأنعام: 82]، لما

(1) - البرهان في علوم القرآن: الزركشي، ج 1، ص 36.

(2) - تفسير البحر المحيط: أبو حيان الأندلسي ج 1، ص 121.

(3) - مقدمة في التفسير (ضمن الفتاوى): أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، تح: حسنين محمد مخلوف، ط 1، دار المعرفة، بيروت، لبنان،

1386هـ، ج 13، ص 363.

(4) - المصدر نفسه: ج 13، ص 364.

نزلت سأل الصحابة: أيُّنا لم يظلم نفسه؟! ففسره النبي ﷺ بالشرك⁽¹⁾، لقوله تعالى: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: 13].

وأما التفسير بالرأي فهو: «عبارة عن تفسير القرآن بالاجتهاد بعد معرفة المفسر لكلام العرب ومناحيهم في القول، ومعرفته للألفاظ العربية، ووجوه دلالتها، واستعانتها في ذلك بالشعر الجاهلي ووقوفه على أسباب النزول، ومعرفته بالناسخ والمنسوخ...»⁽²⁾.

وهذا النوع من التفسير مختلف فيه، بين مؤيد ومنكر، وفي ضوء هذا قُسم إلى جائز ومذموم⁽³⁾.

لقد حُظي السياق بعناية كبيرة من قبل علماء التفسير على وجه الخصوص، وعُدَّ من أهم الوسائل التي تستعمل للكشف عن معاني القرآن الكريم، وإزالة اللبس عن الآيات التي تحتل أكثر من معنى، فوردت "لفظة السياق" في عباراتهم منفردة ومقرونة بغيرها، فيقال: "دل سياق الكلام على كذا" و"هذا ما يدل عليه سياق القول وسياقه" و"لا بد من مراعاة سياق القول وسياقه ولحاظه" ويقولون "سيق النص لغرض كذا أو لقصد كذا" و"ويرده السياق" و"يجل عليه مساق الكلام".

والأمثلة على ذلك كثيرة ومثبتة في كتب التفسير، وهذا ما سأحاول بيانه من خلال تناول عدد من علماء التفسير، وتوضيح طرقهم في التعامل مع سياق النص القرآني:

1- ابن جرير الطبري (ت 310هـ):

استثمر الطبري السياق القرآني في عملية التفسير، فوضع مجموعة من القواعد حث على إعمالها عند النظر في كتاب الله تعالى: «غير جائز صرف الكلام عما هو في سياقه إلى غيره، إلا بحجة يجب التسليم لها، من دلالة ظاهر التنزيل، أو خبر عن الرسول الله عليه السلام تقوم به حجة، فأما الدعوى فلا تتعذر على أحد»⁽⁴⁾.

ولتأكيد هذا الكلام نورد المثالين الآتيين:

(1) -أضواء البيان في إيضاح القرآن الكريم: محمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي، تح: بكر بن عبد الله أبو زيد، دار علم الفوائد للنشر والتوزيع، جدة، المملكة العربية السعودية، دت، مج2، ص237.

(2) -التفسير والمفسرون: محمد حسين الذهبي، دار الكتب الحديثة، ط2، 1396هـ-1976م، ج1، ص255.

(3) -المصدر نفسه، ج1، ص255.

(4) -تفسير الطبري جامع البيان عن تأويل آي القرآن: أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، تح: عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط1، هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، 1420هـ-2000م، ج16، ص16.

- قوله تعالى: ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِ ﴾ [الأحقاف: 10]، يقول الطبري في تفسير الآية: « والصواب من القول في ذلك عندنا أن الذي قاله مسروق في ذلك أشبه بظاهر التنزيل، لأن قوله تعالى: ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِ ﴾ في سياق توبيخ الله تعالى ذكره مُشركي قريشٍ، واحتجاجا عليهم لنبيهم»⁽¹⁾.

- استعمل الطبري دلالة السياق المقامي في التفسير، ومثاله في ذلك تفسير قوله تعالى: ﴿ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ ﴾ [البقرة: 198]، يقول: « وكانت عُكَاظٌ وَمِجَنَّةٌ وذو الحِجَازِ أسواقاً في الجاهلية، فكانوا يتجرون فيها فلما كان الإسلام كأنهم تأثموا منها، فسألوا النبي ﷺ، فأنزل الله: ﴿ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ ﴾»⁽²⁾.

يظهر السياق المقامي في الحديث عن العادات والتقاليد التي كانت موجودة في تلك الفترة وخاصة في موسم الحج.

2- السياق عند فخر الدين الرازي (ت606هـ):

إن السمة البارزة في تفسير الرازي هو التركيز على سياق السورة كلها، بوصفها الإطار الموضوعي الذي تنتظم فيه المعاني القرآنية، فقد علّق على الآية: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَنَعَ مَسْجِدَ اللَّهِ ﴾ [البقرة: 114]، بقوله: « وعندي فيه وجه خامس وهو أقرب إلى رعاية النظم»⁽³⁾.

ثم يشرح القول في بيان رجحان هذا الوجه على غيره، التفاتاً إلى السابق واللاحق من السياق، ذلك أن الله تعالى لم يذكر في الآيات السابقة على هذه الآية إلا مخازي اليهود والنصارى، وكذلك فعل بعدها، فكيف يليق أن تكون هذه الآية في مخازي المشركين وسوء صنيعهم في صدهم الرسول عن المسجد الحرام؟⁽⁴⁾

(1) - جامع البيان عن تأويل آي القرآن: (تفسير الطبري)، الطبري، ج 21، ص 131.

(2) - المصدر نفسه، ج 3، ص 510.

(3) - تفسير الفخر الرازي: الشهير بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب: فخر الدين محمد الرازي، ط 1، دار الفكر، بيروت، لبنان،

1401هـ-1981م، ج 4، ص 10.

(4) - المصدر نفسه: ج 4، ص 10.

3- السياق عند ابن كثير (ت 774هـ):

حَقَّل تفسير ابن كثير بالشواهد التي تدل على استثمار الدلالة السياقية في توجيه المشكل من الآيات، وبيان الراجح من وجوه التفسير، وتضعيف بعض القراءات ومن ذلك:

- قال في تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [البقرة: 53]، « وكان ذلك بعد خروجهم من البحر كما دلّ عليه سياق الكلام في سورة الأعراف، ولقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الْأُولَى بَصَائِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [القصص: 43] »⁽¹⁾.

وقال في قوله تعالى: ﴿قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا﴾ [البقرة: 126]: « جعله في تمام دعاء إبراهيم، وهي قراءة شاذة مخالفة للقراء السبعة، وتركيب السياق يأبى معناها، والله أعلم، فإنّ الضمير في (قال) راجع إلى الله تعالى في قراءة الجمهور، والسياق يقتضيه، وعلى هذه القراءة الشاذة يكون الضمير في (قال) عائداً على إبراهيم، وهذا خلاف نظم الكلام»⁽²⁾.

وهذا دليل على أن مخالفة تركيب السياق ونظم الكلام كان موجوداً في تفسير ابن كثير، وخصوصاً في الحكم على القراءة بالشذوذ.

فكل أنواع التفسير تعتمد على السياق بنوعيه، أي باستقراء النصوص (سياق القرآن) فإنه يفسر بعضه بعضاً، أما سياق الموقف فيبدو في أقوال الصحابة في التفسير، لأنهم شاهدوا القرائن والأحوال التي تمثلت أولاً في أسباب النزول، كما سيأتي لاحقاً⁽³⁾.

مما سبق نستنتج أن المفسرين قد تنبهوا لأهمية السياق اللغوي في تفسير القرآن الكريم، وبيان معاني الآيات ودلالاتها، شأنهم في ذلك شأن غيرهم من العلماء الذين اعتمدوه وسيلة للكشف عن المعنى.

والسياق اللغوي هو البيئة اللغوية للنص المتكون من مفردات وجمل وعبارات تُحلل وفق مستويات

(1) - تفسير القرآن العظيم: عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي، تح: مصطفى السيد محمد وحسن عباس قطب وآخرون، ط1، مؤسسة قرطبة الجيزة، مصر، 1421هـ-2000م، مج1، ص400.

(2) - المصدر نفسه، مج2، ص76.

(3) - دلالة السياق في القصص القرآني: محمد عبد الله علي سيف العبيدي، دط، وزارة الثقافة والسياحة، صنعاء، اليمن، 1425هـ-

2004م. ص107.

معينة؛ فالسياق: «هو النظم اللفظي للكلمة، وموقعها من ذلك النظم، بأوسع معاني هذه العبارة، إن السياق على هذا التفسير ينبغي أن يشمل لا الكلمات والجمل الحقيقية السابقة واللاحقة فحسب، بل والقطعة كلها، والكتاب كله، كما ينبغي أن يشمل -بوجه من الوجود- كل ما يتصل بالكلمة من ظروف وملابسات»⁽¹⁾.

أي أن النص يجب أن يحلل وفق المستويات اللغوية المختلفة: الصوتية، الصرفية، النحوية، والمعجمية، وكل ذلك من أجل فهم المعنى فهماً صحيحاً.

أما السياق القرآني فهو الجو العام الذي وردت فيه الآية، وما يكتنفها من قرائن ودلائل تعين على فهم النص، والكشف عن المراد منه، سواء أكانت هذه القرائن عنصراً أم أكثر من عناصر النص، ويسمى حينئذ السياق الداخلي، أم كانت متمثلة في مجموعة الظروف المكانية أو الزمانية أو الثقافية أو الاجتماعية المحيطة بالنص، وليست عنصراً من عناصره، وتسمى حينئذ السياق الخارجي، وقد اشتمل القرآن على هذين النوعين من السياق⁽²⁾.

ولم تكن انشغالات القدماء منصبة على السياق اللغوي فقط، فمنهم من تتبع سياق الحال، أو ما أُطلق عليه قديماً مصطلح " القرائن والأحوال " الذي يتمثل في الظروف المحيطة بالكلام، والتي صاحبت نزول الآيات، ومنه يبرز دور أسباب النزول في توضيح الظروف المصاحبة للنزول لأن: « معرفة سبب النزول يعين على فهم الأثر، فإنّ العلم بالسبب يورث العلم بالمتسبب»⁽³⁾.

فما المقصود بأسباب النزول؟ وهل لها دور في تبين المعنى الحقيقي للآيات؟ وكيف أسهمت في إبراز التفسير والتحليل الصحيحين لكل آية من آيات الذكر الحكيم؟.

إن أسباب النزول تعبر عن العلاقة القائمة بين آية معينة أو مجموعة آيات، وبين جملة من المعطيات والأحداث التي استدعت نزولها، لهذا عرف الزرقاني سبب النزول بأنه: «ما نزلت الآية أو الآيات متحدثة عنه أو مُبيناً لحكمه أيام وقوعه، والمعنى أنه حادثة وقعت في زمن النبي ﷺ، أو سؤال وجه إليه، فنزلت الآية أو الآيات من الله تعالى ببيان ما يتصل بتلك الحادثة، أو بجواب هذا السؤال، والمراد بقولنا: (أيام وقوعه) الظروف التي ينزل القرآن فيها متحدثاً عن ذلك السبب، سواء أوقع هذا

(1) - دور الكلمة في اللغة: ستيفن أولمان، تر: كمال بشر، ط12، دار غريب، القاهرة، مصر، 1997م، ص68.

(2) - المعايير النصية في القرآن الكريم: أحمد محمد عبد الراضي، ط1، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، مصر، 1432هـ - 2011م، ص200.

(3) - ابن تيمية: مقدمة في التفسير، ج13، ص339.

النزول عقب سبب مباشرة، أم تأخر عنه مدة لحكمة من الحكم»⁽¹⁾.

فمعرفة أسباب النزول طريق إلى معرفة الظروف التي قيلت فيها الآيات المرتبطة بأحداث معينة، وهذا بدوره يعين على فهم المعنى الذي لأجله سيقت تلك الآيات، وهو ما أطلق عليه قديما " قرينة الحال " .

ولمعرفة أسباب النزول أهمية خاصة في فهم معاني التنزيل، حيث يقول الزركشي مبينا خطأ من أغفل سبب النزول: «وأخطأ من زعم أنه لا طائل تحته، لجريانه مجرى التاريخ وليس كذلك، بل له فوائد منها: وجه الحكمة الباعثة على تشريع الحكم، ومنها تخصيص الحكم به عند من يرى أن العبرة بخصوص السبب، ومنها الوقوف على المعنى، قال الشيخ أبو الفتح القشيري: بيان سبب النزول طريق قوي في فهم معاني الكتاب العزيز، وهو أمر تحصّل للصحابة بقرائن تحفّ بالقضايا»⁽²⁾.

بمعنى أن سبب النزول يعد من أهم القرائن التي تعين على توجيه المعنى، لأن الآيات القرآنية كانت تنزل لمعالجة مشكلات معينة، أو تقصّ حوادث وقعت في زمانه ﷺ، أو تكون سؤالا عن جواب وجه إليه ﷺ.

ولأجل ذلك اعتنى المفسرون به كثيرا، وعدّوا معرفته أداة مهمة من أدوات المفسر التي يجب أن يدركها ويكون على إحاطة تامة بها، لكي يتوصل إلى الفهم الصحيح لهذه الآيات، وفي ذلك يقول الشاطبي: «فالجهل بأسباب التنزيل موقع في الشبه والإشكالات، ومورد للنصوص الظاهرة مورد الإجمال حتى يقع الاختلاف، وذلك مظنة وقوع النزاع»⁽³⁾.

ولهذا وضعت له تصانيف كثيرة ساعدت في إزالة اللبس عن التفسير، لأجل الوصول إلى المعنى

(1) - مناهل العرفان في علوم القرآن: محمد عبد العظيم الزرقاني، تح: فواز أحمد زمري، ط1، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، 1415 هـ-1995 م، ج1، ص90، 89.

ينظر تعريف محمد باقر الحكيم لسبب النزول في كتاب: النص الديني في الإسلام من التفسير إلى التلقي: وجيه قانصو، ط1، دار الفارابي، بيروت، لبنان، 2011 م، ص367.

- علوم القرآن: نور الدين عتر، ط1، دار البصائر، القاهرة، مصر، 1433 هـ-2012 م، ص46.

(2) - البرهان في علوم القرآن: الزركشي، ج1، ص22، 23.

(3) - الموافقات: أبو إسحاق إبراهيم بن موسى بن محمد اللحمي الشاطبي: ضبط وتعليق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، ط1، دار ابن عفران، المملكة العربية السعودية، 1997 م، مج4، ص146.

الصحيح.⁽¹⁾

والمتفق عليه أن النص القرآني نزل متفرقاً على مدى ثلاثة وعشرين عاماً، وتعلقت كل آية بواقعة معينة تحتاج إلى تفسير، والمنهج الصحيح لتفسير هذه النصوص القرآنية هو بإعادة ربطها بأسباب التنزيل وفهمها على ضوء خلفية الواقعة التي تنزلت بشأنها.

وتجدر الإشارة في هذا الموضوع إلى أن أسباب النزول تكافئ أو تعادل ما اصطاح عليه الدالليون الحدثون بـ"سياق الحال أو سياق المقام"، لأنها تلقي الضوء على الظروف والملابسات التي تحيط بالنص القرآني؛ أي الأحداث والظروف الخارجية التي وقعت فيها الحادثة.⁽²⁾

لقد نُظر إلى أسباب النزول على أنها طريق لفهم المعاني والدلالات، ولذلك كانت مطلباً مهماً في التفسير، ومن أمثلة ذلك:

- قوله تعالى في سورة [البقرة: 158]: ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾

حيث يُروى عن عروة أنه قال: «قلت لعائشة زوج النبي ﷺ: رأيت قول تعالى: ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَائِرِ اللَّهِ﴾، فما أرى على أحدٍ شيئاً ألا يطوف بهما، فقالت عائشة: بئس ما قلت يا ابن أخي، لو كانت على ما أولتها عليه كانت: فلا جناح عليه أن لا يتطوف بهما، ولكنها إنما أنزلت لأن الأنصار قبل أن يسلموا كانوا يهلون لمناة الطاغية، وكان من أهل لها يتحرج أن يطوف بالصفاء والمروة،

(1) -علي بن أحمد الواحدي النيسابوري (ت468هـ): أسباب النزول.

-جلال الدين السيوطي (ت911هـ): لباب النقول في أسباب النزول.

-ومن المعاصرين كتاب: أسباب النزول: بسام الجمل، ط1، (منشور) للمركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، 2005م.

وأصل هذا الكتاب بحث مقدم لنيل شهادة الدكتوراه نوقشت يوم الجمعة 14 مارس 2003م، كلية الآداب بمنوبة، تونس.

(2) -ينظر:

- مفهوم النص، دراسة في علوم القرآن: نصر حامد أبو زيد، ط1، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 2008 م، ص111.

- قضايا اللغة في كتب التفسير: المنهج، التأويل، الإعجاز: الهادي الجطللاوي، ط1، كلية الآداب سوسة، دار محمد علي الحامي، صفاقس، تونس، ديسمبر 1998م، ص133 و223.

- الخطاب القرآني: دراسة في العلاقة بين النص والسياق: "مثل من سورة البقرة": خلود العموش، ط1، جدار للكتاب العالمي وعالم الكتب الحديث، الأردن، 1429هـ-2008م، ص151.

-النص القرآني من تحافت القراءة إلى أفق التدبير: مدخل إلى نقد القراءات وتأصيل علم التدبير القرآني: قطب الريسوني، ط1،

منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، 1431هـ-2010م، ص83.

فسألوا عن ذلك رسول الله ﷺ فقالوا: يا رسول الله إنا كنا نتحرج أن نطوف بالصفاء والمروة في الجاهلية: فأُنزل الله: ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَائِرِ اللَّهِ﴾⁽¹⁾.

ومن الأمثلة التي وردت في كتب التفسير تحريم الخمر الذي مرَّ بمراحل ثلاث، بتدرج الحكم فيها مراعاةً للظروف والعادات التي كانت سائدة آنذاك، حيث كان الخمر مما تعود عليها المجتمع الجاهلي وتوارثه عن الأجداد، لهذا نزل تحريمه على مراحل وذلك في قوله تعالى:

1- ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنْفَعَةٌ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا﴾ [البقرة: 219].

2- ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَرَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ﴾ [النساء: 43].

3- ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [المائدة: 90].

لقد حرّم الخمر تدرجاً مراعاةً للواقع، فالآية الأولى نزلت في مجتمع نشأ على شربها، وقد حرّمت في هذه الآية أوقات الصلاة: ﴿لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَرَىٰ﴾، وما إن نزلت آية [المائدة: 90] حتى حرّمت تحريماً نهائياً.

هذه بعض الأمثلة التي أكدت أهمية أسباب النزول في تفسير آيات القرآن الكريم وإيضاح معانيه، وتقريبها إلى القارئ⁽²⁾.

إن لأسباب النزول مجالات خاصة بها، فهي تدرس تطابق النص اللغوي (الآية أو مجموعة الآيات) مع الوقائع والأسباب الخارجية التي استدعت نزولها، وكانت سبباً فيها، وأسباب النزول جزء من سياق

⁽¹⁾ - لباب النقول في أسباب النزول: جلال الدين السيوطي، تح: محمد محمد تامر، ط2، مكتبة مصطفى الباز، المملكة العربية السعودية، 1425هـ-2004م، ص51-52.

⁽²⁾ - المصدر نفسه، ص70.

- صحيح المنقولات في أسباب نزول السور والآيات: فخر الدين بن الزبير علي المحسن، ط1، دار حزم، بيروت، لبنان، 1428هـ-2007م.

- الجامع في أسباب النزول: حسن عبد المنعم شليبي، ط1، مؤسسة الرسالة ناشرون، بيروت، لبنان، 1431هـ-2010م.
- إرشاد الرحمن لأسباب النزول والناسخ والمنسوخ والمتشابه وتجويد القرآن: عطية بن عطية الأجهوري، اعنتى به: أبو الفضل الدمياطي، أحمد بن علي، ط1، مركز التراث الثقافي المغربي، المغرب، دار ابن حزم، بيروت لبنان، 1430هـ-2009م.

القول، وهذه الأسباب كما يمكن الوصول إليها من خارج النص، يمكن الوصول إليها من داخله، سواء في بنيته الخاصة، أم في علاقته بالأجزاء الأخرى من النص العام⁽¹⁾.

وكما يرتبط بأسباب النزول معنى الآية المنزلة يرتبط بها أيضا معرفة المكّي والمدني، وبها يتحدد مكان نزول الآية وزمانها.

وعليه فإن معرفة سبب النزول يُعد أحسن طريق لفهم معاني القرآن الكريم بكلماته وجمله وسوره، وكشف الغموض الذي يعتري بعض الآيات في تفسيرها، ما لم يُعرف سبب النزول.

إن ما يستخلص من أسباب النزول، هو ضرورة وضع الآيات في سياقها الذي شكلته الوقائع التي أحاطت بها، أو كانت سببا لها، وتشمل: زمن الخطاب وأطراف الخطاب (المخاطب والمخاطب)، (الرسول وعلاقته بالمخاطبين)، وسياق التخاطب وأحوال المخاطبين⁽²⁾.

وفي هذا الصدد يشير الطبري في مقدمة تفسيره، إلى أن سياق الخطاب يقتضي الإفهام، فالله تعالى لا «يُخاطبُ جَلَّ ذكره أحداً من خلقه إلا بما يفهمه المخاطب، ولا يُرسلُ إلى أحدٍ منهم رسولاً برسالة إلا بلسانٍ وبيانٍ يفهمه المرسل إليه، لأنَّ المخاطبَ والمرسل إليه إن لم يفهم ما خُوطبَ به، وأُرسلَ به إليه، فحالُه قبل الخطاب وقبل مجيء الرسالة وبعده -سواءً إذ لم يُفدَّه الخطابُ والرسالة شيئا، كان به قبل ذلك جاهلا»⁽³⁾.

إن عناصر الخطاب عند الطبري هي: المخاطب والمخاطب، وموضوع الخطاب (الرسالة اللغوية)، وهذه الأخيرة تصدر من مخاطب يراعي حال المخاطب، ويسعى إلى إفهامه، وتبليغه بشيء لم يكن ليعلمه، وذلك فيما يأتي:

أ-المخاطب:

ويُعدُّ أحد أهم عناصر الخطاب لما له من دور فعال في عملية الخطاب، فهو الذي يُحدد مضمون الخطاب بما يناسب المقام، ويختلف الخطاب تبعا لاختلاف المخاطب، ويظهر «فضل بعض القائلين على بعض، من حيث نطقوا وتكلموا، وأخبروا السامعين عن الأغراض والمقاصد، وراموا أن يُعلِّمُوهم ما

(1) - مفهوم النص، دراسة في علوم القرآن: نصر حامد أبو زيد، ص 111.

(2) - النص والخطاب: قراءة في علوم القرآن: محمد عبد الباسط عيد، تقديم: صلاح رزق، ط 1، مكتبة الآداب القاهرة، مصر، 1430هـ-2009م، ص 88.

وينظر: -الخطاب القرآني: دراسة في العلاقة بين النص والسياق "مثل من سورة البقرة": خلود العموش، ص 85.

(3) - جامع البيان عن تأويل آي القرآن (تفسير الطبري): الطبري، ج 1، ص 11.

في نفوسهم؛ ويكشفوا لهم عن ضمائر قلوبهم»⁽¹⁾.

إن المرسل في السياق القرآني متعلق بالمخاطب الأول الله تعالى، والمتلقي الأول للرسالة جبريل عليه السلام، والمتلقي الثاني محمد ﷺ، والمتلقي الثالث هم الناس في عهده ﷺ ومن جاء بعدهم من البشر إلى يوم الدين، وإن دلالة النص تختلف باختلاف من يوجه إليه الخطاب، فنجد المؤمن والكافر والمنكر والملحد وغيرهم.

وبالنسبة للنص القرآني «... يوضع في الاعتبار أن المرسل هو الحق سبحانه وتعالى، ويقع وجوده خارج النص في أغلب السياقات، ذلك حين لا يرد اسم من أسمائه صراحة داخل النص، وأن المرسل إليه يكون النبي ﷺ في نطاق محدود أحيانا، ويكون مجموع المخاطبين أو المرسل إليهم الذين أرسل إليهم الخطاب في ظروف ومناسبات وسياقات معينة بمفهوم واسع»⁽²⁾.

ب-المخاطب:

القرآن الكريم قائم على أساس الخطاب الذي يظهر في جلّ السور المكية والمدنية، وقد عني المفسرون بتحديد المخاطب وبيان طبيعته، لما له من أثر في بيان دلالة النص القرآني؛ إذ يبدؤون بتحديد المخاطب، ثم يفسرون الآيات، ويذكرون أثر الخطاب وفاعليته في المخاطبين، وهذا يعني أن استحضار حال المخاطب يساعد في تفسير دلالة النص، ويكشف المقصود منه.

وقد يكون المخاطب غير ظاهر فتختلف الآراء فيه، فيلجأ المفسرون إلى السياق لتحديده، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ۖ يَتَّقُوا لِلْقَوْمِ الَّذِي لَكُمْ بِهِ عَدَاوَةٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۚ وَالَّذِينَ كَفَرُوا ۗ لَئِن لَّمْ يَكْفُرُوا لَأَكْفُرَنَّهُمْ بِمَا كَفَرُوا ۗ وَسَآءَ مَا كَسَبَتْ قُلُوبُهُمْ ۗ وَاللَّهُ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۗ﴾ [سورة المائدة: 20].

يقول الطبري عن المخاطب في قوله تعالى: ﴿وَإِن لَّمْ يَكْفُرُوا لَأَكْفُرَنَّهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۗ﴾⁽³⁾. «اختلف في من عنوا بهذا الخطاب، فقال بعضهم: عني به أمة محمد ﷺ وقال آخرون: عني به قوم موسى عليه السلام...»⁽³⁾.

إن في هذا القول دلالة قاطعة على أهمية السياق اللغوي، والسياق الحالي في تفسير الآية القرآنية، ويمكن أن نستخلص منه ما يأتي:

(1) -دلائل الإعجاز: عبد القاهر الجرجاني، ص43.

(2) -دراسات لغوية تطبيقية في العلاقة بين البنية والدلالة: سعيد حسن بحيري، ط1، مكتبة الآداب، 1426هـ-2005م، ص101.

(3) - جامع البيان عن تأويل آي القرآن: (تفسير الطبري): الطبري، ج10، ص164-166.

-السياق في هذه الآية قائم على مراعاة عناصر الخطاب: المخاطب: موسى عليه السلام، المخاطب: قوم موسى عليه السلام، أو قوم محمد صلى الله عليه وسلم، وموضوع الخطاب: الامتنان على بني إسرائيل بالنعم الكثيرة⁽¹⁾.
-طبيعة المخاطبين كانت سبباً في اختلاف المفسرين في دلالة الآية، والسياق هو الأداة التي احتكم إليها الفريقان لتحديد المخاطبين بدقة متناهية.

ج- موضوع الخطاب وغرضه:

وهو عنصر مهم في تحديد المعنى الذي يرمى إليه الخطاب القرآني، وكلما كان الخطاب بليغاً، يراعي أحوال المخاطبين كان مؤثراً فيهم، ومنه وجب النظر إلى القرآن الكريم بوصفه نصاً متماسكاً يعالج موضوعات مختلفة حسب حاجة المسلمين إليها، لأنَّ تحديد موضوع الخطاب يُساهم في تحديد المعاني وخاصة المختلف فيها.

وقد لاحظ القدماء أنَّ كلَّ سورة من سور القرآن ذات شخصية متفردة، وذات ملامح متميزة، وذات منهج خاص، وذات أسلوب معين، وذات مجال متخصص في علاج هذا الموضوع الواحد، وهذه القضية الكبيرة، إنَّها تجتمع على الموضوع والغاية، ثم تأخذ بعد ذلك سماتها المستقلة وطرائقها المتميزة، ومجالها المتخصص في علاج هذا الموضوع وتحقيق هذه الغاية⁽²⁾.

ولا يكتمل نظر مفسر القرآن الكريم إلا بوضع الخطاب في سياقه المناسب، هذا السياق الذي يتحكم فيه أسلوبان: أسلوب المعرفة بأسباب النزول، وأسلوب معرفة المكي من المدني، حيث يتمكن المتلقي من معرفة العلاقة بين الآيات، والواقع الخارجي الذي أدى إلى نزولها، وبالتالي يمكن للمتلقي التفريق بين الخطاب المنزل في مكة، والخطاب المنزل في المدينة، أي تمييز الخطاب المكي عن الخطاب المدني.

وعليه فإنَّ المفسرين كانوا مدركين لأهمية مراعاة سياق الخطاب في تفسير القرآن الكريم، ويشير علماء القرآن إلى بعض الضوابط التي تميز كلاً من الآيات المكية عن الآيات المدنية⁽³⁾:
- كل سورة فيها سجدة فهي مكية.

(1) - دلالة السياق في القصص القرآني: محمد عبد الله علي سيف العبيدي، ص 246.

(2) - في ظلال القرآن: سيد قطب، ط 11، دار الشروق، بيروت، لبنان، 1405 هـ - 1985 م، مج 1، ج 1، ص 28.

(3) - البرهان في علوم القرآن: الزركشي، ج 1، ص 188-191.

وينظر: -مباحث في علوم القرآن: صبحي الصالح، ط 10، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، أغسطس (آب)، 1977 م، ص 181، 182.

- كل سورة فيها (كلا) فهي مكية.

- كل سورة فيها ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ﴾، وليس فيها ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ فهي مكية، إلا سورة الحج ففي أواخرها ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَرْكَعُوا وَاسْجُدُوا﴾، ومع ذلك كثير من العلماء يرى أنها مكية.

- كل سورة فيها قصص الأنبياء والأمم الغابرة فهي مكية سوى سورة البقرة.

- كل سورة فيها قصة آدم وإبليس فهي مكية سوى سورة البقرة.

- كل سورة تفتتح بحروف التهجي فهي مكية سوى الزهراوين، واختلفوا في سورة الرعد.

أما المدني فما تضمن الكلام عن الحدود والفرائض، والإذن بالجهاد وبيان أحكامه، والنفاق،

ولفظ النداء: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾.

ولتحليل الفرق بين المكي والمدني أقول: إن أهل مكة قبل الفتح كانوا كافرين جاحدين بنبوة الرسول ﷺ، وأهل المدينة مؤمنون به مصدقون برسالته، فاقضى حال الرسول ﷺ مع أهل مكة، تسليته وتشبيته على الدعوة بذكر ما لقيه الأنبياء من قبله من المشقة والعذاب وسوء المعاملة من أقوامهم، الذين أرسلوا إليهم، وكذلك مجادلة المشركين في أمور الوجدانية، ونسبة الولد لله عز وجل والبعث والجنة والنار، والخير والشر.

بينما كان حال أهل المدينة التصديق، وقبول أمور التشريع في العبادات والمعاملات الشخصية.

إن الفرق بين المكي والمدني يكمن في الخطاب، الذي يعتمد أساسا على المواضيع التي يتناولها كل منهما، ولهذا يختلف أسلوبهما، فالقرآن المكي تميزه الخصائص الآتية؛⁽¹⁾

1- يغلب عليه قصر الآيات والصور، وقوة التعبير وتناسب الإيقاع.

2- كثرة الفواصل القرآنية وقصرها، وتنوعها بما يتناسب مع المعاني والمواقف.

3- كثرة أسلوب التأكيد، القسم، ضرب الأمثال، التشبيه وتكرار بعض الجمل والكلمات.

إن القرآن المكي يعتني بالموضوعات التي لها علاقة بأصول العقائد الإيمانية، وبال دعوة إلى توحيد الله، والإيمان باليوم الآخر وبالرسل والملائكة، وكذلك ذكر قصص الأنبياء مع أقوامهم، حتى عُدَّ ذلك

(1) - علوم القرآن الكريم: نور الدين عتر، ص 67.

ميزة تميزه عن القرآن المدني⁽¹⁾ ومثاله القصص الموجودة في سورة الأعراف ويونس وهود وقصة أصحاب الكهف، وغيرها.

ويؤكد الكلام السابق محمد قطب: « حين يكون الموضوع الرئيسي في السور المكية هو العقيدة بتفصيلاتها، يكون الأسلوب المناسب هو الحركة السريعة، والنبض السريع، ومخاطبة الوجدان، مكنم العقيدة... ومع ذلك فهو ليس ذلك الأسلوب العقلي الجاف الذي تستخدمه البحوث العلمية... إنما هو نسق فريد من التعبير لا مثيل له فيما يكتب البشر أو يتحدثون، لا يفقد النبض الحي ولا الجرس الموسيقي، حتى في آيات التشريع البحت، ولا يخاطب عقل الإنسان وحده دون بقية كيانه⁽²⁾ ».

وإنّ عناية المفسرين بالسياق في تفسير القرآن الكريم، جعلهم يكتشفون أمورًا أخرى لها علاقة بأسباب النزول، وبالمكي والمدني في القرآن الكريم، وهذا ما أطلق عليه العلماء قاعدة (العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب)، فهل لهذه القاعدة علاقة مباشرة بالسياق؟ وهل لها دور في تحديد المعنى وأسباب النزول؟.

إن اللفظ العام إذا ورد على سبب خاص فهو على عمومته، فكل آية وردت جواباً عن سؤال، أو فصلاً في واقعة، فإنّ حكمها يجري على كل ما أفاده لفظ العموم، ولا عبرة بذلك السبب كنزول آيات اللعان في هلال بن أمية، وحدّ القذف في زُماة عائشة⁽³⁾.

لأنّ الآيات القرآنية كانت تنزل لمعالجة مشكلات معينة، وبعضها كان يقصّ حوادث وقعت للرسول ﷺ وللمسلمين في ذلك الوقت، ومعظم تلك الآيات ما تكون خاصة السبب لكنها عامة الحكم، لذلك اتفق العلماء على أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب⁽⁴⁾.

والدليل على هذا ما قال السيوطي في الإتيان: « اختلف أهل الأصول: هل العبرة بعموم اللفظ أو بخصوص السبب؟ والأصح عندنا الأول، وقد نزلت آيات في أسباب واتفقوا على تعديتها إلى غير

(1) -قصص الأنبياء في القرآن المدني لا توجد إلا في سور قليلة، كقصة موسى وقومه في سورتي البقرة والمائدة وهما مدينتان، وقصة موسى وعيسى في سورتي آل عمران والصف وهما مدينتان أيضاً.

(2) -دراسات قرآنية: محمد قطب، ط4، دار الشروق، القاهرة، مصر، 1403هـ-1983م، ص20.

(3) -الإتيان في علوم القرآن: أبو الفضل جلال الدين عبد الرحمن ابن أبي بكر السيوطي، تح: مركز الدراسات القرآنية، دط، المملكة العربية السعودية، دت، ج1، ص، 197، 196.

وينظر: -البرهان في علوم القرآن: الزركشي، ج1، ص24.

(4) -الإتيان في علوم القرآن: السيوطي، ج1، ص197، وينظر: البرهان في علوم القرآن: الزركشي، ج1، ص25.

أسبابها»⁽¹⁾.

ويرى صبحي الصالح أن القول بتعددية الآيات إلى غير أسبابها هو الذي أدى بالعلماء إلى «الأخذ بعموم اللفظ بدلا من خصوص السبب، فالنص القرآني العام الذي نزل بسبب خاص معين يشمل بنفسه أفراد السبب وغير أفراد السبب، لأنّ عمومات القرآن لا يعقل أن تُوجّه إلى شخص معين»⁽²⁾.

ومن الأمثلة على ذلك كثيرة نذكر:

- حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن رجلا أصاب من امرأة قبله، فأتي النبي صلى الله عليه وسلم، فذكر ذلك له، قال: فنزلت: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَزُلْفًا مِّنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذَكَرَى لِلذَّكِرِينَ﴾ [هود: 114].

قال: فقال الرجل: ألي هذه يا رسول الله؟ قال: لمن عمل بها من أمتي⁽³⁾.

- والمثال الثاني في آيات الملاعنة في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنفُسُهُمْ فَشَهَدَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَدَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ﴾ [النور: 6-10].

فهذه الآيات نزلت بسبب خاص وهو قذف هلال بن أمية لزوجته⁽⁴⁾.

ولكن لما كانت العبرة بعموم اللفظ، فإنّ الحكم ينطبق على حادثة هلال، ومن ثمّ تتعدى لكل حالة مشابهة لها، فكل من قذف زوجته يطبق عليه الحكم الذي طبق على هلال بن أمية، وذلك بمقتضى نص الآية السابقة.

ومما يدل على صحة هذه القاعدة أيضا، أن أكثر النصوص القرآنية التي نزلت لأسباب خاصة، لم تُسم باسم من كان سببا في نزولها، بل يأتي اللفظ عاما بقصد تطبيق الحكم على جميع المسلمين⁽⁵⁾. إن هذا العنصر مع كونه ذا صلة بعلم الأصول، فهو على صلة وثيقة بأسباب النزول، لأنّ في القرآن الكريم بعض الآيات تنزل بألفاظ عامة وبأسباب خاصة.

(1) - الإتيان في علوم القرآن: السيوطي، ج1، ص196.

(2) - مباحث في علوم القرآن: صبحي الصالح، ص158، 159.

(3) - البرهان في علوم القرآن: الزركشي، ج1، ص30.

(4) - تفسير القرآن العظيم: ابن كثير، ج10، ص172-174.

(5) - البرهان في علوم القرآن: الزركشي، ج1، ص24.

ومن ناحية أخرى، فإنّ عناية المفسرين بالسياق في تفسير القرآن الكريم، جعلهم يكتشفون علاقة يتميز بها النص القرآني، بين آياته وسوره، وهي العلم المعروف باسم "التناسب" أو "المناسبة".

فالمناسبة تعني المشاكلة⁽¹⁾ كما قال صاحب لسان العرب، وهذا ما قال به أيضاً صاحب القاموس المحيط⁽²⁾، وصاحب تاج العروس من جواهر القاموس⁽³⁾، والجوهري في صحاحه⁽⁴⁾.

أما اصطلاحاً فهي المقاربة، أو المشاكلة أو الارتباط، ويكون ذلك بين الألفاظ من حيث البنية أو الدلالة، أو بيان المعاني الحاصلة من التأليف، أو بين الألفاظ والسياقات التي ترد فيها من حيث الشكل والمعنى؛ أي هي: هو وضع الكلام الموضع الذي يليق به، حتى تتم له البلاغة الصحيحة.

يقول السيوطي عن المناسبة: «ومرجعها في الآيات ونحوها إلى معنى رابط بينها عام أو خاص، عقلي أو حسي، أو خيالي، أو غير ذلك من أنواع العلاقات أو التلازم الذهني، كالسبب والمسبب، والعلة والمعلول.. وفائدته: جعل أجزاء الكلام بعضها آخذاً بأعناق بعض، فيقوى بذلك الارتباط ويصير التأليف حاله حال البناء المحكم المتلائم الأجزاء»⁽⁵⁾.

فالمناسبة إذاً تعمل على ربط الكلام ببعضه ببعض لفظاً ومعنى، ولا يمكن استبدال أجزاء من الكلام بأجزاء أخرى، لأن ذلك قد يكون سبباً في حدوث تنافر في الشكل والمعنى.

وقد ألف البقاعي برهان الدين أبو الحسن إبراهيم بن عمر (ت 885هـ) كتاباً اهتم فيه بالمناسبة بين الآيات والسور سماه "نظم الدرر في تناسب الآيات والسور"؛ إذ يرى أن: «علم مناسبات القرآن علم تُعرف منه علل ترتيب أجزائه، وهو سر البلاغة لأدائه إلى تحقيق مطابقة المعاني لما اقتضاه من الحال»⁽⁶⁾.

وأكد فيه أهمية علم المناسبات، فقال: «وبهذا العلم يرسخ الإيمان في القلب ويتمكن من اللب، وذلك أنه ينكشف أن للإعجاز طريقتين: أحدهما نظم كل جملة على حيالها بحسب التركيب، والثاني

(1) - لسان العرب: ابن منظور، مادة (نسب)، ج 49، ص 4405.

(2) - القاموس المحيط: مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي الشيرازي، ط 3، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، مصر، دت، مادة (نسب)، ج 1، ص 131.

(3) - الزبيدي: مادة (نسب)، ج 4، ص 265.

(4) - تاج اللغة وصحاح العربية: مادة (نسب)، ج 1، ص 244.

(5) - ينظر: - الإتيان في علوم القرآن: السيوطي، ج 5، ص 1840، - البرهان في علوم القرآن: الزركشي، ج 1، ص 35، 36.

(6) - نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: برهان الدين أبو الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي، دط، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، مصر، دت، ج 1، ص 5، 6.

نظمها مع أختها بالنظر إلى الترتيب»⁽¹⁾.

وعليه فإن المناسبة بين آيات القرآن الكريم وسوره لا يمكن تجاهلها عند التفسير، لأنّ النص القرآني كل متكامل مترابط ومتلاحم الأجزاء، على الرغم من نزوله منجماً وفق الأحداث والوقائع، ويقول الزركشي في ذلك: «قد وهم من قال: لا يطلب للآي الكريمة مناسبة، لأنها على حسب الوقائع المتفرقة وفصل الخطاب أنها على حسب الوقائع تنزيلاً...والذي ينبغي أن يُبحث أول كل شيء عن كونها مكتملة لما قبلها أو مستقلة، ثم المستقلة ما وجّه مناسبتها لما قبلها؟ ففي ذلك علمٌ جمٌّ، وهكذا السور يُطلب وجه اتصالها بما قبلها وما سيقّت له»⁽²⁾.

وقد عُرف علم "المناسبة" أو "المناسبات" من قبل المفسرين القدماء كأبي حيان الأندلسي في تفسيره البحر المحيط، إذ لم يترك موضعاً يحتاج إلى توضيح المناسبة إلا ووضحه، وأظهر مناسبة الآية لما قبلها وحتى لما بعدها.

ومثاله في قوله تعالى: ﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَةٌ﴾ [البقرة: 197]، قال: «لما أمر الله تعالى بإتمام الحج والعمرة، وكانت العمرة لا وقت لها معلوماً، بين أن الحج له وقت معلوم، فهذه مناسبة الآية لما قبلها»⁽³⁾.

هذه إشارة موجزة إلى المناسبة المتعلقة بالآيات والسور⁽⁴⁾، وتتضح من خلال ما يقوم به المفسر من إيجاد العلاقة الدلالية بين أجزاء النص القرآني بسوره وآياته، وتعتمد على ربط أجزائه ربطاً دلالياً على مستوى الجملة وعلى مستوى المفردات، لأنّ المناسبة تبحث عن العلاقة الموجودة بين السور، وبين الآيات وكذا العلاقة بين الألفاظ المركبة والمفردة، وبين السياق اللغوي والسياق الحالي.

و عبّر اللسانيون المحدثون عن " المناسبة " باسم " ظاهرة الاتساق والترابط " لأنّ: « النص منتوج مترابط متسق ومنسجم، وليس تتابعا عشوائياً لألفاظ وجمل وقضايا وأفعال كلامية..والاتساق من الشروط الأساسية لبناء نصية المعنى...ولا تستقيم نصية القطعة إلا بانسجامها، وهذا يأتي عند إدراج

(1) - نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: البقاعي ج1، ص11.

(2) - ينظر: -البرهان في علوم القرآن: الزركشي، ج1، ص37، 38.

- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: البقاعي، ج1، ص7، 8.

(3) - تفسير البحر المحيط: أبو حيان الأندلسي، ج2، ص93.

(4) - وتفصيلها سيكون في الفصل الثاني: المبحث الثاني.

النص ضمن إطار السياق ولا يكتمل إلا إذا اكتملت كل أبعاد النص»⁽¹⁾.

وعُدَّت "المناسبة" أيضا آلية من آليات ترابط وتلاحم النصوص القرآنية؛ فهي تُظهر تناسب اللفظ المحدّد للمعنى من مجموع الألفاظ المثارة في ذهن المتلقي، أو تحدّد العلاقات التجاورية بين الألفاظ السابقة واللاحقة، حتى تُعطي المعنى المناسب للفظ، لتحقيق الترابط بين المعنى واللفظ⁽²⁾.

وعليه فكل سورة قرآنية تشكّل بناء واحدا يشد بعضه بعضا، تتلاحم أجزاءها وتترابط عناصرها لتتماشى والغرض العام للسورة، ولهذا نجد من الدارسين من تناولها بحسب ترتيب النزول، ومنهم من تناولها بحسب ترتيب المصحف، وهناك من قام بتقسيم السور بحسب مراحل الدعوة الإسلامية، وللمستشرقين نصيب من هذه الدراسات في هذا المجال.

وسنخصص هذه الدراسة لسور الربع الثاني من القرآن المكي، وبحسب ترتيب المصحف الشريف، حتى تتمكن من إدراك مختلف مظاهر الإعجاز من بلاغة وتناسب وترابط وسياق حالي ومقالي.

والجدول الآتي يبين رقم السور وترتيبها في المصحف الشريف:

رقمها	السورة
07	الأعراف
10	يونس
11	هود
12	يوسف
14	إبراهيم
15	الحجر
16	النحل
17	الإسراء
18	الكهف

(1) -خولة طالب الإبراهيمي: مبادئ اللسانيات، ط2، دار القصبية للنشر، الجزائر، 2006م، ص169. وينظر: - أثر السياق في

فهم النص القرآني: عبد الرحمن بودرع، مجلة الإحياء المغربية، العدد25، جمادى الثانية 1428هـ يوليو2007م، ص73.

(2) -آليات ترابط النص القرآني: رشيد برقان، ط1، أفريقيا الشرق، المغرب، 2015م، ص194.

ويذهب صبحي الصالح إلى تقسيم السور المكية إلى ثلاثة مراحل كآلآتي⁽¹⁾:

- المرحلة الأولى وتتضمن السور الآتية: العلق، المدثر، التكوير، الأعلى، الليل، الشرح، العاديات، التكاثر، النجم.

- المرحلة الثانية وتسمى المتوسطة وتتضمن السور الآتية: عبس، التين، القارعة، القيامة، المرسلات، البلد، الحجر.

- المرحلة الثالثة وتسمى الختامية وتتضمن السور الآتية: الصافات، الزخرف، الدخان، الذاريات، الكهف، إبراهيم، السجدة.

وحاول أن يرسم لكل مرحلة من هذه المراحل معالم تميزها عن غيرها.

أما ابن قرناس فقد رتب السور بحسب نزولها وقسمها إلى سبع مراحل، والذي يعيننا منها:

- المرحلة الخامسة وتتضمن السور الآتية: الكهف، الحجر، الأعراف، يونس، إبراهيم، يوسف.

- المرحلة السادسة وتتضمن سورتي: الإسراء، هود.

- المرحلة السابعة وتتضمن سورة: النحل⁽²⁾.

أما عند المفسرين⁽³⁾ فرتبت على هذه الطريقة مع ذكر الرقم على النحو الآتي: الأعراف 39، الإسراء 50، يونس 51، هود 52، يوسف 53، الحجر 54، الكهف 69، النحل 70، إبراهيم 72.

أما المستشرق " تيودور نولدكه " فقد قسم السور القرآنية بحسب نزولها كآلآتي:

- الحجر 57، الإسراء(بنو إسرائيل) 67، الكهف 69، النحل 73، هود 75، إبراهيم 76، يوسف 77، يونس 84، الأعراف 87.

ثم بعد ذلك قسمها إلى مراحل السور المكية، ومراحل السور المدنية على النحو الآتي:

- المرحلة الأولى: لا تتضمن أي سورة من السور موضوع الدراسة.

(1) -مباحث في علوم القرآن: صبحي الصالح، ص158.

(2) -أحسن القصص: تاريخ الإسلام كما ورد من المصدر، مع ترتيب السور حسب النزول، ابن قرناس، منشورات الجمل، ط1، 2010م، بيروت، لبنان، ص86.

(3) -المرجع نفسه: ص18-20.

- المرحلة الثانية وتتضمن السور الآتية: الحجر، الإسراء، الكهف، النحل.

- المرحلة الثالثة وتتضمن السور الآتية: هود، إبراهيم، يوسف، يونس، الأعراف⁽¹⁾.

والجدول الآتي يلخص ترتيب السور في المصحف، وعند المفسرين، وعند تيودور نولدكه:

الرقم	المصحف	المفسرون	نولدكه	الرقم	المصحف	المفسرون	نولدكه
1	الفاحة	العلق	العلق	58	المجادلة	سبأ	مریم
2	البقرة	ن والقلم	المدثر	59	الحشر	الزمر	ص
3	آل عمران	المزمل	المسد	60	المتحنة	غافر	يس
4	النساء	المدثر	قريش	61	الصف	فصلت	الزخرف
5	المائدة	الفاحة	الكوثر	62	الجمعة	الشورى	الجن
6	الأنعام	المسد	الهمزة	63	المنافقون	الزخرف	الملك
7	الأعراف	التكوير	الماعون	64	التغابن	الدخان	المؤمنون
8	الأنفال	الأعلى	التكاثر	65	الطلاق	الجاثية	الأنبياء
9	براءة	الليل	الفيل	66	التحريم	الأحقاف	الفرقان
10	يونس	الفجر	الليل	67	الملك	الذاريات	بنو إسرائيل
11	هود	الضحى	البلد	68	ن والقلم	الغاشية	النمل
12	يوسف	الشرح	الشرح	69	الحاقة	الكهف	الكهف
13	الرعد	العصر	الضحى	70	المعارج	النحل	السجدة
14	إبراهيم	العاديات	القدر	71	نوح	نوح	فصلت
15	الحجر	الكوثر	الطارق	72	الجن	إبراهيم	الجاثية
16	النحل	التكاثر	الشمس	73	المزمل	الأنبياء	النحل
17	بنو إسرائيل	الماعون	عبس	74	المدثر	المؤمنون	الروم
18	الكف	الكافرون	ن والقلم	75	القيامة	السجدة	هود

(1) - تاريخ القرآن: تيودور نولدكه، تعديل فريد ريش شفالي، تر: جورج تامر، منشورات الجمل، بيروت، لبنان، ط4، 2008م،

19	مریم	الفیل	الأعلى	76	الإنسان	الطور	إبراهيم
20	طه	الفلق	التين	77	المرسلات	الملك	يوسف
21	الأنبياء	الناس	العصر	76	النبأ	الحاقة	غافر
22	الحج	الإخلاص	البروج	79	النازعات	المعارج	القصص
23	المؤمنون	النجم	المزمل	80	عبس	النبأ	الزمر
24	النور	عبس	القارعة	81	التكوير	النازعات	العنكبوت
25	الفرقان	القدر	الزلزلة	82	الانفطار	الانفطار	لقمان
26	الشعراء	الشمس	الانفطار	83	المطففين	الانشقاق	الشورى
27	النمل	البروج	التكوير	84	الانشقاق	الروم	يونس
28	القصص	التين	النجم	85	البروج	العنكبوت	سبأ
29	العنكبوت	قريش	الانشقاق	86	الطارق	المطففين	فاطر
30	الروم	القارعة	العاديات	87	الأعلى	البقرة	الأعراف
31	لقمان	القيامة	النازعات	88	الغاشية	الأنفال	الأحقاف
32	السجدة	الهمزة	المرسلات	89	الفجر	آل عمران	الأنعام
33	الأحزاب	المرسلات	النبأ	90	البلد	الأحزاب	الرعد
34	سبأ	ق	الغاشية	91	الشمس	الممتحنة	البقرة
35	فاطر	البلد	الفجر	92	الليل	النساء	البينة
36	يس	الطارق	القيامة	93	الضحى	الزلزلة	التغابن
37	الصفات	القمر	المطففين	94	الشرح	الحديد	الجمعة
38	ص	ص	الحاقة	95	التين	محمد	الأنفال
39	الزمر	الأعراف	الذاريات	96	العلق	الرعد	محمد
40	غافر	الجن	الطور	97	القدر	الرحمن	آل عمران
41	فصلت	يس	الواقعة	98	البينة	الإنسان	الصف
42	الشورى	الفرقان	المعارج	99	الزلزلة	الطلاق	الحديد

43	الزخرف	فاطر	الرحمن	100	العاديات	البيئة	النساء
44	الدخان	مریم	الإخلاص	101	القارعة	الحشر	الطلاق
45	الجاثية	طه	الكافرون	102	التكاثر	النور	الحشر
46	الأحقاف	الواقعة	الفلق	103	العصر	الحج	الأحزاب
47	محمد	الشعراء	الناس	104	الهمزة	المنافقون	المنافقون
48	الفتح	النمل	الفاتحة	105	الفيل	المجادلة	النور
49	الحجرات	القصص	القمر	106	قريش	الحجرات	المجادلة
50	ق	بني إسرائيل	الصفات	107	الماعون	التحريم	الحج
51	الذاريات	يونس	نوح	108	الكوثر	التغابن	الفتح
52	الطور	هود	الإنسان	109	الكافرون	الصف	التحريم
53	النجم	يوسف	الدخان	110	النصر	الجمعة	الممتحنة
54	القمر	الحجر	ق	111	المسد	الفتح	النصر
55	الرحمن	الأنعام	طه	112	الإخلاص	المائدة	الحجرات
56	الواقعة	الصفات	الشعراء	113	الفلق	التوبة	التوبة
57	الحديد	لقمان	الحجر	114	الناس	النصر	المائدة

وهناك دراسة رائدة في هذا المجال تحت عنوان: " فهم القرآن الحكيم: التفسير الواضح حسب ترتيب النزول " لصاحبها: "محمد عابد الجابري" ولعلها أول دراسة تفسيرية تحمل في عنوانها التفسير حسب النزول، وهي عبارة عن كتاب من ثلاث أقسام، حيث تقوم بتقسيم القرآن الكريم إلى مراحل، ومن ثمّ تحاول تفسيره حسب النزول سورةً بسورة، وأيةً بأية. (1)

وما يعيننا من هذه الدراسة هو القسمين الأول والثاني؛ حيثُ ورد في القسم الأول السور الآتية: الأعراف، يونس، هود، ويوسف، وكلها منطوية في المرحلة الثالثة التي أُطلق عليها اسم: إبطال الشرك وتسفيه عبادة الأصنام (2).

(1) - فهم القرآن الحكيم: التفسير الواضح حسب ترتيب النزول: محمد عابد الجابري، ط3، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، تموز/يوليو 2009م.

(2) - المرجع نفسه: القسم الأول، ص220، و341-375.

أما في القسم الثاني منه فقد وردت السور الآتية: الحجر وهي في المرحلة الرابعة، التي أُطلق عليها اسم: الصّدع بالأمر والاتصال بالقبائل، ونجد في المرحلة السادسة التي أُطلق عليها مرحلة: ما بعد الحصار: مواصلة الاتصال بالقبائل، والاستعداد للهجرة إلى المدينة، حيث وردت السور الآتية: الكهف، النحل، إبراهيم، الإسراء⁽¹⁾.

لقد حاولت هذه الدراسة تفسير القرآن الكريم بجعله وحدة متكاملة الأجزاء، حسب ترتيب النزول من جهة، وحسب الوقائع التي زويت عن الرسول ﷺ من جهة أخرى، لتؤكد تطابق تسلسل السور في كل مجموعة، ومن ثمّ يتبين أن مسار التنزيل مساوق للأحداث التي وقعت أثناء الدعوة الإسلامية، لقوله تعالى: ﴿كَتَبْنَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ، قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [سورة فصلت: 3].

وإن ترتيب السور حسب المصحف الشريف، يمكن من التعرف على الدور الذي يؤديه السياق، لأنّ السور إذا لم توضع في سياقها وظرفها الذي جاءت فيه، فمن الممكن أن تُفهم على غير وجهها، وأن تُفسر على غير المراد منها، لـ «أنّ أهم وظيفة لدلالة السياق القرآني هي: بيان المعنى، بل إن جميع وظائف السياق داخله تحت لوائه»⁽²⁾.

لهذا وجب علينا الاعتماد على اللغة، والتسليم بقرينة الحال أو السياق المقامي وأسباب النزول وغيرها، وهذا للوصول إلى المعنى الصحيح.

لقد تناولنا في هذا المدخل نقاطا متعلقة بالسياق القرآني، وتحديد المعنى، وأسباب النزول، والخطاب القرآني وما له من خصائص، من تماسك أجزائه، وترابط كلماته وجمله وآياته وسوره، وإن كانت السور، متفرقة النزول فإنها كثيرة المعاني، وتبحث في مسائل مختلفة، ومع هذا فهي نص واحد، متماسكٌ داخلياً، مما جعله قرآناً معجزاً لا يدانيه فيه أي كلام، ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: 9].

(1) - فهم القرآن الحكيم: التفسير الواضح حسب ترتيب النزول: محمد عابد الجابري : القسم الثاني، ص31، 205-246، 327.

(2) - وظائف السياق في التفسير القرآني: عقيد خالد العزاوي، محمد شاكر الكبيسي، ط1، دار العصماء، دمشق، سوريا، 1436هـ -2015 م، ص97.

الفصل الأوّل:

أثر دلالة السّياق في التّركيب.

المبحث الأوّل - أثر دلالة السّياق في التّقديم والتّأخير.

المبحث الثّاني - أثر دلالة السّياق في الحذف.

المبحث الثّالث - أثر دلالة السّياق في تعيين نوع الجمل.

المبحث الأول:

أثر دلالة السياق في التقديم
والتأخير.

تمهيد:

إن التقديم والتأخير من أدقّ الأبواب البلاغية، ومن أهمّ مباحث علم المعاني، حيث تظهر فيه بلاغة الأساليب وروعة العبارة، لدلالته على الفصاحة وحسن تصريف الكلام، وحسن ترتيبه في الجملة، قال عنه الزركشي: «هو أحد أساليب البلاغة، فإنهم أتوا به دلالة على تمكّنهم في الفصاحة وملكتهم في الكلام، وانقياده لهم، وله في القلوب أحسن موقع، وأعذب مذاق»⁽¹⁾.

ويرتبط التقديم والتأخير بالسياق ارتباطاً دقيقاً متماسكاً لا انفصام فيه، لأن القرآن الكريم: «دقيق في وضع الألفاظ ورصفها بجنب بعض دقة عجيبة، فقد تكون له خطوط عامة في التقديم والتأخير، وقد تكون هناك مواطن تقتضي تقديم هذه اللفظة أو تلك، كل ذلك مراعى فيه سياق الكلام والاتساق العام في التعبير على أكمل وجه وأبهى صورة»⁽²⁾.

وفي هذا دليل على أن موقع الكلمة من الجملة، يعدّ من أهم العناصر التي تساهم في تجلية المعنى وتوضيح دلالاته.

وقد عنيّ العلماء من "بلاغيين"⁽³⁾ و"نحويين"⁽⁴⁾ و"مفسرين"⁽⁵⁾، بدراسة هذا الفن في كتبهم وأبحاثهم، وفي تفسيرهم للآيات القرآنية.

(1) _ البرهان في علوم القرآن: الزركشي، ج3، ص 233.

(2) _ التعبير القرآني: فاضل صالح السامرائي، دار عمان، الأردن، ط4، 1427هـ-2006م، ص 53.

(3) _ عالج علماء البلاغة التقديم والتأخير من ناحية أسلوبية تعبيرية، ومثال ذلك: كتاب دلائل الإعجاز في علم المعاني، لعبد القاهر الجرجاني الذي أفرد له حيزاً كبيراً في كتابه بداية من الصفحة 76 إلى 99.

(4) _ عالج علماء النحو التقديم والتأخير من وجهة نظر نحوية إعرابية، تتصل بشروط التقديم والتأخير، وجواز امتناعه، وأسبابه وأهدافه من مثل:

_ الأصول في النحو: أبو بكر محمد بن سهل بن السراج: تح: عبد الحسين الفتلي، ط3، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، 1417هـ-1996م، ج2، ص 222-255.

(5) _ عالج علماء التفسير التقديم والتأخير من وجهة نظر تفسيرية إعجازية للتأكيد على بلاغة الكلمة وفصاحة وجمال العبارات والجمل القرآنية، وهذا ما يظهر في جل ثنايا كتب التفسير، ينظر على سبيل المثال: البحر المحیط للأندلسي، جامع البيان للطبري، أضواء البيان للشنقيطي وغيرهم.

كما اهتمت الدراسات الأسلوبية⁽¹⁾ بهذا الفن في كل علوم اللغة العربية.

ويوجد من ربطه "بالترجمة" إلى لغات أخرى كالإنجليزية والروسية، فما أثر هذا في مباحثه؟⁽²⁾
وقبل تفصيل هذه القضايا، نُعرِّف التقديم والتأخير:

لغة: يقال: تقدّمه وتقدّم عليه واستقدم، وقدمته وأقدمته، فقدم وأقدم بمعنى تقدّم، ومن مقدمة الجيش للجماعة المتقدمة والإقدام في الحرب⁽³⁾.

يقول ليبد بن أبي ربيعة: [قافية الميم بحر الكامل]

فمضى وقدمها وكانت عادةً منه إذا هي عرّدت إقدامها⁽⁴⁾.

أي يُقدّمها.

والقدّم والقدمّة: السابقة في الأمر، وتقدّم، كقدّم، واستقدم: تقدّم⁽⁵⁾، وأقدم على الأمر: شجع، وأقدمته وقدمته⁽⁶⁾.

ويقال: مضى فُدّمًا وتأخر أخّرًا وجاء في أخريات الناس، وأخّرتَه فتأخّر واستأخر كتأخر⁽⁷⁾، ومنه قوله

تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنْكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ﴾ [الحجر: 24].

والآخر خلاف الأول يقال: لا مرحبًا بالآخر أي بالأبعد⁽⁸⁾.

(1) ينظر: - البحث الأسلوبى: معاصرة وتراث، رجاء عيد، دط، منشأة المعارف، الإسكندرية، مصر، 1993م، ص 14.

- البلاغة والأسلوبية: محمد عبد المطلب، ص 329-338.

- التقديم والتأخير ومباحث التراكيب بين البلاغة والأسلوبية: مختار عطية، د ط، دار الوفاء لنديا الطباعة والنشر، الإسكندرية، مصر، 2005م، ص 47-65.

(2) في البلاغة العربية والأسلوبيات اللسانية، آفاق جديدة: سعد عبد العزيز مصلوح، ط2، عالم الكتب، القاهرة، مصر، 2010م، ص 118-136.

(3) أساس البلاغة: الزمخشري، مادة (قدم)، ج2، ص 58.

(4) ديوان ليبد بن ربيعة: اعتنى به: حمدو طماس، ط1، دار المعرفة، بيروت، لبنان، 1425 هـ-2004م، ص 110.

(5) لسان العرب: ابن منظور: مادة (قدم)، ج40، ص 3552.

(6) القاموس المحيط: الفيروز آبادي، باب الميم، فصل القاف، ج4، ص 159.

(7) أساس البلاغة الزمخشري، مادة (آخر)، ج1، ص 22.

(8) لسان العرب: ابن منظور: مادة (آخر)، ج1، ص 38.

وتأخر وأخر تأخيراً استأخر⁽¹⁾.

أما اصطلاحاً: الكلمة تتبادل مع غيرها لتترك موقعها في الكلام، إما أن تأتي متقدمة أو متأخرة، وهذا لكي تؤدي دوراً بلاغياً، ما كانت لتؤدي لو أنها بقيت في مكانها الأصلي⁽²⁾.

ولهذا اللون البلاغي أهمية بالغة، إذ لا يتم تقديم كلام على نية التأخير أو تأخيره على نية التقديم عبثاً، ولا يخرج الشيء المقدم أو المؤخر عن حكمه الإعرابي الذي كان له في الأصل، ولكنه قد يخرج عن حكمه البلاغي الذي كان له إلى حكم آخر اقتضاه المعنى، لبواعث تخرج الكلام في صورة أبلغ وأفصح لتضفي على النص قيمة جمالية ومعاني بلاغية، لا يتوصل إليها إلا بهذا الأسلوب البلاغي.

وقد حظي هذا الباب بدراسة متميزة عند عبد القاهر الجرجاني⁽³⁾ (ت 471هـ)، إذ يُعدّ من الأوائل الذين تناولوه، وأحاطوه بدراسة خاصة، وقد نبّه إلى مكانته في البلاغة، وعزا الفضل لجمال الكلام وحسن تأثيره في المتلقي إلى جمال نظمه إذ يقول عنه: «هو باب كثير الفوائد، جُمّ المحاسن، واسع التصرف، بعيد

(1) _ القاموس المحيط: الفيروز آبادي، باب الرءاء، فصل الممزة، ج 1، ص 360.

(2) _ بلاغة الكلمة والجملة والجمال: منير سلطان، ط 3، منشأة المعارف الإسكندرية، مصر، 1996م، ص 108.

(3) _ هناك علماء كثر تناولوا هذا الفن قبل الجرجاني منذ عصور مبكرة جداً، فهذا سيوييه (ت 180هـ) يقول: «كأنهم كانوا يقدمون الذي بيّأه أهم لهم، وهم بيّأه أغنى، وإن كان جميعاً يُهمّانهم ويعنيانهم». الكتاب: أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر سيوييه: تح عبد السلام محمد هارون، ط 3، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، 1408هـ-1988م، ج 1، ص 35.

_ وسماه ابن جني (ت 392هـ) مع أبواب أخرى كالحذف "باب شجاعة العربية"، ينظر: الخصائص: أبو الفتح عثمان بن جني، تح: محمد علي النجار، د ط، دار الكتب المصرية، مصر، دت، ج 2، ص 360.

وبعد الجرجاني (ت 471هـ) الذي يُعدّ أول من سبر أغواره وعمق البحث في أغراضه، ثم الزمخشري في الكشف (ت 538هـ): ومنه بداية التطبيق العملي في آيات القرآن الكريم.

ثم الفخر الرازي (ت 604هـ) في التفسير الكبير. وبعده أبو يعقوب السكاكي (ت 626هـ) في مفتاح العلوم.

وبعد ضياء الدين بن الأثير (ت 637هـ) في المثل السائر في أدب الشاعر والكاتب، ويأتي بعده أبو حيان التوحيدي (ت 745هـ) في تفسير البحر المحيط، وبعده ابن قيم الجوزية (ت 751هـ) في كتابه المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان، ثم الزركشي (ت 774هـ) في البرهان في علوم القرآن، والسيوطي (ت 911هـ) في الإتيان في علوم القرآن، ومعتز الأقران.

وتناول كل واحد من هؤلاء العلماء التقديم والتأخير بحسب وجهة نظره الخاصة (بلاغة أم تفسيراً أم علوم قرآن)، واتفقوا على أهميته في الكلام.

الغاية لا يزال يفتّر⁽¹⁾ لك عن بديعة، ويُفضي⁽²⁾ بك إلى لطيفة، ولا تزال ترى شعراً يروقك مسمّعه، ويلطفُ لديك موقّعه، ثم تنظر فتجد سبب أن راقك ولطفُ عندك، أن قدّم فيه شيء، وحوّل اللفظ عن مكانٍ إلى مكانٍ⁽³⁾.

إن أسلوب التقديم والتأخير يجعل الكلام أكثر تأثيراً وجمالاً، لأنه ينقل المعاني إلى المخاطبين على وفق ترتيبها في ذهن المتكلم، لأن الكلمة حين تتأخر لعله ما، أو تتقدم لسبب ما، تُحدث في النفس تأثيراً جديداً، مستحوذةً على اهتمام كل من المتكلم والمخاطب على حد سواء.

وإن بروز ثنائية التقديم والتأخير في القرآن الكريم جعلت له خصوصية فريدة في تعبيره، فكل تغيير في موقع أحدهما له هدف ومغزى جمالي وإعجازي أيضاً.

فالكلمة القرآنية تختلف عن سائر الكلمات، لأنها تحمل أفكاراً ورؤى ومعاني متدفقة، تُضفي على النص جمالية مخصوصة في سياقها المخصوص، وكأنها خلقت لهذا الموقع بعينه، ولو كانت هذه الكلمة أو غيرها في غير الموقع نفسه، لما تستطيع توفية المعنى حقّه، فكل كلمة وضعت في موضعها لتؤدي نصيبها من المعاني⁽⁴⁾.

إن الكشف عن جمال هذا الأسلوب في القرآن الكريم، هو الكشف عن منبع من منابع الإعجاز القرآني، وطرائق استعماله للكلمات، وفي هذا تأكيد على أن نظم القرآن الكريم يختلف عن نظم كلام البشر، ذلك أن القرآن الكريم قد فاق المعهود من نظام كلام العرب، لقوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: 09].

وإن ما نتوخاه من هذا المبحث هو دراسة أسلوب التقديم والتأخير وعلاقته بالسياق وأسباب النزول فقط، وهذا لأن علماء "النحو"، و"البلاغة" و"التفسير"، و"علوم القرآن" قد درّسوا كل ما يتعلّق به، وهذا

(1) _ يفتّر: يكشف.

(2) _ يفضي بك: يوصلك.

(3) _ دلائل الإعجاز: عبد القاهر الجرجاني، ص 106،

وإلى المعنى نفسه ذهب حمادي صمود في كتابه: التفكير البلاغي عند العرب أسسه وتطوره إلى القرن السادس (مشروع قراءة) دط، منشورات الجامعة التونسية، تونس 1981م، ص 119.

(4) _ إعجاز القرآن والبلاغة النبوية: مصطفى صادق الرافعي، ط3، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، 1425م-2005م، ص 156.

تفاديا للتكرار الذي قد يُخرج البحث عن مساره⁽¹⁾.

وُقِّسَمَ التقديم والتأخير في أغلب الكتب النحوية والبلاغية إلى ضربين:

-ضرب على نية التأخير، وضرب لا على نية التأخير، وهذا أنضج تقسيم أتى به عبد القاهر

الجرجاني.

(1) _ قلت سابقا إن عبد القاهر الجرجاني هو الذي أرسى قواعد هذا الفن، وفصل فيه وذكر أقسامه، لكن مع هذا نجد دراسات أخرى، منها من أعاد تقسيمات الجرجاني بمخالفاتها، ومنهم من حاول إعطاء صورة أخرى لهذا الفن ينظر:
-بلاغة التقديم والتأخير في القرآن الكريم: علي أبو القاسم عون، ط1، دار المدار الإسلامي، بيروت، لبنان، يناير 2006م، هو عبارة عن كتاب من ثلاثة أجزاء وهو في الأصل رسالة دكتوراه، نوقشت في المغرب، تابع فيه تقسيم الجرجاني لتقديم والتأخير وأضاف الأغراض البلاغية التي يخرج إليها.
-التقديم والتأخير في القرآن الكريم بلاغة وإبلاغ: خلدون سعيد صبح، ط1، دار الينابيع طباعة ونشر وتوزيع، دمشق، سوريا، 2002م،
أضاف على تقسيمات الجرجاني ما يلي:

* التقديم والتأخير وأثره في التصوير: ص 244-258.

* التقديم والتأخير وأثره في القص القرآني: ص 259-271.

* التقديم والتأخير وأثره في التنغيم الموسيقي: ص 271-282.

-أسرار التقديم والتأخير في لغة القرآن الكريم: محمد السيد شيخون، ط1، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، مصر، 1403هـ-1983م.
اعتمد على تقسيمات الجرجاني خصوصًا في باب التقديم والتأخير في الاستفهام وفيه ثلاثة فصول، أما في فصل التقديم والتأخير في القرآن الكريم، اعتمد على ما جاء في فصل التقديم والتأخير في كل من البرهان في علوم القرآن الجزء الثالث، والإتقان في علوم القرآن للسيوطي الجزء الرابع.

-التراكيب النحوية من الوجهة البلاغية عند عبد القاهر الجرجاني: عبد الفتاح لاشين، دط، دار المريخ، للنشر، المملكة العربية السعودية، دت، ص 139-156.

-البلاغة العربية أسسها، وعلومها وفنونها: عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، ط1، دار القلم، دمشق سوريا والدار الشامية، بيروت، لبنان، 1416هـ-1996م، ج1، ص 350-359.

-بلاغة التراكيب: دراسة في علم المعاني: توفيق الفيل، د ط، مكتبة الآداب، القاهرة، مصر، 1991م، ص 115-140، أغلب التطبيق كان على الأبيات الشعرية.

-البلاغة فنونها وأفانها: علم المعاني: فضل حسن عباس، دار الفرقان للطباعة والنشر والتوزيع، الأردن، 1417هـ-1997م، ص 207-243.

هذه بعض الكتب على سبيل المثال ومع هذا فإننا لا نعدم الفائدة منها.

ففي الضرب الأول تتواجد العناصر في مواقع ليس لها، كالمفعول المقدم على الفاعل، والخبر على المبتدأ، غير أن حركة الإعراب تكون ثابتة، وهي التي تدل على الموقع الأصلي، والضرب الثاني هو أن ينقل الشيء من حكم إلى حكم، ويُجعل في بابٍ غير بابه، وإعرابًا غير إعرابه⁽¹⁾.

ويضرب لذلك مثالاً في الاسمين يحتمل كل واحد منهما أن يكون مبتدأ، فأيهما قدّم فلا حرج في ذلك، كقولك: "زيد المنطلق"، وأخرى "المنطلق زيد"⁽²⁾.

ويشير السكاكي أيضًا إلى هذا التقسيم في كتابه "مفتاح العلوم"⁽³⁾.

وسأعمد في هذا المبحث إلى بيان علاقة التقديم والتأخير بالسياق وبالخطاب القرآني، لأن هناك نوعاً منه لا يرجع إلى تقدم أحد ركني الإسناد على الآخر، ولا تقدم متعلقات الفعل عليه كتقديم المفعول به، الجار والمجرور، الظرف، الحال.

وإنما هو مختص بدرجة التقدم في الذكر لاحتصاصه بما يوجب له ذلك كتقديم السبب على المسبب، الأكثر على الأقل، تقديم السماء على الأرض وغيرها كثيرة⁽⁴⁾.

وقد رأيتُ بعض الظواهر التي تحتاج إلى دراسة وتعمق، لما لها من علاقة وطيدة بظاهرة التقديم والتأخير، مقترحةً التقسيم الآتي:

أولاً- ما قدّم في آية وأُخِّر في أُخرى.

ثانياً- علاقة التقديم والتأخير بالتكرار.

ثالثاً- أثر التقديم والتأخير في التصوير.

أولاً- ما قدّم في آية وأُخِّر في أُخرى:

تتقدم الألفاظ بعضها على بعضٍ لأغراضٍ مختلفة، ويدل سياق الآيات على أن كل تقديم أو تأخير يحقق أغراضاً معينة ومعاني مختلفة، فقد يقدّم اللفظ في موضعٍ بحسب السياق لأهميته في ذلك الموضع

(1) _ دلائل الإعجاز: عبد القاهر الجرجاني، ص 106.

(2) _ المصدر نفسه،: ص 107.

(3) _ مفتاح العلوم: السكاكي، ص 236، 237.

(4) _ فصل الزركشي كثيراً في هذه الأنواع، ينظر: البرهان في علوم القرآن، ج3، ص 239-275.

بالذات، ويُؤخر في موضعٍ آخر لاختلاف السياق، حتى وإن كان المعنى نفسه أو القصة واحدة، كقوله تعالى في سورة الأعراف: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسِنُهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْفِهَا إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمُ إِلَّا بَغْنَةً يَسْتَلُونَكَ كَذَلِكَ حَفِيٌّ عَنَّا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٧﴾ قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبِ لَاسْتَكْرَمْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٨﴾﴾ [الأعراف 187، 188].

وقوله في سورة يونس: ﴿وَأَمَّا نُورُكَ بَعْضَ الَّذِي نَعُدُّهُمْ أَوْ نُنَوِّقُكَ فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ اللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ ﴿٤٦﴾ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولٌ فَإِذَا جَاءَ رَسُولُهُمْ قُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٤٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٤٨﴾ قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ إِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ فَلَا يَسْتَجِرُّونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٤٩﴾﴾ [يونس 46-49].

إن الشاهد في هذه الآيات هو قوله تعالى: ﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾ [الأعراف 188].

وفي سورة يونس: ﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾ [يونس: 49].

فقدّم "النفع" في سورة الأعراف وأُخِّرَ في سورة يونس، فما الغرض من هذا التقديم والتأخير؟ وما الغاية الإعجازية والبلاغية من هذا الخطاب؟.

إن ما يجب معرفته أولاً هو سبب نزول هذه الآية، فقد قال الكلبي: إن أهل مكة قالوا: يا محمد ألا يخبرك ربك بالسعر الرخيص قبل أن يعلو فنشترى فنبريح، وبالأرض التي يُريد أن تُجذب، فترحل عنها إلى ما قد أُخْصِبَ فأنزل الله تعالى هذه الآية⁽¹⁾

إن هذا الخطاب موجه من النبي ﷺ إلى الكفار، ولكن السياق يختلف في الآيتين، إلا أن لفظ "الضرر" يتقدّم على لفظ "النفع" في أكثر الآيات⁽²⁾.

(1) _ أسباب النزول: أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري، وبهامشه الناسخ والمنسوخ: أبو القاسم هبة الله ابن سلامة أبي النصر، د ط، عالم الكتب، بيروت، لبنان، د ت، ص 171.

(2) _ الآيات التي يتقدم فيها الضر على النفع هي:

لأن الإنسان عندما يعبد خالقه يعبد خوفاً من العقاب وطمعاً في الثواب لقوله تعالى: ﴿يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ [السجدة: 16].

ففي آية سورة الأعراف رُبط بين " النفع " و " الضر " لعلاقتهما بالسؤال عن الساعة: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا﴾، وقدم "الضر" في آية سورة يونس، لأنها سُبقت بسؤال عن الوعد: ﴿مَتَىٰ هَذَا الْوَعْدِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾.

وإن المتأمل في تناسق الكلمات، يلحظ أن جوابه ﷺ جاء مناسباً للسياق الذي وردت فيه هذه الأحداث، ومناسبا لكل جملة من آيات سورة الأعراف التي فيها سؤال عن الساعة، لظنهم أنه عليه السلام على علم بها، فطلبوا منه أن يخبرهم بذلك، لأنه رسولٌ أرسل من عند الله كما قال الكفار، فكان جوابه: لو كنت أعلم وقت الساعة لأكثرت من فعل الخير ﴿وَلَوْ كُنْتَ أَعْلَمُ الْغَيْبِ لَأَسْتَكْرَثْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءَ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: 188].

يقول الطبري في ذلك مفسراً: « لو كنت أعلم الغيب لأعددت للسنة المجذبة من المخصبة، وعلفت

1- قوله تعالى: ﴿وَيَدْعُومُنَّ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ وَلَيْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: 102].

2- قوله تعالى: ﴿قُلْ أَعْبُدُوا مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [المائدة: 76].

3- قوله تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شَفَعَتُونَا عِنْدَ اللَّهِ قُلْ أَتَسْتَعِينُونَ اللَّهُ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ سُبْحَانَهُ، وَتَعَلَّىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [يونس: 18].

4- قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا﴾ [طه: 89].

5- قوله تعالى: ﴿يَدْعُوا مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَمَا لَا يَنْفَعُهُمْ ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ يَدْعُوا لَمَن ضُرُّهُم مِّن نَّفْعِهِمْ لَيْسَ الْمَوْلَىٰ وَلَيْسَ الْعَشِيرُ﴾ [الحج: 12-13].

6- قوله تعالى: ﴿وَإِخْذُوا مِن دُونِهِمُ الْهَيْهَاتَ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا دُورًا﴾ [الفرقان: 03].

7- قوله تعالى: ﴿سَيَسْأَلُكَ الْمُخْلِصُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ سَعَتَنَا أَمْوَالَنَا وَهَلُونَا فَاسْتَعْفِرْنَا يَفُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا بَلْ كَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ [الفتح: 11].

الغلاء من الرخص، فاستعددت له من الرخص... ولا اجتنبت ما يكون من الشر قبل أن يكون واتقيته»⁽¹⁾.
 أما في سورة يونس فقد رُبطت بالوعد ﴿ وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ ﴾ وهو قول الكفار في تحديهم للمؤمنين، وفي طلبهم تعجيل العذاب، ﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولٌ فَإِذَا جَاءَ رَسُولُهُمْ قُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ [يونس: 47]، لأنه عليه السلام لا يملك لنفسه ضرا ولا نفعا، ومنه قُدِّم الضر على النفع.

ولأبي حيان التوحيدي رأي آخر حيث يقول: « وقدّم هنا النفع على الضر لأنه تقدم ﴿ مَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِيٌّ وَمَن يُضِلِّلْ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ [الأعراف: 178]، قدم الهداية على الضلال وبعده: ﴿ لَأَسْتَكْثِرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ ﴾ [الأعراف: 188]، فناسب تقديم النفع، وقدم الضر في يونس، لأن العبادة لله تعالى تكون خوفا من عقابه أولا، ثم طمعا في ثوابه»⁽²⁾.

إن الخطاب القرآني يعتمد أساسًا على طرائق اللغة العربية في التعبير عن المعنى، فينوع من أنساقه التعبيرية بحسب الحدث والمكان والزمان، وحالة الناس من إيمان وكفر وشرك، فلكل تقدم وتأخير حكم إعجازية وبلاغية، ترتبط بالخطاب وبالسياق القرآني.

ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿ أَفَأَصْفَنكُمْ رَبُّكُم بِالْبَيْنِ وَأَنْتُمْ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنْتُمْ أَنْتُمْ لَنَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِيَذَكَّرُوا وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴾ [الإسراء: 40-41].

وقال في سورة الكهف: ﴿ وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا شُرَكَاءِيَ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ مَوْبِقًا ﴿٥٢﴾ وَرَاءَ الْمَجْرُمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا أَنَّهُمْ مُوَافِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُوا عَنْهَا مَصْرِفًا ﴿٥٣﴾ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا ﴿٥٤﴾ ﴾ [الكهف: 52-54].

(1) تفسير القرآن العظيم: ابن كثير، ج6، ص479.

(2) تفسير البحر المحيط: أبو حيان الأندلسي: ج4، ص433.

وينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن (تفسير الطبري): الطبري، ج10، ص590.

جاء في سورة الإسراء قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ﴾، أما في سورة الكهف ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ﴾ فما وجه التقديم والتأخير في الآيتين السابقتين وهل للسياق دور في ذلك؟.

إن الخطاب في سورة الإسراء هو خطابٌ من الرسول ﷺ إلى قومه، الذي بيّن فيه أمر المخالفين لهذه الشريعة الصحيحة، أما في سورة الكهف فهو خطابٌ وُجّه لبيان أحوال الناس من كفر وإيمان.

أما سياق الخطاب في سورة الإسراء فخاص بالكفار، فناسب تقديم "القرآن" لأنهم قد كذبوا به، لزمهم أن الملائكة بنات الله، وأنه اختارهم دون غيرهم من المخلوقات: ﴿أَلَكُمُ الذَّكْرُ وَلَهُ الْأُنثَى﴾ [النجم: 21]، وهم من كان يئد البنات في الجاهلية ويتركون الذكور.

بينما سياق سورة الكهف فمتعلق باتخاذ المشركين شركاء من دون الله تعالى، وطلب مساعدتهم يوم لا ظل إلا ظله، فناسب تقديم "الناس" (1).

يقول ابن الزبير الغرناطي: «إن الأولى وقع قبلها ﴿أَفَأَصْفَكَ رَبُّكُمْ بِالْبَنِينَ وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنثًا إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا﴾ وهذا خطاب مراد به كفار العرب، فلم يذكر فيه لفظ الناس العام لهم ولغيرهم، إذ الخطاب خاص بهم، وأما آية الكهف فلم يقع قبلها ذكر الثقلين معاً، فيحتاج إلى ذكر تقديم الناس كما احتيج في الإسراء، ألا ترى أن فصل آية الكهف ﴿وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا شُرَكَاءِيَ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم مَّوْبِقًا﴾ [الكهف: 52] « (2).

ولقد ربطها السامرائي بافتتاحية سورة الكهف بدأت بالحديث عن القرآن الكريم، ثم ذكر أصحاب الكهف، وموسى، والرجل الصالح، وذكر ذي القرنين، لذا قدّم "القرآن" على "الناس": ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ

(1) _ جامع البيان عن تأويل آي القرآن (تفسير الطبري): الطبري، ج14، ص 602، 603. و ج15، ص300.

(2) _ ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه التشابه اللفظ من آي التنزيل: أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي الغرناطي: تح سعيد الفلاح، د ط، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1403هـ-1983م، ج2، ص 765، 766. والمعنى نفسه موجود في كتاب: دلالات التقديم والتأخير في القرآن الكريم، دراسة تحليلية: منير محمود علي المسيري، تقديم: عبد العظيم المطفي وعلي جمعة، ط1، مكتبة وهبة القاهرة، مصر، 1426هـ-2005م، ص 467، 468.

الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا قِيمًا لِيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِمَّنْ لَدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ﴿ [الكهف 1-2].

أما سورة الإسراء فبدأت بالكلام على "الناس" ثم بـ "القرآن الكريم": ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَنَيْنَا لَهُ حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الإسراء: 1]⁽¹⁾.

ويقول البقاعي في ربط التقديم والتأخير بين مبنى سورة الإسراء وبين تقديم "الناس": «لما كان مبنى السورة على بيان العناية بالناس الذين اتقوا والذين هم محسنون، اقتضى المقام لمزيد الاهتمام بتقديم قوله تعالى "للناس"»⁽²⁾.

وربط أيضا بين مبنى سورة الكهف وتقديم "القرآن": «لما كانت هذه السورة في وصف الكتاب، اقتضى الاهتمام به تقديمه في قوله: "في هذا القرآن"»⁽³⁾.

والملاحظ على تحليل البقاعي أنه ربط التقديم والتأخير بالقرآن الكريم، فمرة يتقدم لفظ "القرآن" على "الناس" كما في سورة الكهف، ومرة يتأخر كما في سورة الإسراء.

والناظر في الآيتين يدرك أن السياق القرآني يحمل كثيراً من الخصائص التركيبية، التي تسمو على لغة البشر قوة وصفاء ونقاء، ويختلف السياق فيؤدي إلى معانٍ بلاغية دقيقة تثبت إعجاز القرآن الكريم.

ومن أمثلة التقديم والتأخير آيات ذكرت لفظي "السمع والبصر"، والتي قد يتقدم فيها "السمع" على "البصر" أحيانا أو يتأخر وقد يحدث العكس؛ وقد ذكرت لفظة "السمع" في إحدى عشر موضعاً هي:

1- قوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَمِيتِ

(1) _ التعبير القرآني: فاضل صالح السامرائي، ص 69، 70.

(2) _ نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: البقاعي: ج 11، ص 423.

(3) _ المصدر نفسه: ج 11، ص 88.

- وَيُخْرِجُ أَلْمِيَّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدِيرِ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿[يونس: 31].
- 2- قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ لَمْ يَكُونُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ يُضَعِفُ لَهُمْ الْعَذَابَ مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ ﴿[هود: 20].
- 3- قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ أَسْرَقَ السَّمْعَ فَاتَّبَعَهُ شِهَابٌ مُبِينٌ ﴿[الحجر: 18].
- 4- قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْعِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿[النحل: 78].
- 5- قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴿[الإسراء: 36].
- 6- قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْعِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿[المؤمنون: 78].
- 7- قوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمَعزُونَ ﴿[الشعراء: 212].
- 8- قوله تعالى: ﴿يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْتُرُهُمْ كَذِبًا ﴿[الشعراء: 223].
- 9- قوله تعالى: ﴿ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْعِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿[السجدة: 9].
- 10- قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿[ق: 37].
- 11- قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْعِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿[الملك: 23].
- أما لفظه "البصر" فقد ذكرت في خمسة مواضع:
- 1- قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ إِنَّكَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿[النحل: 77].

2- قوله تعالى: ﴿ مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى ﴾ [النجم: 17].

3- قوله تعالى: ﴿ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا مَّا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِن تَفَوُّتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِن فُطُورٍ ﴾ [الملك: 3].

4- قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ﴾ [الملك: 4].

5- قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ ﴾ [القيامة: 7].

وقد ترد كلمتا " السمع " و " البصر " بألفاظ مرادفة لها في المعنى من حيث التثنية والجمع، فتزد كلمة " البصر " في المثني والجمع " يبصرون " ⁽¹⁾ و " الأبصار " ⁽²⁾، والأمر نفسه مع كلمة " السمع " التي قد ترد بصيغة الجمع " يسمعون " ⁽³⁾.

وإذا نظرنا في السور القرآنية: يونس، هود، الحجر، النحل، والإسراء، لاحظنا تقدّم " السمع " على " البصر"، أمّا في سورة الأعراف فيتقدّم " البصر" على " السمع"، في قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴾ [الأعراف: 179].

الشاهد هنا هو قوله تعالى ﴿ وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ ﴾ فما سبب تقدّم " البصر" على " السمع " في هذه الآية؟

إن السور السابقة تتحدث عن نِعَمٍ مِّنَ اللَّهِ بِهَا عَلَى الْبَشَرِ ومنها نعمة البصر، لكي يدركوا حقيقة

⁽¹⁾ _ " يبصرون " ذكرت في إحدى عشر(11) موضعاً: البقرة: 17، الأعراف: 179، و 195 و 198، يونس: 43، هود: 2، السجدة: 27، يس: 9، و 66، والصفات 175: .

⁽²⁾ _ " الأبصار " ذكرت في تسعة مواضع(9): آل عمران: 1، الأنعام: 103 في هذه الآية " الأبصار " ذكرت مرتين، إبراهيم: 42، الحج: 46، النور: 44، الأحزاب: 10، 63، الحشر: 2.

⁽³⁾ _ " يسمعون " ذكرت في عشرين(20) موضعاً: البقرة: 75، الأنعام: 36، الأعراف: 100، 179، 195، الأنفال: 21، يونس: 67، النحل: 65، مريم: 62، الأنبياء: 100، 102، الحج: 46، الفرقان: 44، الروم: 23، السجدة: 26، الصفات: 8، فصلت: 4، ق: 42، الواقعة: 25، النبأ: 35.

الأشياء ويروا أن هذه الأصنام التي يعبدونها ما هي إلا حجارة من صنع أيديهم، لا تستطيع حتى أن تدافع عن نفسها، ولا تملك لهم النفع، ثم تكلم عن السمع لكي يدركوا بالعقل أن هذه الجارحة جعلها الله سبباً في الهداية، وذلك بسماع كلمات القرآن الكريم من النبي ﷺ، ومن أفواه الصحابة -رضي الله عنهم- بمعنى أن الله أعطاهم البصر والسمع لكي يخرجوا عن الظلم والضلالة والتهيه، إلى دين الحق وعبادة المعبود الواحد الأحد الفرد الصمد⁽¹⁾.

أما في سورة الإسراء فقدّم "السمع" وهذا مرتبط ببداية الآية، وهي النهي عن القول بلا علم ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾، ولا تتبع أيها الإنسان ما لا تعلم معتمداً على الظن وأقاويل الآخرين فقط⁽²⁾.

أما في سورة الأعراف فقدّم "البصر" على "السمع" «فقال لهم قلوب لا يفقهون بها شيئاً من أمر الآخرة، وأعين لا يبصرون بها الهدى، وأذان لا يسمعون بها الحق»⁽³⁾.

وهذا الكلام موجه للكفرة المعرضين عن النظر في آيات الله، لأن قلوبهم لا تفقه، وأعينهم لا تبصر الحق، وأذانهم لا تسمع كلامه ﷺ، فهم يتظاهرون بعدم السمع والبصر.

وحينما اعتمد السياق القرآني على أسلوب التقديم في هذه الآية الكريمة، استطاع أن يخاطب العقل والوجدان في آنٍ واحد، مُحملاً السامع إدراك المعاني التي يريد المولى -عز وجل- إيصالها للأذهان والنفوس من خلال كلمة واحدة، تتقدّم مرة وتتأخر أخرى.

إن التقديم والتأخير من أهم خصائص اللغة العربية ودليل على مرونتها واتساعها، فيأتي أحياناً لدوافع تتعلق بأهمية المقدم، ويرتبط في بعض الحالات بالمعنى فيؤدي دوراً كبيراً في اللغة، التي تعتمد نظاماً نحويّاً خاصاً بها، إلا أنه في لغة الذكر الحكيم ينحو منحى بلاغية وجمالية وإعجازية، فإذا قرأت آية قرآنية فيه «

(1) ينظر: تفسير البحر المحيط: أبو حيان الأندلسي، ج4، ص425.

جامع البيان عن تأويل آي القرآن (تفسير الطبري): الطبري، ج10، ص593.

تفسير القرآن العظيم: ابن كثير، ج6، ص459.

(2) جامع البيان عن تأويل آي القرآن (تفسير الطبري): الطبري، ج14، ص595.

(3) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي، تح: عبد السلام الشافي محمد، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1422هـ-2001م، ج2، ص479، 480.

لا تحس فيها بكلمة تضيق بمكانها، أو تنبو عن موضعها، أو لا تعيش مع أخواتها، حتى صار من العسير بل من المستحيل أن تغير في الجملة كلمة بكلمة، أو أن تستغني عن لفظ أو تزيد فيها شيئاً، وصار قصارى أمرك، إذا أردت معارضة جملة من القرآن أن ترجع بعد طول المطاف إليها»⁽¹⁾.

ولا يقف هذا الأسلوب عند جزئيات اللغة، من حروف، وكلمات، وجمل، وفقرات، يُقدم بعضها على بعض، وإنما يمتد ليشمل الآيات والمواضيع التي جاء بها القرآن الكريم، وما كان لآية أن تسبق أخرى إلا لنكتة بلاغية إعجازية، ودلالة معنوية يثبتها السياق.

وإن دراسة التقديم والتأخير والإمام بقواعده ودقائقه، من أقوى الوسائل الموصلة إلى معرفة سر الإعجاز في القرآن الكريم.

⁽¹⁾ _ بلاغة القرآن بين الفن والتاريخ: دراسة تاريخية فنية مقارنة: فتحي أحمد عامر، د ط، منشأة المعارف، الإسكندرية، مصر، 1983 م، ص 105.

ثانياً- علاقة التقديم والتأخير بال تكرار:

يُعدُّ التكرار ظاهرة عامة في جميع اللغات البشرية، وقد يكون العنصر المكرر صوتاً أو حرفاً أو كلمة أو مركباً أو جملة كاملة، تلفت انتباه السامع إليها، وتعمق إحساسه بترايط أجزاء النص من جهة، وتجعله يزداد انجذاباً وتأملاً لحسن صياغته من جهة أخرى، خصوصاً إن كان ذلك في النص القرآني المعجز ببلاغته وفصاحته.

وحتى تتضح معالم التكرار نُعرِّفه لغة واصطلاحاً، ولنؤكد بأن المعنى الاصطلاحي جزء لا يتجزأ من المعنى اللغوي.

-التكرار لغة:

مصدر (كَّرر)، إن الكُّر الرجوع...والكُّر مصدر كَرَّ عليه يَكُرُّ كَرًّا وتَكَرَّرًا: عَطَفَ...وَكَّرَّر الشيء وكرَّره، أعاده مرَّة بعد أخرى، وكرَّرْتُ عليه الحديث...رَدَّدْتُهُ عليه، والكُّر الرجوع على الشيء، ومنه التكرار⁽¹⁾.

إن من أهم معاني التكرار اللغوية الرجوع في الشيء.

أما اصطلاحاً فقد عرفه الزركشي: « وحقيقته إعادة اللفظ أو مرادفه لتقرير معنى، خشية تناسي الأول لطول العهد به، فإن أعيد لا لتقرير المعنى السابق لم يكن منه »⁽²⁾.

ويعرفه الرضي الاسترأبادي: « والتكرير ضمُّ الشيء إلى مثله في اللفظ، مع كونه إياه في المعنى للتأكيد والتقرير، والغالب فيما يفيد التأكيد أن يذكر بلفظين فصاعداً، لكنهم اختصروا في بعض المواضع بإجرائه مجرى المثني والمجموع لمشابهته لها من حيث إن التأكيد اللفظي، أيضاً ضم شيء إلى مثله في اللفظ وإن كان إياه في المعنى »⁽³⁾.

(1) _ ينظر: _لسان العرب: ابن منظور، مادة(كر ر)، ج4، ص 3851، 3852.

_ تاج العروس من جواهر القاموس: الزبيدي، مادة(كر ر)، ج14، ص33.

_ القاموس المحيط: الفيروزآبادي، فصل الكاف، باب الراء، ج 12، ص124.

(2) _ البرهان في علوم القرآن: الزركشي، ج3، ص 10.

(3) _ شرح الرضي على الكافية: رضي الدين الاسترأبادي، تعليق: يوسف حسن عمر، ط2، منشورات جامعة قازينوس، بنغازي، ليبيا، 1986م، ج1، ص 49، 50.

إن التكرار هو عبارة عن إعادة الشيء إما بلفظه، أو الرجوع إليه مرة أخرى بنفس المعنى. والتكرار الواقع في القرآن الكريم يخالف التكرار الواقع في كلام البشر، لأنَّ هذا الأخير لا يسلم عادة من الاضطراب والخلل في المعنى الذي يؤدي إلى سوء الفهم، وقد يُفهم النص على غير معناه الحقيقي. أما التكرار في القرآن الكريم فمحكم، له وظيفة يؤديها، لذا اهتم به علماء البلاغة والنحو والإعجاز وعلوم القرآن ليعينوا أسرارهم، وجُلَّ عنايتهم به كانت منصباً على بيان جوانبه البلاغية وفوائده في القرآن الكريم⁽¹⁾.

ولشروع هذه الظاهرة في النصوص العربية، أولى له علماء اللغة المعاصرون عناية فائقة، لأنه يرمي إلى تدعيم التماسك النصي، ويوظف من أجل تحقيق العلاقة المتبادلة بين عناصر النص، وبخاصة في القرآن الكريم وعلى وجه التحديد القصص القرآني⁽²⁾.

ولبيان وظيفة التكرار في القرآن الكريم نقدّم أمثلة تربط بينه وبين أسلوب التقديم والتأخير في سياق

(1) _ عن أنواع التكرار وأغراضه وأسبابه، ينظر على سبيل المثال:

- البرهان في علوم القرآن: الزركشي، ج3، ص 11-19.

- الإتيان في علوم القرآن: السيوطي، ج3، ص 200-202.

- إعجاز القرآن والبلاغة النبوية: الرافي، ص 134-136.

- الزيادة والإحسان في علوم القرآن: ابن عقيلة المكي، ط1، مركز البحوث والدراسات جامعة الشارقة، الإمارات العربية المتحدة،

1427هـ-2006م، ج5، ص 184-193.

(2) _ ينظر مثلاً: -علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق: دراسة تطبيقية على السور المكية: صبحي إبراهيم الفقي، ط1، دار قباء للطباعة

والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، 2000م، ص 17-82.

-الترايب النصي في ضوء التحليل اللساني للخطاب: خليل بن ياسر البطاشي، ط1، دار جرير للنشر والتوزيع، عمان، الأردن،

1430هـ-2009م، ص 177-190.

-نحو النص: اتجاه جديد في دراسة النصوص اللغوية: عادل مناع، ط1، العربية للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، 2011م، ص 177-

190.

-علم لغة النص النظرية والتطبيق: عزة شبل محمد، تقديم: سليمان العطار، ط2، مكتبة الآداب، القاهرة، مصر، 1430هـ-2009م،

ص 141-147.

-نظرية علم النص، رؤية منهجية في بناء النص النثري: حسام أحمد فرج، تقديم: سليمان العطار، ومحمود فهمي حجازي، ط2، مكتبة

الآداب، القاهرة، مصر، 1430هـ-2009م، ص 106-140.

الخطاب القرآني، وتتضمن هذه الأمثلة الجمل التي تكررت في موقعين أو أكثر، وطراً على ألفاظها تقديم وتأخير، ولنكشف عن مزايا هذه اللغة التي تسمو على لغة البشر.

يقول تعالى: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ بِآيَاتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِۦ فَظَلَمُوا بِهَا فَأَنْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾ [الأعراف: 103].

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ وَهَارُونَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِۦ بِآيَاتِنَا فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ﴾ [يونس: 75].

تقدم قوله: ﴿بِآيَاتِنَا﴾ في سورة الأعراف على قوله ﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِۦ﴾ في حين تأخرت في سورة يونس، فما الداعي إلى ذلك؟.

الخطاب في سورتي الأعراف ويونس موجه إلى الرسول ﷺ لكي يذكره بالرسول الذين كانوا قبله وقبل موسى، نوح وهود وصالح ولوط وشعيب عليهم السلام، وما لقيه كل منهم من تكذيب وكفر وإلحاد⁽¹⁾.

وسورة الأعراف أسبق نزولاً من سورة يونس، ذكر الله فيها البعث لموسى ﷺ وحده، في حين ذكر البعث في سورة يونس لموسى وعيسى عليهما السلام.

وقدم في سورة الأعراف "بآياتنا" التي تعني الحجج والبراهين التي أتاهها الله لموسى، وهي تسع آيات العصا، اليد البيضاء، السنون، نقص الثمرات، الطوفان، الجراد، القمل والضفادع والدم⁽²⁾، والخمس الأخيرة المذكورة في قوله تعالى: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجُرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالْدَّمَ ءآيَاتٍ مُّفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ﴾ [الأعراف: 133].

وفي هذا دلالة على أن كل نبي مؤيد بمعجزات برع فيها قومه، كالسحر عند قوم موسى عليه السلام، والبراعة في أفانين القول عند قوم سيدنا محمد ﷺ.

(1) _ ينظر: _ جامع البيان عن تأويل آي القرآن: (تفسير الطبري): الطبري، ج10، ص341.

_ تفسير القرآن العظيم: ابن كثير، ج6، ص358.

(2) _ تفسير أبو السعود: المسمى إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم: أبو السعود محمد بن محمد العمادي، د ط، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، دت، ج3، ص257.

لقد كان الحديث في سورة الأعراف عن بني إسرائيل وعلاقتهم بفرعون، فبعث الله موسى عليه السلام مصحوباً "بآيات" من عنده للدلالة على صدق رسالته، وأنه بُعثَ لدعوة فرعون وقومه إلى عبادة الله وحده⁽¹⁾.

ولما كان سياق سورة يونس يُبين موقف المشركين من إرسال الرسل، فكان من المناسب أن يذكر مع موسى عليه السلام أخاه هارون عليه السلام⁽²⁾.

لأن موسى طلب من الله عز وجل أن يجعل له مُعيناً يُسانده في تبليغ هذه الرسالة، عندما لم يؤمن به قومه، ولم يستجيبوا لدعوته، لهذا قال: « موسى وهارون » ثم « بآياتنا »، فجعل معه أخاه هارون مؤيداً ومعيناً وناصرًا له على قوم فرعون وملته، لأنهم أولوا الأمر، وهم المعنيون أولاً باتخاذ القرار⁽³⁾.

لكنهم (استكبروا) وبالغوا في التكبر واحتقروهما، وقالوا كيف نتبع هؤلاء وهم لنا عابدون⁽⁴⁾ كما قال الله عز وجل على لسانهم: ﴿فَقَالُوا أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِكَ وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَبِيدُونَ﴾ [المؤمنون: 47].

فأخّرت " بآياتنا " لارتباطها بطلب موسى عليه السلام المساعدة من أخيه هارون حتى يبلغا رسالة ربهما لفرعون وقومه، وسبب طلب المساعدة هو الظلم والإجرام والإفساد في الأرض، ومنع الناس التصديق بهذه المعجزات، وإيذاء القلّة التي آمنت بموسى عليه السلام.

لقد ترك تقديم وتأخير لفظة " آياتنا " أثراً بالغاً في نظام الخطاب القرآني من حيث توسيع دلالة التركيب ليشمل معنيين في آن واحد، بحيث يزداد في المعنى ولا يزداد في الحروف والكلمات.

ومن الأمثلة قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِئَاءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ﴾ [هود: 77]، وقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَ آلَ لُوطٍ الْمُرْسَلُونَ﴾ [الحجر: 61].

يعتمد الخطاب القرآني على لغة التنزيل وما تتضمنه من أصناف التعبير عن المعنى، الذي يتخذ

(1) _ تفسير البحر المحيط: أبو حيان الأندلسي، ج4، ص355.

(2) _ تفسير القرآن العظيم: ابن كثير، ج7، ص388.

(3) _ المأل: الجماعة من قبيلة وأهل مدينة، ثم يقال للإشراف والأعيان من القبيلة أو البلد المأل، أي هم يقوم مقام المأل.

ينظر: _ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ابن عطية الأندلسي، ج3، ص134.

(4) _ التحرير والتنوير: محمد الطاهر ابن عاشور، د ط، الدار التونسية للنشر، تونس، 1984م، ج11، ص247.

أشكالاً عديدة ومختلفة، بحسب السياق الذي له دور في توجيه هذا الخطاب، ففي سورة هود مثلاً يتكوّن تركيب الجملة من فعل (جاء) + فاعل (رسل) + مفعول به (لوط).

أما تركيب الجملة في سورة الحجر فمختلف عن سورة هود من حيث ترتيب العناصر، وقد جاء على النحو الآتي:

الفعل (جاء) + المفعول به المقدم (آل) + الفاعل (مرسلون).

إن التقديم والتأخير في هاتين الآيتين مختلف، فتقدّم المفعول به (آل لوط) في سورة الحجر على فاعله (المرسلون)، بينما جاء الفاعل في سورة هود على وفق الترتيب النحوي المعتاد، فما السر السياقي في ذلك؟.

إن سياق الآيتين متضمن لأحداث قصة النبيين لوط وإبراهيم عليهما السلام مع الملائكة، وأنه بعد مغادرة الملائكة إبراهيم ذهبوا إلى لوط، ولكن في هيئة بشر كما فعلوا مع إبراهيم عليه السلام، فتقدم المفعول به (آل لوط) على فاعله (المرسلون)، لأن الحديث عن نبي الله لوط ومقابلته للرسول ⁽¹⁾ ﴿ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ ﴾ [الحجر: 62]، فردوا عليه ﴿ قَالُوا بَلْ جِئْنَاكَ بِمَا كَانُوا فِيهِ يَمْتَرُونَ وَأَتَيْنَاكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴾ [الحجر: 63_64].

بينما جاء الفاعل في سورة هود (رسلنا) وفق الترتيب النحوي المعتاد (فعل + فاعل + مفعول به)، لأنهم كانوا الأبطال الحقيقيين في القصة، لمجيئهم في هيئة بشر حسان الوجه، ولم يكن لوط يعلم أنهم ملائكة من عند الله، فخاف عليهم من قومه، وخشي أن يفعلوا بهم الفاحشة فقال ⁽²⁾ ﴿ سَيِّءَ بَرِيءٍ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ ﴾ [هود: 77]، وذلك من خوف قومه أن يفضّحوه في ضيفه، فكان يوماً شديد الشر عظيم البلاء، لقوله تعالى: ﴿ وَجَاءَهُ قَوْمُهُ مُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِنْ قَبْلُ كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ قَالَ

(1) ينظر: _التحرير والتنوير: الطاهر ابن عاشور، ج 14، ص 63.

_تفسير القرآن العظيم: ابن كثير، ج 8، ص 286.

_جامع البيان عن تأويل آي القرآن: (تفسير الطبري): الطبري، ج 14، ص 86.

(2) ينظر: _تفسير البحر المحيط: أبو حيان الأندلسي، ج 5، ص 246.

_التحرير والتنوير: الطاهر ابن عاشور، ج 12، ص 124.

يَقَوْمٍ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ ﴿ هود: [78] ⁽¹⁾.

إن الحوار الذي كان بين لوط وقومه الذين يأتون الرجال شهوة دون النساء ويجاهرون بهذا الفعل الشنيع، جعله يخاف على الملائكة ويقول: ﴿يَقَوْمِ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي﴾، لهذا تصدر الفاعل (رسلنا) هذا الموقع ⁽²⁾.

ويقول عبد الكريم الخطيب: « وقد جاء النظم القرآني لقصة لوط هنا مخالفاً لما جاء عليه في مواضع أخرى.... وذلك أن الملائكة هنا أخبروه بهلاك القوم... وقبل أن يجيئوا إلى لوط يريدون الفاحشة في هؤلاء الضيوف، وفي مواضع أخرى جاء النظم القرآني على غير هذا، كما يقول الله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا... أَلَيْسَ الْأُصْحَابُ بِقَرِيبٍ﴾ [هود 77-81]، فما جواب هذا؟، وترتيب الأحداث هنا غير ترتيبها في النظام السابق، قال الجواب: هو أن الملائكة في هذه الآيات قد ألقوا بالبشرى إلى لوط حين التقوا به ورأوا ما دخل عليه منهم من خوف وفزع... ثم جاءه قومه بعد ذلك وكان ما كان منهم معه ومع الملائكة، فكان من لوط كرب وضيق مما حل بالملائكة وتشبث قومه بهم ومحاولة الاعتداء عليهم ⁽³⁾.

إن الخطاب القرآني في هذه الآيات قد نوع أسلوبه بحسب نوع المخاطب، ونوع القصة المتحدث عنها ⁽⁴⁾، والسياق هو الذي يوجه توظيف الكلمات، فكل كلمة وضعت في موضعها المناسب من النص، بحيث تكتسب في إطار السياق مزايا دلالية وبلاغية لا حصر لها.

⁽¹⁾ _جامع البيان عن تأويل آي القرآن: (تفسير الطبري): الطبري. ج 12، ص 497.

⁽²⁾ _تفسير القرآن العظيم: ابن كثير، ج 7، ص 455.

⁽³⁾ _التفسير القرآني للقرآن: عبد الكريم الخطيب، د ط، دار الفكر العربي المعاصر، القاهرة، مصر، د ت، ج 4، ص 255، 256.

⁽⁴⁾ _ وردت في القرآن الكريم، قصص كثيرة وكل واحد من العلماء تناولها بشكل مختلف وفي هذا الإطار-أي علاقة التقديم والتأخير بالترتيب- نجد قصة قوم صالح في سورة هود، وفي السورة نفسها قصة شعيب مع قومه مدين وما فيها من تقديم وتأخير.

للمزيد يراجع كتاب: _أسئلة بيانية في القرآن الكريم: فاضل صالح السامرائي، ط 1، مكتبة التابعين، القاهرة، مصر، 1429هـ-

2008م، ص 92-95.

ثالثاً- أثر التقديم والتأخير في التصوير:

يؤلف الأسلوب القرآني بين المعنى اللغوي والمعنى الحسي، حتى يصل إلى غاية التأثير في الناس، بمخاطبة العقل والوجدان في آنٍ واحد، من أجل التمسك بالأوامر والنواهي، والعمل بمختلف أحكامه وتجنب نواهيه، ومنه يصبح التعبير المشخص في القرآن أداة لتحقيق الغاية الدينية، ولعلّ الأسلوب المقصود هنا هو الأسلوب التصويري، الذي يصور الأحداث والوقائع بطريقة يختار فيه القارئ لما فيها من دقة التصوير والتشخيص، وتناسق الكلمات مع المشاهد.

فالتصوير هو الأداة المفضلة في القرآن الكريم فهو يعبر « بالصورة المحسنة المتخيلة عن المعنى الذهني، والحالة النفسية، وعن الحادث المحسوس، والمشهد المنظور، وعن النموذج الإنساني والطبيعة البشرية، ثم يرتقي بالصورة التي يرسمها فيمنحها الحياة الشاخصة أو الحركة المتجددة»⁽¹⁾.

إن كل لفظ قرآني له معناه الخاص به، يتجلى في صورة أجمل وأدق، حينما يصور المشاهد والوقائع بطريقة توحى للقارئ أو السامع أن ذلك اللفظ هو المعبر فعلاً عن المعنى المراد، فتتأخى المعاني مع الألفاظ لترسم في صورة سياقية فريدة المعنى المطلوب.

و تعدد مواضع التصوير الفني في القرآن الكريم؛ لذا ارتأيت إيراد بعض الأمثلة التي تضمنت آياتها التقديم والتأخير من وجهة نظر نحوية، ثم تناول جمال الصورة من وجهة نظر دلالية، فنجد مثلاً في قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضِبُ أَخَذَ الْأَلْوَابُ فِي نُسُخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةً لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ﴾ [الأعراف: 154]

الشاهد هو ﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضِبُ﴾ حيث شبه الغضب بإنسان يدعو موسى عليه السلام ويحثه على العنف ويغريه بالقول؛ قل لقومك كذا، وافعل بهم كذا، جراء عودتهم لعبادة العجل بعدما نهامهم موسى عن ذلك، وتشبيه الغضب بانقطاع كلام المتكلم وهو سكوته، وفي هذا النظم القرآني من البلاغة والمبالغة: « بتنزيل الغضب الحاصل له على ما صدر عنه من الفعل والقول منزلة الأمر بذلك المغزى

(1) _ التصوير الفني في القرآن: سيد قطب، ط16، دار الشروق، القاهرة، مصر، 1433هـ - 2002م، ص36.

عليه بالتحكم والتشديد والتعبير عن سكونه بالسكوت مالا يخفى» (1).

ويقتضي السياق من الناحية النحوية "ولما سكت الغضب عن موسى" إلا أن الجار والمجرور قد تقدم و رُبط سكوت الغضب بموسى، فأصبح الكلام يقتضي "ولما سكت عن موسى الغضب". إن جعل الغضب إنساناً ناطقاً يقول ويسكت ويغري، جعل الصورة تبدو جلية واضحة في الذهن، وجعل للتعبير جمالية ناتجة عن تلاحم المعنى مع الألفاظ، للوصول إلى المعنى المعنوي المقصود وهو الهدوء والسكون وذهاب الغضب، وعدم الاستماع للنفس الأمارة بالسوء.

ثم ها هي صورة أخرى ترسمها لنا آيات القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَرَازِبَاتٍ لِّلنَّظِيرِ ۚ ﴿١٦﴾ وَحَفِظْنَاهَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَّجِيمٍ ﴿١٧﴾ إِلَّا مِنْ أَسْتَرَقَ السَّمْعَ فَاتَّبَعَهُ ۗ شَهَابٌ مُّبِينٌ ﴿١٨﴾ وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوْسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ ﴿١٩﴾ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعِيشَ وَمَنْ لَسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ﴾ [الحجر: 16-20].

يذكر الله خلقه في هذه الآيات خلقه بارتفاع السماء وما فيها من الكواكب والشهب التي جعلها حرساً لها من الشياطين الذين يسترقون السمع، ثم ذكر تعالى الخلق بالنعمة الموجودة في الأرض من الرواسي، والأودية، وما أنبت في الأراضي من زروع وثمار، وجعل فيها المعيشة للإنسان والدواب والأنعام على حد سواء ولا فضل لأحد على الآخر (2)، أي وجعلنا في الأرض « معاش لمن لستم له برازقين، أي لمن لستم له بمطعمين» (3).

فصورت الآيات السابقة السماء وما فيها من كواكب ونجوم وشهب، وصورت الأرض وما فيها من زروع وثمار وخيرات، وقدم الظرف "في السماء" وأخر المفعول به "بروجاً" وهو مفعول به أول: « إذا كانت جعلنا بمعنى خلقنا، يتعلق به الجار والمجرور، وأن يكون بمعنى صيرنا؛ فيكون مفعوله الأول "بروجاً" ومفعوله

(1) _ إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم: أبو السعود العمادي، ج3، ص276، وينظر: _التحرير والتنوير: الطاهر ابن عاشور، ج9، ص122، وينظر أيضاً: -تفسير البحر المحيط: أبو حيان الأندلسي، ج4، ص379.

(2) _تفسير القرآن العظيم: ابن كثير، ج8، ص247-249.

(3) _التحرير والتنوير: الطاهر ابن عاشور، ج14، ص35.

وينظر: _جامع البيان عن تأويل آي القرآن: (تفسير الطبري): الطبري، ج14، ص37.

الثاني الجار، فيتعلق بمحذوف»⁽¹⁾.

وقد أفاد تقديم "في السماء" تصوير مشهدها بدايةً في ذهن القارئ، ثم تصوير ما فيها من بروج وزينة تجلب لها انتباهه وكأنها تمهيدٌ لما سيأتي، ثم ذكر تعالى للحديث الأرض وما فيها من خيرات للإنسان والدواب والأنعام، فحده يُقَدِّم "الأرض" ثم يأتي بإحدى صفاتها "مددناها"، والمتأمل لهذه الصورة يرى في خياله صورة للأرض بشكلها الكلي، ثم صفة من صفاتها وهي كيفية بسطها ومدتها لتعطي الخيرات.

وفي قوله تعالى: ﴿وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوْسِيَ﴾ قَدِّم الظرف "فيها" فأفاد معنى الأرض، ثم أتى بالمفعول به "رواسي" والتي تعني الجبال وهي جزء من الأرض.

من هذا المثال ندرك أن هناك صوراً لا يمكن سبر أغوارها إلا عن طريق التركيب النحوي، الذي يضيف عليها معنى خاصاً عن طريق استخدام أسلوب التقديم والتأخير، فعندما كان الكلام عن "السماء" قَدِّمْت، وأخّر لفظ "بروجاً"، وعندما تحول الكلام لتصوير "الأرض" قَدِّمْت، وأخّر لفظ "مددناها"، ولم تكتمل الصورة إلا بهذا الأسلوب البارع الذي ربط بين "الأرض" و"السماء" في صورة متناهية في الدقة والبيان.

إن التقديم والتأخير يأتي في سياق النص القرآني ليكمل أجزاء الصورة القرآنية، المتمثلة في ذهن القارئ أو السامع.

ومن الصور القرآنية التي تلخص مشاهد عديدة بأحرف محدودة، قوله تعالى في بر الوالدين ﴿وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ أَرْحَمُهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ [الإسراء: 24].

الشاهد هو قوله تعالى: ﴿وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ﴾، والسياق يقتضي أولاً "الرحمة" ثم "الذل"، فلماذا جيء بهذه الصورة على هذا النحو؟، ولماذا أُضيف الجناح للذل؟

⁽¹⁾ الدر المصون في علوم الكتاب المكنون: أحمد بن يوسف المعروف بالسمين الحلبي، تح: أحمد محمد الخراط، د ط، دار القلم، دمشق، د ت، ج 7، ص 150.

وينظر: — روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: أبو الفضل شهاب الدين محمود الألوسي البغدادي، د ط، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، د ت، ج 14، ص 21.

إن الرحمة المقصودة هي رحمة المعاملة عند الكبر، عندما يلحق الضعفُ بالإنسان، فيصبح كطائر صغير لا حول له ولا قوة له، فإذا أراد الطيران نشر جناحيه، وإذا أراد النزول خفضهما، فجعل خفض الجناح كناية عن التواضع واللين في التعامل مع الوالدين.

يقول في ذلك الزمخشري: «فإن قلت ما معنى "جناح الذل" قلت: فيه وجهان: أحدهما أن يكون المعنى: واخفض لهما جناحك كما قال ﴿وَأَخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الحجر: 88]، فأضافه إلى الذل أو الذل، كما أضيف حاتم إلى الجود على معنى: واخفض لهما جناحك الذليل أو الذلول، والثاني: أن تجعل لذلّه أو لذلّه جناحًا خفيضًا، مبالغة في التذلل والتواضع لهما»⁽¹⁾.

أي أن الله تعالى قد عبّر عن اللين بالذل، ومثلت هذه الصورة جانباً من التواضع والتذلل الذي لا يكون إلا بخفض الجناح.

وبهذه الطريقة سار الأسلوب القرآني في إبراز صورة البر والإحسان بالوالدين، في تعبير صوّر التواضع في هيئة تذلل الطائر عندما يعتريه خوف أو عندما يريد حماية فراخه، أي الحامل لك على خفض الجناح هو رحمتك لهما إذا صارا في حالة الكبر، كما كنت أنت تحت جناحيهما عندما كنت صغيراً.

فالآيات السابقة كشفت لنا عن نظم فصيح وأسلوب بديع، وسياق يُحدد جمال الصورة ودقتها، فكل لفظة أتت مشكلة لمشهد قرآني متماسك الأجزاء، يحقق العبرة المبتغاة من النص القرآني.

فالذي يوجه الآيات إلى معانيها ودلالاتها المقصودة هو معرفة السياق القرآني، الذي يُعتبر الفيصل في باب التقديم والتأخير، وسمة أسلوبية في معرفة خواص تراكيب الكلمات والجمل وال فقرات والقصة والقصص الواردة في سورة واحدة أو في سور متعددة، لذا اعتمد عليه المفسرون والبلاغيون في فهم مقاصد الآيات وسور القرآن الكريم المعجز بمفرداته وتراكيبه ومعانيه، المتماسك بنظمه وألفاظه.

(1) _ الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري، تح: عادل أحمد عبد الموجود، علي محمد معوض، ط1، مكتبة العبيكان، الرياض، المملكة العربية السعودية، 1418هـ-1998م، ج3، ص508.
وينظر أيضاً: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: الألوسي، ج15، ص56.

جامعة الأمير
عبد القادر
للعلوم الإسلامية

المبحث الثاني: أثر المدفء في دلالة السياق.

تمهيد:

القرآن الكريم إلهي المصدر تنزيلاً وحفظاً وترتيلًا، نزل بلسان عربي مبين قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا نَزِيلًا رَبِّ الْعَالَمِينَ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾ [الشعراء: 192-195]، ولا يمكن فهمه فهمًا صحيحًا إلا إذا كان النظر في تراكيبه من نوع النظر في تراكيب وأساليب اللغة العربية، التي جعلت للجمل أنماطًا تركيبية مكونة من فعل وفاعل، ومفعولٍ بأنواعه المختلفة⁽¹⁾، ومبتدأ وخبر، وقد تكتفي الجملة بهذا العناصر.

وقد يشتمل التركيب أحيانًا على أحد هذه الأركان فقط، وذلك لأن المعنى يقتضي هذا، أو لوجود قرينة مقالية أو حالية تجعل المعنى واضحًا صحيح التركيب دون اللجوء إلى ذكر ذلك العنصر، وهذا ما يطلق عليه " الحذف " ⁽²⁾ في التركيب، وبخاصة في التركيب القرآني.

والحذف⁽³⁾ في القرآن الكريم منسوب إلى تركيب اللغة، لأننا قد نحذف حرفًا أو كلمة مفردة أو جملة واحدة أو جملا، وهذا لوجود قرائن تدل على المحذوف، فالحذف إذا ليس بنقيصة في المعنى، ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: 9]، وإنما يُعَدُّ اقتصادًا لغويًا يستحق الاهتمام، ليزيد من رونق وجمال البلاغة القرآنية المعجزة⁽⁴⁾.

(1) _ المفعول به، المفعول المطلق، المفعول فيه، المفعول معه، المفعول لأجله أو له.

(2) _ هناك أسماء أخرى للحذف من مثل: الاتساع، الاختصار، الإيجاز، الاختزال، الإضمار، التصرف في تأليف الكلام، الوجازة والاختزان وعده ابن جني من شجاعة العربية ينظر:

_المقتضب: أبو العباس محمد بن يزيد المبرد، تح: محمد عبد الخالق عزيمة، د ط، لجنة إحياء التراث الإسلامي، مصر، 1386هـ، ج3، ص 166.

-الخصائص: ابن جني، ج2، ص360.

_الكتاب: سيبويه ج1، ص 211.

_الأصول في النحو: ابن سراج، ج2، ص 247-255.

(3) _ تناول طاهر سليمان حمودة الحذف بالتفصيل عند النحويين والبلاغيين في كتابه: ظاهرة الحذف في الدرس اللغوي، د ط، الدار الجامعية للطباعة والنشر والتوزيع، الإسكندرية، مصر، 1998م.

وينظر أيضاً _البيان والتبيين: الجاحظ، ج2، ص 278.

(4) _ وهناك من أنكرو وجود الحذف في القرآن من مثل: فضل حسن عباس في كتابه: لطائف المنان وروائع البيان في نفي الزيادة والحذف في القرآن: دراسة بيانية لإعجاز القرآن الكريم ونظمه وأسلوبه، ط1، دار النفائس، عمان الأردن، 1430هـ-2010م، ص 264-291.

وقبل التطرق إلى هذه العناصر وتحليلها، سنعرّف "الحذف" في اللغة والاصطلاح.

الحذف لغةً: جاء في لسان العرب: «حذف الشيء يحذفه حذفاً: قطعه من طرفه... والحذافة: ما حُذِفَ من شيء فطرح... وأذن حذفاء: كأنها حذفت أي قطعت، والحذفة: القطعة من الثوب... كقول امرؤ القيس [بجر الكامل] (1):

لَهَا جِبْهَةٌ كَسْرَاةٍ الْمِجَنِّ حَذْفُهُ الصَّانِعُ الْمُقْتَدِرُ» (2).

وجاء في تاج العروس: «(حذفه، يحذفه)، حذفاً: أسقطه... وقال غيره: حذفه، حذفاً: قطعه من طرفه... ومن الجواز: حَذَفَ (فُلَانًا بِجَائِزَةٍ): إِذَا (وَصَلَّهُ بِهَا)... وقيل هو ما حذف من شيء، فطرح... وقال الليث: الحذف: قطع الشيء من الطرف» (3).

وفي البرهان: «وهو لغة الإسقاط، ومنه حذفت الشعر إذا أخذت منه، وأما قول النحويين: الحذف غير دليل، ويسمى اقتصاراً؛ فلا تحرير فيه، لأنه لا حذف فيه بالكلية... وأما الحذف؛ فمن حذفت الشيء قطعته؛ وهو يشعر بالطرح...» (4).

مما سبق نستخلص بأن الحذف يدور حول معان هي: القطع من الطرف، والطرح والإسقاط.

أما الحذف اصطلاحاً: لم يستقر مصطلح الحذف في بداياته الأولى على تعريف واحد، وإنما كان يذكر أثناء تناول القاعدة النحوية من باب الشرح لها فقط، كقول سيبويه عندما تحدث في باب مجاري أواخر الكلم حيث قال: «واعلم أن الآخر إذا كان يسكن في الرفع حُذِفَ في الجزم، لثلاثاً يكون الجزم بمنزلة الرفع، فحذفوا كما حذفوا الحركة ونون الاثنين والجميع، وذلك قولك لم يَرْمِ ولم يَعْزُ ولم يَحْشَ، وهو في الرفع ساكن الآخر، تقول: هو يَرْمِي وَيَعْزُو وَيَحْشَى» (5).

لقد وردت كلمة الحذف في قول سيبويه على سبيل التمثيل والاستشهاد بالقاعدة النحوية فقط.

والأمر نفسه مع ابن السراج الذي أورد مصطلح الحذف عند حديثه عن "الاتساع" في باب

(1) ديوان امرؤ القيس: شرح: عبد الرحمن المصطاوي، ط 2، دار المعرفة، بيروت، لبنان، 1425هـ-2004م، ص 108.

(2) لسان العرب: ابن منظور، مادة(حذف)، ج2، ص810، 811.

(3) تاج العروس من جواهر القاموس: الزبيدي، مادة(حذف)، ج23، ص121-125.

(4) البرهان في علوم القرآن: الزركشي، ج3، ص102، 103.

(5) الكتاب: سيبويه، ج1، ص23.

التقديم والتأخير، وذكر أن الاتساع ضرب من ضروب الحذف⁽¹⁾. ولقد عرفه الروماني بتعريف آخر فقال: « إسقاط كلمة للاجتزاء عنها بدلالة غيرها من الحال، أو فحوى الكلام »⁽²⁾.

وفي هذا التعريف إشارة واضحة إلى وجود ضابط يدل على الشيء المحذوف.

أما أبو بكر الباقلائي فقد عرف الحذف من خلال بعض الأمثلة، حين ذكره في باب الإيجاز، وعده نوعاً من أنواعه، كقوله تعالى: ﴿ وَسَّكِلَ الْقَرْيَةَ ﴾ [يوسف: 82]؛ أي وأسأل أهل القرية، فأسقط المضاف تخفيفاً، أي أن الحذف هو « الإسقاط للتخفيف »⁽³⁾.

أما عبد القاهر الجرجاني فقد وصف الحذف بطريقة جد دقيقة لدرجة تشبيهه بالسحر لما فيه من نكتات بلاغية، فيقول عنه: « هو باب دقيق المسلك، لطيف المأخذ، عجيب الأمر، شبيه بالسحر، فإنك ترى به ترك الذكر أفصح من الذكر، والصمت عن الإفادة، وتجذك أنطق ما تكون إذا لم تنطق، وأتم ما تكون بياناً إذا لم تبين »⁽⁴⁾.

إن الجرجاني يشير إلى ما يُضفيه الحذف على السياق من جمال التعبير ودقة العبارة، وما يتركه في النفس من أثرٍ، يكون أبلغ عند حذفه.

ومن خلال التعريفات السابقة نرى بأن مصطلح "الحذف" قد تغير من تعريف إلى آخر، والتعريف الجامع له ورد في قول الزركشي: « إسقاط جزء الكلام أو كله لدليل »⁽⁵⁾.

ومن التعاريف الاصطلاحية نستنتج بأن الحذف عبارة عن إسقاط جزء من الكلام لقيام دليل على ذلك، بحسب السياق الوارد فيه، ويقصد تحقيق غرض بلاغي.

(1) _الأصول في النحو: ابن السراج، ج2، ص255.

(2) _ النكت في إعجاز القرآن ضمن كتاب: ثلاث رسائل في إعجاز القرآن: الرماني والخطابي وعبد القاهر الجرجاني، تح: محمد خلف أحمد، محمد زغلول سلام، ط3، دار المعارف، مصر، د ت، ص 76.

(3) _ إعجاز القرآن: أبو بكر محمد بن الطيب الباقلائي، تح: السيد أحمد صقر، دط، دار المعارف، مصر، د ت، ص397.

(4) _ دلائل الإعجاز: عبد القاهر الجرجاني، ص146.

(5) _ البرهان في علوم القرآن: الزركشي، ج3، ص102.

ومما لا شك فيه أن الحذف في القرآن الكريم يتمتع بمعاني لا حدود لها، وهذه المعاني منساقه خلف الكلمات، التي تعطينا في كل مرة حالة تعبيرية خاصة.

والشيء الذي يثيره الحذف في القرآن الكريم حاجته إلى السياق، كي يتحصل على المعنى منه، ويحيل الحذف إلى السياق الاجتماعي فضلا عن اللفظي، لكن مع الأخذ بعين الاعتبار خصوصية هذا النص، التي لا يمكن تجاوزها في أي خطوة من خطوات التفسير، لأنه متعلق بكلام الله تعالى.

ويؤكد محمد أبو موسى الكلام السابق بقوله: « وفي طبع اللغة أن تسقط من الألفاظ ما يدل عليه غيره، أو ما يرشد إليه سياق الكلام أو دلالة الحال، وأصل بلاغتها في هذه الوجازة التي تعتمد على ذكاء القارئ والسامع، وتعول على إثارة حسه، وبعث خياله وتنشيط نفسه حتى يفهم بالقرينة، ويدرك باللمحة ويفطن إلى معاني الألفاظ التي طواها التعبير »⁽¹⁾.

فظاهرة الحذف إذا من الظواهر اللغوية المعروفة في النحو، والبلاغة وعلوم القرآن؛ إذ يعتمد المتكلم فيها إلى حذف بعض الألفاظ ليحقق غرضاً معيناً، يؤدي إلى مطابقة الكلام لمقتضى الحال، ومن هنا يعتمد المتلقي على قرائن السياق اللغوية والحالية في تقدير المحذوف.

وإن الأصل في الكلام هو الذكر، والحذف هو خلاف الأصل، لأن من عادة العرب الإيجاز والاختصار، ولغة القرآن الكريم لغة بيان واختصار؛ حتى تكون أبلغ في الدلالة على المقصود من الذكر.

وفي هذا توسع العلماء في ذكر أسباب الحذف ووظائفه الأسلوبية والدلالية وفوائده⁽²⁾ وفي ذكر شروطه⁽³⁾

(1) _ خصائص التراكيب: دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني: محمد أبو موسى، ط4، مكتبة وهبة القاهرة، مصر، 1416هـ-1996م، ص153.

(2) _ ينظر: _ البرهان في علوم القرآن: الزركشي، ج3، ص 104، 105.

_ الإتيان في علوم القرآن: السيوطي، ج5، ص 1600.

(3) _ ينظر: -مغنى اللبيب عن كتب الأعراب: ابن هشام الأنصاري، تح: عبد اللطيف محمد الخطيب، ط1، الكويت، 1421هـ-2000م، ج6، ص 317-354.

- البرهان في علوم القرآن: الزركشي، ج3، ص111-114.

- ظاهرة الحذف في الدرس اللغوي: طاهر سليمان حمودة، ص115-151.

وأقسامه⁽¹⁾ وما يجب أو يجوز حذفه من النص حرفاً كان أم كلمة أم جملة. ويمكن تقسيم الحذف إلى أقسام عديدة كما فعل ابن جني: «الحذف يعتري الجملة والمفرد والحرف والحركة، وليس شيء من ذلك إلا عن دليل يدل عليه»⁽²⁾. فالحذف عند ابن جني يبدأ بحذف الحركة والصوت، ثم حذف الحرف ثم الحركة والعبارة، وكذلك الجملة وما فوقها، وهي أنماط لا تخرج عن تقسيمات علماء النحو العربي. أما ابن قتيبة فقد جعل له ضرباً كثيرة تحت عنوان: "باب الحذف والاختصار" وقد عرض فيه تقسيمات عديدة، مُستفتحا بحذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه، وختمه بحذف الجمل⁽³⁾. وللحذف تقسيمات عديدة وقد حاول كل عالم⁽⁴⁾ ربطه بجهة إعرابية معينة، نحوية أو تفسيرية أو بلاغية، وخاصة إذا ربطت هذه الأقسام بالأغراض التي خرج إليه السياق والتي من أهمها⁽⁵⁾: الإيجاز والاختصار، وتحصيل المعنى الكثير باللفظ القليل. بمعنى أن الحذف قد يكون في الحرف، والكلمة، والجملة والحركة، وسأقتصر على حذف المفرد

(1) ينظر: -البرهان في علوم القرآن: الزركشي، ج3، ص117-133. -الإنتان في علوم القرآن: السيوطي، ج5، ص1620-1625. -الحذف التركيبي وعلاقته بالنظم والدلالة بين النظرية والتطبيق: فايز صبحي عبد السلام تركي، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2011م، تكلم عن جميع أنواع الحذف وكانت كلها مطبقة على ديوان الأعشى.

(2) _ الخصائص: ابن جني، ج2، ص360.

(3) _ تأويل مشكل القرآن: عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، تح: السيد أحمد صفير، ط3، المكتبة العلمية، بيروت، لبنان، 1401هـ-1981م، ص210-231.

(4) _ ينظر مثلاً:

_ علاقة الظواهر النحوية بالمعنى في القرآن الكريم: محمد أحمد حضير، دط، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، مصر، 2001م، ص105-267، حيث ربط الحذف خصوصاً بالإعراب والقراءات القرآنية ولكن لم يربطه بأسباب النزول كما فعلت.

_ الحذف بين النحويين والبلاغيين: دراسة تطبيقية: حيدر حسين عبيد، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1434هـ-2013م، حيث قسمه إلى ثلاثة أقسام:

-الحذف عند النحويين.

-الحذف عند البلاغيين.

-الحذف عند أئمة علوم القرآن، مع إعطاء أمثلة كثيرة لكل نوع، ص55-83.

(5) _ أسلوب الحذف في القرآن الكريم وأثره في المعاني والإعجاز: مصطفى شاهر خلوف، ط1، دار الفكر عمان، الأردن، 1430هـ-2009م، ص155-190.

والجملة، لما لهما من علاقة بأسباب النزول والسياق اللغوي.

أولاً- حذف المفرد: ونعني به حذف جزء من عناصر الجملة وهو أنواع:

1- حذف الحرف:

ويتخذ أشكالاً عديدة، كحذف حروف الجر، وحروف العطف، وحروف النداء، وغيرها من الأحرف، واختلف فيه العلماء من حيث وقوعه في القرآن الكريم بين قائل بوجوده ومنكر له.

ومن العلماء الذين أثبتوا وجوده الحذف في القرآن الكريم نذكر:

- سيويه: حيث يقول في كتابه الكتاب: « وما حُذِفَ في الكلام لكثرة استعمالهم كثير، ومن ذلك هل من طعام؟ أي هل من طعام في زمان أو مكان، وإنما يريد: هل طعام، فمن طعامٍ في موضع طعام، كما كان ما أتاني رجل، ومثله جوابه: ما من طعامٍ »⁽¹⁾.

من قول سيويه نستشف جواز حذف حرف الاستفهام "هل".

- ابن جرير الطبري: في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَأَخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا لِّمِيقَاتِنَا ﴾ [الأعراف: 155] حيث يقول: « واختار موسى من قومه سبعين رجلاً، فلما نُزِعَ " من " أُعْمِلَ الفعل »⁽²⁾.

وكان الطبري يضع شرطاً لإعمال الفعل وذلك بحذف حرف الجر " من "، لأن تقدير الكلام: واختار موسى من قومه سبعين رجلاً.

و من المانعين بحد:

-أبو علي الفارسي: الذي ورد له قول في كتاب الخصائص في باب: زيادة الحروف وحذفها: « أخبرنا أبو علي، قال قال أبو بكر: حذف الحروف ليس بالقياس، وذلك أن الحروف إنما دخلت الكلام لضرب من الاختصار، فلو ذهبت تحذفها لكنت مختصراً لها هي أيضاً، واختصار المختصر إجحاف به »⁽³⁾.

(1) _ الكتاب: سيويه، ج2، ص130.

(2) _ جامع البيان عن تأويل آي القرآن: (تفسير الطبري): الطبري. ج10، ص473.

(3) _ الخصائص: ابن جني، ج2، ص273.

وذكر القول بالمعنى نفسه تقريباً في كتاب: المحتسب في تبين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها: أبو عثمان بن جني، تح: علي النجدي ناصف، وعبد الحلیم النجار، وعبد الفتاح إسماعيل شلي، دط، 1415هـ-1994م، ج1، ص51.

فالفارسي يرفض حذف الحرف من باب أن الحرف قد وُضِعَ أصلاً للاختصار فكيف نختصر المختصر؟
-عائشة عبد الرحمن: بعدما ذكرت مجموعة من الآيات التي حوت حذف بعض الحروف حسب المفسرين،
بالاعتماد على التأويل، قالت: « ذلك مَثَلٌ مما قالوا فيه بحذف الحرف، يمكن أن يصدق على حروف أُخر
قالوا فيها بالتأويل على الحذف، ويقوم النص في البيان القرآني مستغنياً عن تقدير حرف محذوف، ولافتناً إلى
سر البيان في الاستغناء عما قدره محذوفاً »⁽¹⁾.

من قول عائشة عبد الرحمن ندرك سبب رفضها حذف الحروف، وذلك لأن البيان القرآني قائمٌ سواء
وقع حذف الحرف أم لم يقع، وسواء قاموا بتأويله أم لا.

إن حذف الحرف موجود فعلاً في القرآن الكريم وغايته الاختصار، وإعطاء المعنى الكثير باللفظ
القليل، كما هو موجود أيضاً في الشعر كقول ذي الرمة في ديوانه من [بحر الطويل]:

أَلَا رَبُّ مَنْ قَلْبِي لَهُ لِلَّهِ نَاصِحٌ وَمَنْ قَلْبُهُ لِي فِي الظُّبَاءِ السَّوَانِحِ.⁽²⁾

حيث حُذِفَ حرف القسم " الباء " قبل لفظ الجلالة الله⁽³⁾.

ومن الحروف التي كثر حذفها في القرآن الكريم، حروف النداء:

والنداء هو: طلب إقبال المخاطب أو دعوة مخاطب بحرف نائب مناب فعل، كـ " أدعوا " أو " أنادي "،
وحروفه ثمانية: " يا "، " الهمزة "، " أي "، " آي "، " أيا "، " هيا "، " وا "، " آ " ⁽⁴⁾.

وحرف النداء " يا " موضوعة للبعيد، وينادي بها القريب، بعكس " أي " و " الهمزة " فتستعملان
للمنادي القريب و " أيا " و " هيا " و " آ " فتستعمل للمنادي البعيد⁽⁵⁾.

ومن أكثر الحروف استعمالاً في القرآن الكريم " يا "، وتُعدّ أم باب النداء، ولم يرد النداء والدعاء إلا بها،

(1) - الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق، دراسة قرآنية لغوية بيانية: عائشة عبد الرحمن، ط3، دار المعارف بالقاهرة، مصر، د ت، ص198.

(2) _ديوان ذو الرمة: شرح: أحمد حسن، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1415هـ-1987م، ص360.

(3) _ الكتاب: سيبويه، ج3، ص498.

(4) _ البلاغة فنونها وأناقها، علم المعاني: فضل حسن عباس، ص162.

(5) _ همع الهوامع في شرح جمع الجوامع: جلال الدين السيوطي، تح: عبد العال سالم مكرم، د ط، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1413هـ-1992م، ج3، ص32، 33.

وهي المخصوصة بالحذف جوازاً دون سواها ولا يُنادى « اسم الله عز وجل والاسم المستغاث وأبها وأيتها إلا بها، ولا المندوب إلا بها »⁽¹⁾.

وحذف حرف النداء "يا" في القرآن الكريم يتخذ ثلاث حالات:

أ- حذف حرف النداء "يا" مع لفظ "الرب":

حيث ورد في السور الآتية:

- قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَن نَرِيكَ وَلَكِن نُنظِرُ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرِنِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأعراف: 143].

- قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِإِخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [الأعراف: 151].

- قوله تعالى: ﴿وَإِخَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا لِمِيقَاتِنَا فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلِ وَإِنِّي لَأَتْلُكُنَّ بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنِّي إِن هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَاءُ وَتَهْدِي مَن تَشَاءُ أَنْتَ وَلِيْنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ﴾ [الأعراف: 155].

- قوله تعالى: ﴿وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِن أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ﴾ [هود: 45].

- قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُن مِّنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [هود: 47].

- قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ

(1) - مغني اللبيب عن كتب الأعراب: ابن هشام الأنصاري، ج 4، ص 447.

الجهلين ﴿يوسف: 33﴾.

- قوله تعالى: ﴿ رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمَلِكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَرَبِّي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تُوفِّئِي مُسْلِمًا وَالْحَقِّقِي بِالصَّالِحِينَ ﴾ [يوسف: 101].

- قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ ۗ رَبِّ إِنَّهُمْ أَضَلُّونَ كَثِيرًا ۗ مَنْ النَّاسِ فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي ۖ وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [إبراهيم: 35-36].

- قوله تعالى: ﴿ رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءَ ۙ ﴾ [إبراهيم: 40].

- قوله تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾ [الحجر: 36].

- قوله تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ [الحجر: 39].

- قوله تعالى: ﴿ وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذَّلِيلِ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴾ [الإسراء: 24].

- قوله تعالى: ﴿ وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا ﴾ [الإسراء: 80].

في هذه الآيات حُذِفَ حرف النداء " يا " مع لفظ " الرب "، وكثر هذا في القرآن الكريم تعظيماً للفظ الجلالة ولتصوير قربه من عباده، وتقدير الكلام: " أي يا ربنا ".

والسر في حذفه على حد قول أحمد أحمد بدوي فيه مبالغة في تصوير قرب المنادى "رب" حيث إن معناه: المرابي والسيد والمالك، وهو بهذه المعاني يكون قريباً من العباد ولا يحتاج إلى وسائط تربطه بهم، ولعل في ذلك تعبيراً عن شعور الداعي بقربه من ربه عز وجل⁽¹⁾.

ولنأخذ مثلاً عن ذلك في قوله تعالى: ﴿ وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ، فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ ﴾ [هود: 45].

(1) من بلاغة القرآن: أحمد أحمد بدوي، دط، نضضة مصر للطباعة والنشر، مصر، دت، ص 120.

ينادي نوح ربه في هذه الآية لكي ينجي ولده من الغرق بدافع عاطفة الأبوة، فالنداء هنا على سبيل الدعاء، فكأنه قيل: ودعا نوح ربه "يا رب": «والتعبير عن الجلالة بوصف الرب مضافا إلى نوح-عليه السلام-تشریف لنوح وإيماء إلى رافة الله به»⁽¹⁾.

لقد كثر حذف حرف النداء مع الرب سبحانه وتعالى، لأن فيه ضربا من الأمر، وحكمته التعظيم والتنزيه، لأن النداء يتشرب معنى الأمر، فإذا قلت: يا زيد، فمعناه أدعوك يا زيد، فحذفت ياء من نداء الرب ليزول معنى الأمر ويتمحص معنى التعظيم والإجلال⁽²⁾.

إن حرف النداء "يا" يُعدُّ أمُّ هذا الباب، ويكثر حذفه، ولعل السر في إثاره دون بقية الأحرف، كثرة استعماله، وهو أخف الأحرف نطقاً، وينادي به القريب والبعيد معاً.

ب- حذف حرف النداء "يا" مع لفظ "الرب" وهو مضاف:

حيث ورد في السور الآتية:

- قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الأعراف: 23].
- قوله تعالى: ﴿قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ مِنَ الْجِنِّ وَالإِنْسِ فِي النَّارِ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعْنَتْ أُخْتَهَا حَتَّى إِذَا آدَارَكُوا فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَيْنَهُمْ لِأَوْلَادِهِمْ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ أَضَلُّونَا فَآتَاهُمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ النَّارِ قَالَ لِكُلِّ ضِعْفٌ وَلَكِن لَّا تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: 38]

- قوله تعالى: ﴿وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ تِلْقَاءَ أَصْحَابِ النَّارِ قَالُوا رَبَّنَا لِمَ جَعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [الأعراف: 47].

- قوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْتَرْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِن عُدْنَا فِي مِلَّتِكُمْ بَعْدَ إِذْ بَخَّعْنَا اللَّهُ مِنهَا وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ

(1) _ التحرير والتنوير: الطاهر ابن عاشور، ج12، ص84.

(2) _ ينظر: -مشكل إعراب القرآن: مكي بن أبي طالب القيسي، تح: ياسين محمد السواس، ط2، دار المأمون للتراث، دمشق، سوريا، دت، ج1، ص308.

-البرهان في علوم القرآن: الزركشي، ج3، ص213.

-الإتقان في علوم القرآن: السيوطي، ج5، ص1632.

الْفٰئِحِينَ ﴿ [الأعراف: 89].

-قوله تعالى: ﴿ وَمَا نُنْقِمُ مِنْآ إِلَّا أَنْ ءَامَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَتْ رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ ﴾ [الأعراف: 126].

-قوله تعالى: ﴿ فَقَالُوا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ [يونس: 85].

-قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ مُوسَى رَبَّنَا إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيٰوةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوَا عَنْ سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلٰى أَمْوَالِهِمْ وَأَشْدُدْ عَلٰى قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوْا حَتَّىٰ يَرُوْا الْعَذَابَ الْاَلِيمَ ﴾ [يونس: 88].

-قوله تعالى: ﴿ رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْنِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلٰوةَ فَاجْعَلْ أَفْعَدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنْ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴿٣٧﴾ رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ وَمَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَآءِ ﴾ [إبراهيم: 37-38].

-قوله تعالى: ﴿ رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلٰوةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاةَ ﴿٤٠﴾ رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ ﴾ [إبراهيم: 40-41].

-قوله تعالى: ﴿ وَأَنْذِرِ النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا رَبَّنَا أَخْرْنَا إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ نُّجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ الرَّسُلَ ؕ أَوْلَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُمْ مِّنْ قَبْلِ مَا لَكُم مِّنْ زَوَالٍ ﴾ [إبراهيم: 44].

-قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا رَأٰ الَّذِينَ أَشْرَكُوا شُرَكَآءَهُمْ قَالُوا رَبَّنَا هٰؤُلَاءِ شُرَكَآؤُنَا الَّذِينَ كُنَّا نَدْعُوا مِنْ دُونِكَ ؕ فَأَلْقُوْا إِلَيْهِمُ الْقَوْلَ إِنَّكُمْ لَكٰذِبُونَ ﴾ [النحل: 86].

-قوله تعالى: ﴿ إِذْ أَوْى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا ءَايْنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴾ [الكهف: 10].

في هذه الآيات حذف حرف النداء "يا" مع لفظ "الرب"، وتقدير الكلام: يا رب أنادي، وهو منادى بأداة محذوفة تقديرها "يا"، و"ربنا" منادى مضاف، محذوف منه حرف النداء، للدلالة على عظمته

وقدرته على استجابة الدعاء، و"نا" ضمير متصل مبني على السكون في محل جر بالإضافة.

إن الغاية من حذف حرف النداء "يا" مع لفظ "الرب" مفردا كان أم مضافا، هو تنزيهه وتعظيمه إجلالا وإكبارا.

ج- حذف حرف النداء "يا" مع غير لفظ "الرب":

وذلك في مواضع عديدة نذكر منها:

قوله تعالى: ﴿يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنبِكِ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ﴾ [يوسف: 29].

أطراف العملية الخطابية في القرآن الكريم ثلاثة، تتمثل في المخاطب وهو الله تعالى، والمخاطب وهو الرسول ﷺ أو الأنبياء، في حين أن الخطاب موجّه للناس جميعا.

في هذه الآية حُذف حرف النداء "يا"، لأن أصل الكلام "يا يوسف"، إشارة إلى الحالة التي آل إليها زوج امرأة العزيز، ليتيقنه التام بأنها هي التي راودته عن نفسه، وإرادة السوء ﴿وَاسْتَغْفِرِي لِذَنبِكِ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ﴾ وكأن الكلمات لم تسعف العزيز، إذ أراد أن يتستر على الفضيحة ويحافظ على سمعة أسرته، ف «نجد في حرف النداء من تقريب يوسف إلى العزيز، وإشعاره بالمنزلة التي يحتلها في نفسه إذ كان عنده بمنزلة الولد... إنه يُدكّر يوسف بالرعاية والحب اللذين لم يغفل عنهما يوسف... إن في حذف حرف النداء هنا إزالة لأي حاجز بينه وبين العزيز، بل في الحذف إظهار للتلاحم بينهما، وإن ما يصيب العزيز سوف يمتد ليوسف»⁽¹⁾.

و"يوسف" منادى حُذف منه حرف النداء "يا"، لقربه من عزيز مصر، وفي ندائه باسمه لطف به، وتأكيد على مكانته عند العزيز⁽²⁾.

و العلاقة الموجودة بين سياق التنزيل والسياق اللغوي هو أن العزيز لما أراد أن يُبقى الأمر سرا وحتى لا يخوض الناس فيه، حذف حرف النداء "يا" وكأنه يهمس في أذن يوسف خوفاً من أن يسمعه أحد،

(1) _ بلاغة التراكيب في علم المعاني: توفيق الفيل، ص 49، 50.

(2) _ ينظر: _ تفسير البحر المحيط: أبو حيان الأندلسي، ج 5، ص 29، _ التسهيل لعلوم التنزيل: أبو القاسم محمد بن أحمد بن جزى الكلبي الغرناطي، تح: محمد عبد المنعم اليونسي، إبراهيم عطوة عوض، دط، أم القرى للطباعة والنشر، القاهرة، مصر، دت، ج 2، ص 216. - إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم: أبو السعود العمادي، ج 4، ص 270.

وتماشيا مع الاختصار في الكلام والتستر فيه، لأن المقام مقام ضيق، وحزن فكان الحذف أبلغ من التعبير «واعلم أن دلالة السياق، قاطعة بهذه المحذوفات»⁽¹⁾.

وقد يكون الحذف مراعاة لجمال العبارة، ومحافظة على النسق، على نحو ما في قوله تعالى:

﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِنْ بَعْدِي ۖ أَعْجَلْتُمُ أَمْرَ رَبِّكُمْ ۖ وَأَلْقَى الْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ ۚ قَالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضَعُّوْنِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي فَلَا تُشْمِتْ بِيَ الْأَعْدَاءَ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [الأعراف: 150].

الشاهد هو قوله تعالى: ﴿قَالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضَعُّوْنِي﴾ فحذف حرف النداء " يا " من المنادى (ابن أم) فأصل الكلام " يا ابن أم " لأن القرآن الكريم يوظف ما يناسب السياق، وإليك إيضاح ذلك:

إن الموقف في هذه السورة يُعرف بتبع الآية من أولها ﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ...مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ لأنها من باب تذكيره ﷺ بقصص الأقسام السابقة، حين يخاطب هارون أخاه موسى ﷺ بأنه قد ساعده في إبعاد القوم عن عبادة العجل، وذلك بعد أن أرشدهم موسى ﷺ ودعاهم إلى توحيد الله وإخلاص العبادة له⁽²⁾.

ثم قال ﴿وَأَخَذَ قَوْمٌ مُوسَىٰ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُورٌ أَلْمَ يَرَوْنَ أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ﴾ [الأعراف: 148].

وسبب العودة إلى عبادة العجل هو غيابه عن القوم مدة ثلاثين ليلة أو أربعون يوما يناجي ربه، فظن القوم أن موسى قد مات فعادوا إلى سابق عهدهم من الكفر والإلحاد والشرك بالله⁽³⁾.

(1) _ البرهان في علوم القرآن: الزركشي، ج3، ص 129.

(2) _ ينظر: _ إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم: أبو السعود العمادي، ج3، ص 274 .

_ تفسير القرآن العظيم: ابن كثير، ج6، ص 396.

(3) _ ينظر: _ روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: الألوسي ج9، ص 64-66.

_ التحرير والتنوير: الطاهر ابن عاشور، ج9، ص 114.

فحذفت "الياء" مراعاة للسياق، ومراعاة لضيق المقام من استعمال كلمات كثيرة، وتجنباً لشماتة الأعداء، فنادى هارونَ أخاه بنداءٍ فيه استضعاف ولين، فقال: "يا ابن أم" ولم يقل "يا ابن أبي" استعطافاً ورفقاً، ولأن الأم مصدر للرحمة والعفو والتسامح.

إن حذف "ياء النداء" ⁽¹⁾ مناسب لسياق الإيجاز والعجلة في اتخاذ الموقف الصحيح، فناسب الحذف اللغوي السياق الذي دارت فيه الأحداث: «إن الإيجاز مناط السور المكية وأن الإطناب أو دقة التفصيل مناط السور المدنية، ذلك لأن المرحلة المدنية من نزول القرآن مرحلة تشريع فتطلب الأمر بسط الأمور الفقهية للمؤمنين... خلافاً لمضامين السور المكية، فهي تدور حول فكرة التوحيد وأمور الغيب والترغيب في وصف الجنة، والترهيب في وصف أهوال النار» ⁽²⁾ وهذا ما تُعنى به البلاغة إذ لكل مقام مقال.

ويأخذ حذف الحرف أشكالاً عديدة في القرآن الكريم كحذف همزة الاستفهام في قوله تعالى:

﴿وَجَاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوا إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ﴾ [الأعراف: 113]

أصلها: "أئن لنا" بصيغة سؤال.

وحذف حرف النون في "تك" التي أصلها "تكن" في مثل قوله تعالى ﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ﴾ [النحل: 127] ونحوه أيضاً ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الْأَحْزَابِ فَأَلْتَارُ مَوْعِدَهُ فَلَا تَكُ فِي مَرِيئَةٍ مِنْهُ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [هود: 17].

فالسباق النحوي هو الذي يضيف على الحرف قيمة خاصة، ويجعله في الموضع المناسب له، سواء

⁽¹⁾ _ حذفت "ياء النداء" في سبع وستين آية من القرآن الكريم.

ويوجد أيضاً حذف "ياء المتكلم" في مثل قوله تعالى: ﴿قُلْ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنظِرُونِ﴾ [الأعراف: 195]. حذفت الياء وعضت بالكسرة نيابة عنها "كيدون" وقوله أيضاً: ﴿إِنْ تَكْرَنْ أَنَا أَقَلُّ مِنْكَ مَا لَأَ وَوَلَدًا﴾ [الكهف: 39] حذفت الياء من "ترن" وعضت بالكسرة وأصلها "إن ترني"، ومثاله كذلك ﴿فَعَسَى رَبِّي أَنْ يُؤْتِيَنِي خَيْرًا مِنْ جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِنَ السَّمَاءِ فَتُصْبِحُ صَعِيدًا زَلَقًا﴾ [الكهف: 40].

⁽²⁾ _ جماليات المفردة القرآنية: أحمد ياسوف، تقديم: نور الدين عتر، ط2، دار المكتبي للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، سوريا، 1419هـ-1999م، ص 269.

ذكر هذا الحرف أم حذف⁽¹⁾.

وأمثلة حذف الحروف كثيرة، خصوصاً حروف النداء⁽²⁾، وهذا يعني أن القرآن الكريم، إذا حذف حرفاً فلغاية بلاغية أو نحوية، ودليله في ذلك السياق والجو العام للسورة « إنك تجد في كثير من تراكيب القرآن حذفاً، ولكنك لا تعثر على حذف يخلو الكلام من دليل عليه من لفظ أو سياق »⁽³⁾.

ويتضح من خلال هذا الاشتراط أن الحذف يقتضي دليلاً حالياً أو سياقياً يدل على المحذوف، حتى لا يحصل لبسٌ في المعنى.

2- حذف الاسم: يحذف الاسم لتحقيق غرض يقتضيه السياق، ولوجود قرائن دالة عليه.

2-1- حذف المبتدأ: وهو من أكثر المحذوفات وقوعاً في القرآن الكريم في مثل قوله تعالى:

﴿وَجَاءَ وَعَلَى قَمِيصِهِ يَدْمٌ كَذِبٌ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْراً فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ﴾ [يوسف: 18].

يخاطب سيدنا يعقوب أبناءه، بعدما قالوا له أنّ أخاهم قد أكله الذئب بينما كانوا يمرحون ويلعبون، ودليلهم في ذلك الدم الذي وجد على القميص ﴿وَجَاءَ وَعَلَى قَمِيصِهِ﴾ [يوسف: 18].

فقال لهم يعقوب ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ﴾ أي أن الصبر أولى من الجزع، ولا شكوى إلا لله الواحد الذي سوف يُخرجني من هذه المصيبة.

والحذف الموجود هو حذف المبتدأ: إذ يمكن القول: "أمري صبر جميل" أو "صبر أجدر بي وأجمل"، ويقول صاحب التحرير والتنوير: «ويجوز أن يكون "صبراً جميلاً" خبر مبتدأ محذوف دل عليه

(1) _ للإطلاع أكثر على دور الحرف في المعنى والجملة يراجع كتاب: دور الحرف في أداء معنى الجملة: الصادق خليفة راشد، دط، دار الكتب الوطنية، بنغازي، 1996 م.

(2) _ ينظر: _ النداء في اللغة والقرآن: أحمد محمد فارس، ط1، دار الفكر اللبناني، بيروت، لبنان، 1409هـ-1989م، ص 78-167 حيث تناول النداء وغايته والمعاني التي يخرج إليها.

_ أسرار العربية: أبو البركات عبد الرحمن بن محمد بن أبي سعيد الأنباري، تح: محمد بهجت البيطار، د ط، مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق، سوريا، د ت، 224-235.

(3) _ التحرير والتنوير: الطاهر ابن عاشور: المقدمة العاشرة، ج1، ص 112.

السياق، أي فأمرني صبر، أو مبتدأ خبره محذوف كذلك»⁽¹⁾.

فناسب الحذف حالة يعقوب عليه السلام جرّاء ما لقيه من أبناءه من كذب وبهتان وخداع، فالسياق هنا هو الذي فرض نوعية هذا الحذف المناسب لحالة يعقوب النفسية.

وإن حذف عنصر من السياق اللفظي لا يجد تعويضا له في أغلب الحالات إلا في السياق الاجتماعي "سياق التنزيل"، لأن غرضه الأول هو إيجاد مكان لسياق التنزيل في النص القرآني، والذي اكتسب كل أدواته اللغوية الداخلية والخارجية من السياق اللفظي وسياق التنزيل الاجتماعي⁽²⁾.

لقد امتاز النظم القرآني بالدقة والإحكام، التي تتسجم وتتناسب مع السياق، وما النَّظْمُ إلا ترتيب اللفظ نطقًا ليتفق مع المعنى، فلو أمعنا النظر في هذه الآية الكريمة لأدركنا ما يمثله السياق، يقول تعالى:

﴿ سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَابِعُهُمْ كُذِبُوا وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كُذِبُوا رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كُذِبُوا قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ بِعَدَّتِهِمْ مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَاهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴾ [الكهف: 22].

سيقولون بعد مرور الزمن كم عدد هؤلاء الفتية الذين ذهبوا في الدهر الأول، والله تعالى يخاطب سيدنا محمد عليه السلام بشأنهم في سورة الكهف، التي تتضمن أربع قصص، قصة أصحاب الكهف وقصة أصحاب الجنتين، وقصة موسى والخضر عليهما السلام وقصة ذي القرنين.

وأخرج ابن جرير في سبب نزول هذه الآية، من طريق ابن إسحاق عن شيخ من أهل مصر عن عكرمة عن ابن عباس قال: بعثت قريش النضر بن الحارث وعقبة بن أبي معيط إلى أحبار اليهود إلى المدينة، فقالوا لهم: سلوهم عن محمد عليه السلام، وصفوا لهم صفته، وأخبروهم بقوله فإنهم أهل الكتاب الأول، وعندهم ما ليس عندنا من علم الأنبياء، فخرجوا حتى أتيا المدينة، فسألوا أحبار اليهود عن رسول الله، فقالوا: سلوه عن ثلاث، فإن أخبركم بهن فهو نبي مرسل، وإن لم يفعل فالرجل متقوّل، سلوه عن فتية ذهبوا في الدهر الأول ما كان من أمرهم، فإنه كان لهم أمر عجيب، وسلوه عن رجل طواف بلغ مشارق الأرض ومغاربها ما كان

(1) _ التحرير والتنوير: الطاهر ابن عاشور، ج12، ص 239.

(2) _ في علم دلالة النص: نظرات في قصيدة الحذف بين مظاهر الإعجاز القرآني ومناهج التحليل اللغوي: محمد جعفر العارضي، ط1، تمور للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، سوريا، 2012 م، ص 49، 50.

نبؤه، وسلوه عن الروح ما هو؟ فأقبلا حتى قدما على قريش، فقالوا: قد جئناكم بفصل ما بينكم وبين محمد، فجاؤوا رسول الله ﷺ فسألوه فقال: أخبركم غدا.....؟⁽¹⁾.

من هذه الحديث نستشف أن الله تعالى قد أعلم عدداً قليلاً من خلقه بعدد هؤلاء الفتية وفي مقدمتهم محمد ﷺ، لأن قصتهم جاءت على لسانه، فلا شك أن الله أطلعه على عددهم،⁽²⁾ فنزلت هذه الآية.

ويذكر البقاعي أن أهل الكتاب ومن وافقهم في الخوض في تلك القصص، لم يعرفوا حقيقتهم أو صفتهم لقوله تعالى: ﴿رَجَمًا بِالْغَيْبِ﴾⁽³⁾.

فوقع الحذف في عددهم حتى وإن ذكر ثلاثة، خمسة، وسبعة، إلا أن العدد الحقيقي لا يعلمه إلا الله بدليل قوله تعالى: ﴿قُلْ رَبِّيَ أَعْلَمُ بِعَدَّتِهِمْ﴾ فحذف المبتدأ "هم" في ثلاثة مواضع، وأصل الكلام: هم ثلاثة، هم خمسة، هم سبعة، لأن سياق الآية أخبرنا عن هؤلاء الفتية من أهل الكهف الذين أُخْتُلِفَ فيهم؛ إذ غياب الضمير "هم" وهو المبتدأ دليل قوي يتفق مع سياق الأحداث، وأن هؤلاء القوم يجهلون عددهم ولو ذُكِرَ الضمير لأعطى إيجاء بمعرفة حقيقة العدد، وهو ما لا يتفق مع الظاهر من مدلول السياق، وفي هذا دليل على أن القرآن الكريم أراد أن يعظم مقام هؤلاء الفتية، ويجعلهم عبرةً ودرساً لغيرهم، في تحملهم الأذى من أجل الإبقاء على إيمانهم.

2-2- حذف المفعول به: أشار عبد القاهر الجرجاني إلى أهمية حذف المفعول به، فقال: « واللطائف كأنها فيه أكثر، ومما يظهر بسببه من الحسن والرونق أعجب وأظهر»⁽⁴⁾.

يحذف المفعول به مراعاة لنظم السياق، مع وجود قرينة حالية أو مقامية تدل عليه.

(1) _ لباب النقول في أسباب النزول: عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي بمامش كتاب: القرآن الكريم وتفسير الجلالين، تح: عبد القادر الأرناؤوط، د ط، دار ابن كثير، مصر، د ت، ص 282-286.

(2) _ ينظر: _التحرير والتنوير: الطاهر ابن عاشور، ج 15، ص 291.

_ تفسير القرآن العظيم: ابن كثير، ج 9، ص 121.

_ تفسير البحر المحيط: أبو حيان الأندلسي، ج 6، ص 109، 110.

(3) _ نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: البقاعي، ج 12، ص 42.

وينظر: _روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: الألوسي، ج 15، ص 240.

(4) _ دلائل الإعجاز: عبد القاهر الجرجاني، ص 153.

ومن أمثلة حذف المفعول به، قوله تعالى على لسان نوح عليه السلام: ﴿وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ، وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَبْنَىٰ أَرْكَبَ مَعَنَا وَلَا تَكُن مَعَ الْكَافِرِينَ﴾ [هود: 42].

الشاهد هو قوله تعالى: ﴿يَبْنَىٰ أَرْكَبَ مَعَنَا وَلَا تَكُن مَعَ الْكَافِرِينَ﴾.

هذا خطاب من الله تعالى على لسان سيدنا نوح عليه السلام يخاطب فيه ابنه، ويدعوه لكي يركب السفينة، ويناديه بدافع عاطفة الأبوة⁽¹⁾.

وهذا قبل انقطاع الصلة بين السفينة الجارية والبر، وليُنظَمَ إلى أهله والمؤمنين الموجودين فيها، ويناديه كي لا يكون مع الكافرين الذين سوف يغرقون لا محالة⁽²⁾ ﴿لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾ [هود: 43].

فحذف المفعول به "السفينة"، وتقدير الكلام: "اركب السفينة"، لأن المقام يتسم بتسارع الأحداث، وتتحرك عاطفة الأبوة في نفس نوح عليه السلام، الذي نادى ابنه في اللحظات الأخيرة عله ينجو من الغرق، ولضيق المقام الذي يوجب الإيجاز الذي لا مجال فيه للأخذ والعطاء والإقناع، فكان الحذف أحسن وسيلة لتبليغ تلك المعاني التي اقتضاها السياق.

ومن حذف المفعول به قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَلِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ [هود: 102].

حذف المفعول به في موضعين: «أخذ ربك - إن أخذه» والتقدير: "أخذ ربك القرى - إن أخذه القرى"، أو: وكذلك الأخذ الذي أخذنا به تلك القرى، أخذ ربك إذا أخذ القرى.

يقول الطبري: «كما أخذت أهل هذه القرى التي اقتصصت عليك نبا أهلها بما أخذتهم به من العذاب، وتكذيبهم رسلي، وجحودهم آياتي، فكذلك أخذى القرى وأهلها، إذا أخذتهم بعقابي، وهم ظلمة لأنفسهم، بكفرهم بالله...»⁽³⁾.

(1) _ لقد اختلف في هذا الابن، فقيل هو رابع أبنائه من زوجة ثانية كان اسمها (واعلة) غرقت، وكان اسمه (ياماً) وقيل اسمه (كنعان) وهو

غير كنعان بن حام جد الكنعانيين-ينظر: التحرير والتنوير: الطاهر ابن عاشور، ج12، ص75.

(2) _ إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم: أبو السعود العمادي، ج4، ص210.

(3) _ جامع البيان عن تأويل آي القرآن: (تفسير الطبري): الطبري، ج12، ص571.

فالأخذ هنا واقع بسبب ظلمهم، فحذف المفعول به لدلالة الظلم الواقع على أهل القرى، الذي دل عليه قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ﴾ والغرض منه التهديد والتحذير.

ومن حذف المفعول به أيضاً قوله تعالى: ﴿وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ [الأعراف: 44].

التعبير في هذه الآية مقصود به المستقبل بصيغة الماضي، تأكيداً لوقوعه وكأنه وقع فعلاً، لأن المؤمنين وجدوا ما وعدهم به الله وهي الجنة، أما الكفار فوجدوا النار التي وعدوا بها فأقروا بالحق، لكن بعد فوات الأوان⁽¹⁾.

فحذف مفعول (وعد) الثاني في قوله ﴿وَعَدَ رَبُّكُمْ﴾ لمجرد الإيجاز في قوله تعالى ﴿مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا﴾ والتقدير: فهل وجدتم ما وعدكم ربكم، أي من العذاب، فحذف « المفعول من الفعل الثاني إسقاطاً لهم عن رتبة التشريف بالخطاب عند الوعد »⁽²⁾.

فلالإيجاز مقام ولإطناب مقام، وكل منهما مناسب للمقال الذي ورد فيه: « ورأينا الله تبارك وتعالى إذا خطاب العرب والأعراب أخرج الكلام مخرج الإشارة والوحي والحذف، وإذا خاطب بني إسرائيل، أو حكى عنهم جعله مبسوطاً، وزاد في الكلام »⁽³⁾ فلكل مقام مقال، والبلاغة هي الإيجاز.

ولا يتسع المقام لذكر جميع أنواع الحذف والتفصيل فيها لأنها كثيرة في السور القرآنية⁽⁴⁾.

(1) ينظر: _التحريف والتنوير: الطاهر ابن عاشور، ج8، ص149.

_جامع البيان عن تأويل آي القرآن: (تفسير الطبري): الطبري، ج10، ص205.

(2) _إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم: أبو السعود العمادي، ج3، ص229.

وينظر: _تفسير البحر المحيط: أبو حيان الأندلسي، ج4، ص303.

(3) _ كتاب الحيوان: أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، تح: عبد السلام محمد هارون، ط2 مصطفى الباني الحلبي وأولاده، مصر 1384هـ-1965م، مج1، ص94.

(4) _ كحذف المضاف إليه: ويكثر في ياء المتكلم كقوله تعالى ﴿قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِإِخْتِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [الأعراف: 151] حذف الياء ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي﴾ وأصلها "ربي".

وكحذف التمييز في وقوله تعالى: ﴿وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتَمَمْنَا بِعَشْرِ فِتْمٍ مِيقَتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾ [الأعراف: 142]. فتقدير الكلام لا يحتاج إلى معان النظر لأن السياق واضح: وأتمناها بعشر ليالٍ، وحذف التمييز واضح "ليالٍ".

إن الحذف أسلوب ووسيلة لإظهار البلاغة القرآنية إذا وضع في سياقه المناسب، لأن غرضه الإيجاز والتأكيد على العقاب كمثال [سورة الأعراف: 44]، أو التأكيد على المكانة التي يحتلها المخاطب كمثال [سورة يوسف: 29].

ثانيا: حذف الجمل:

يمتد الحذف في العربية ليشمل الجملة، ويمكن التوصل إلى المحذوف بدلالة السياق عليه، ويظهر حذف الجمل في القصص القرآني⁽¹⁾، لأن طبيعة القصة تقتضي عدم التفصيل؛ إذ أنها تركز على ذكر الأحداث الرئيسة وتترك الثانوية التي يمكن للمتلقي أن يتخيلها بحسب موقعها في السياق القرآني.

وفي الأمثلة الآتية توضيح لحذف الجملة في القصص القرآني:

للاستزادة أكثر ينظر كتاب: الحذف البلاغي في القرآن الكريم: مصطفى عبد السلام أبو شادي، د ط، مكتبة القرآن للطبع والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر. دت.

علما أن هذا الكتاب قد تناول تحدث الحذف وربطه بالجانب النحوي مع التركيز على الغرض البلاغي الذي يخرج إليه، ولم يتحدث مطلقا عن سياق التنزيل.

(1) _ القصص: لغة: القص يدل على تتبع الشيء مأخوذ من قولك: اقتصصت الأثر، إذا تتبعته،

ينظر: - معجم مقاييس اللغة: أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكرياء، تح: عبد السلام محمد هارون، ط3، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، 1402هـ-1981م مادة [ق ص]، ج5، ص 11.

ومدلول القصة في اللغة: الحكاية عن خبر وقع في زمن مضى لا يخلو من بعض العبرة، مع شيء من التطويل في الأداء، ينظر: بحوث في قصص القرآن: السيد عبد الحافظ عبد ربه، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 2000م، ص 44.

وهناك فرق بين "القصص" و"القصص" نوضحه كالآتي:

القصص بالكسر: جمع قصة، تقول فلان يكتب القصص ويرويها، والقصص بالفتح: فهي الأخبار والروايات التي يتبعها القاص ويرويها، كما أنه يرد بمعنى المصدر: فتقول: قصص، قصصا وقصصا. يراجع: القصص القرآني: عرض وقائع وتحليل أحداث: صلاح الخالدي، ط1، دار القلم، دمشق، سوريا، الدار الشامية، بيروت، لبنان، 1419هـ-1998م، ص 21.

أم مفهوم القصة في القرآن فيحدده ما ورد فيها من أنباء خاصة، سيقت على وجه العبرة للمصدقين والردع للمكذبين، وفيها أنباء الأنبياء مع أقوامهم كقوم نوح، هود، صالح، عليهم الصلاة والسلام.

والقصة القرآنية تساق لغايات كالعبرة والاستئناس وأخذ الموعظة منها، من ذلك ما أخبر الله به نبيه محمد ﷺ قائلا: ﴿كَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِنْ لَدُنَّا ذِكْرًا﴾ [طه: 99] وقال في موضع آخر ﴿تِلْكَ الْقُرَى نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِهَا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِنْ قَبْلُ كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الْكَافِرِينَ﴾ [الأعراف: 101]

1- حذف الجملة:

قال تعالى: ﴿ قَالَ يَقَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُمْ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَرَزَقْنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنهَنكُمُ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾ [هود: 88].

يخاطب شعيب عليه السلام في هذه الآية قومه: يا قوم أرايتم إن كنت على بينة وبرهان من ربي فيما أقوله لكم من الابتعاد عن عبادة الأوثان والأصنام، وإن نهيتكم عن فعل شيء سألتكم بهذا النهي أولاً، بمعنى أي لا أنهاكم عن فعل شيء وآتية ⁽¹⁾.

فحذف جواب الشرط الذي دل عليه السياق ﴿ إِنْ كُنْتُمْ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي ﴾ والتقدير «ماذا يسعكم في تكذبي، أو ماذا ينجيكم من عاقبة تكذبي، وهو تحذير لهم على فرض احتمال أن يكون صادقاً، أي فالحزم أن تأخذوا بهذا الاحتمال، أو فالحزم أن تنظروا في كنه ما نهيتكم عنه لتعلموا أنه لصالحكم» ⁽²⁾.

إن معرفة المخاطب والمخاطب تعين على فهم سبب هذا التغير في الكلام، وبهذا يكون لسياق الحال "التنزيل" أثر بارز في تحليل هذا الحذف.

كما أن السياق يُعين على فهم الآيات والسور والمغزى المراد منها، الأمر الذي يمكن من الوقوف على أسرار بنائها التركيبي.

ففي قوله تعالى: ﴿ وَجَاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوا إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴾ [الأعراف 113-114].

الخطاب في هذه الآية بين فرعون والسحرة، الذين بدؤوا في فرض شروطهم المتعلقة بطلب الأجر في حال تمكنوا من التغلب على موسى عليه السلام.

⁽¹⁾ ينظر: _ التفسير الكبير ومفاتيح الغيب: فخر الدين الرازي، ج 18، ص 46، 47.

_ جامع البيان عن تأويل آي القرآن: (تفسير الطبري): الطبري، ج 12، ص 549.

⁽²⁾ _ التحرير والتنوير: الطاهر ابن عاشور، ج 12، ص 143.

وينظر: _ إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم: أبو السعود العمادي، ج 4، ص 233.

_ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ابن عطية الأندلسي، ج 3، ص 201.

وفي هذا دليل على أن فرعون وملاؤه قد تملكهم الذعر والارتباك، فسحرهم ليس سوى تمويه واحتيال على الناس، ولم يكن فرعون في حالة تسمح له بالمساومة أو التفاوض مع السحرة، فوافق على شروطهم، وجعلهم في مناصب عالية في ملكه، حال تغلبهم على موسى عليه السلام⁽¹⁾.

وقد حذف المعطوف عليه بدلالة السياق، لأن تقدير الكلام يقتضي " نعم إن لكم لأجراً وإنكم لمن المقربين " وقد ذُكر في السياق ما يدل عليه من جعل السحرة من المقربين والمعنى: « لا أقتصر لكم على الجعل والثواب على غلبة موسى، بل أزيدكم أن تكونوا من المقربين، فتحوزون على الأجر، الكرامة، الرفعة، والجاه والمنزلة والمثاب... وفي مبادرة فرعون لهم بالوعد والتقريب منه دليل على شدة اضطراره لهم، وأنهم كانوا عالمين بأنه عاجز، ولذلك احتاج إلى السحرة في دفع موسى عليه السلام»⁽²⁾.

ومن خلال ما سبق يمكننا القول بأن قرائن السياق هي التي تعلل هذا الحذف.

ومن ذلك أيضاً قوله تعالى: ﴿ وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَّسُولًا ﴾ [الإسراء 94].

وقوله أيضاً: ﴿ وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ وَيَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ إِلَّا أَنْ تَأْتِيهِمْ سُنَّةٌ الْأُولَىٰ أَوْ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ قُبُلًا ﴾ [الكهف: 55].

فقد حذفت الجملة الفعلية ﴿ وَيَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ ﴾ المذكورة في "سورة الكهف" من "سورة الإسراء" فما السر في ذلك؟

هذا الحذف يفسره التركيب السياقي لكل آية، أي ما منعهم عن الإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم إلا قولهم ﴿ أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَّسُولًا ﴾ أي إنكارهم إرسال البشر رسلاً، لاعتقادهم أن الرسل تكون من الملائكة فقط، لا بشر يأكلون ويشربون⁽³⁾.

(1) ينظر: _جامع البيان عن تأويل آي القرآن: (تفسير الطبري): الطبري، ج10، ص352، 353.

_إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم: أبو السعود العمادي، ج3، ص293.

(2) _البحر المحيط: أبو حيان الأندلسي، ج4، ص360.

وينظر: التحرير والتنوير: الطاهر ابن عاشور، ج9، ص46.

(3) _روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: الألوسي، ج15، ص171.

وتقدير الكلام: وما منع هؤلاء المشركين يا محمد من الإيمان إذا جاءهم بيان الله، وعلموا صحة ما تدعوهم إليه، والاستغفار مما هم عليه مُقيمون من شركهم إلا جيعهم سنننا في أمثالهم من الأمم المكذبة رُسُلها قبلهم، أو إتيانهم العذاب قُبلاً⁽¹⁾.

بمعنى إن الذي منع الناس من الإيمان هو العناد والطغيان، وتكذيب الرسل والاستخفاف بهم، واحتقارهم كما فعل من قبلهم.

وذكر الاستغفار بعد الإيمان تذكير لهم بأن يبادروا بالتوبة إلى الله، وأن لا يكذبوا الرسل لأنهم بشر مختارون بعناية ربانية من عنده تعالى.

ولقد عُدَّت كلاً من آيتي الإسراء والكهف من باب متشابه القرآن الكريم، الذي أفرد له: محمود بن حمزة بن نصر الكرماني (ت505هـ) كتاباً عنوانه: " البرهان في توجيه متشابه القرآن ".

حيث حلل هذا الحذف وربطه بالتركيب في سورة الإسراء اتصل بقوله تعالى: ﴿أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا﴾ أما التركيب الآخر فاتصل بقوله تعالى: ﴿إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمْ سُنَّةٌ الْأَوَّلِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ قُبُلًا﴾ فكلتا الآيتين تضمنتا مانعاً من الإيمان بمحمد ﷺ، واختلاف المانعين هو الذي أدّى إلى الحذف في السورة الأولى، والذكر في السورة الثانية⁽²⁾.

وخلاصة القول: إن قرائن السياق-اللغوي والتنزيل- التي تُعلّل الحذف، لها أثر واضح في الوقوف على أسرار التركيب، وهي التي تكوّن سياق التركيب نفسه.

2- حذف الجمل:

أشرت سابقاً إلى أن هذا الحذف يظهر في القصص القرآني، لأنه من تقنيات السرد القصصي، ويؤدي وظيفتين رئيسيتين⁽³⁾:

(1) _جامع البيان عن تأويل آي القرآن: (تفسير الطبري): الطبري، ج15، ص 300.

(2) _ البرهان في توجيه متشابه القرآن: محمود بن حمزة بن نصر الكرماني، تح: عبد القادر عطا، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1406هـ-1986م، ص 118.

(3) _ تصريف القول في القصص القرآني: دراسة بلاغية تحليلية لقصة موسى عليه السلام: احمد محمد صافي المستغامي، دط، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، 2011م، ص 44.

-الوظيفة الأولى: تسريع عرض المشاهد، ويكون ذلك بطيِّ كثير من الأحداث التي يدل عليها السياق، وتُفهم من خلال بقية الأحداث المعروضة.

-الوظيفة الثانية: تحريك القارئ وتنشيط خياله، لكي يتم بناء ما ينقص من أحداث.

حيث إن القرآن الكريم حين يحذف بعض المشاهد والأحداث، يجعل المتلقي مشاركا في بناء الأحداث، وكما قال سيد قطب: « القرآن يجعل الجمال الفني أداة مقصودة للتأثير الوجداني، فيخاطب حاسة الوجدان الدينية بلغة الجمال الفنية»⁽¹⁾.

وأحسن مثال على ذلك قصة "سورة يوسف"، التي يظهر الحذف جليا في بناء أحداثها⁽²⁾.

من مثل قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ الَّذِي نَجَّا مِنْهَا وَأَذَكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا أَنْبِئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعُ عِجَافٍ وَسَبْعِ سُنبُلَاتٍ حُضْرٍ وَأُخَرَ يَابَسَاتٍ لَعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ [يوسف 45-46].

في هذه الآيات جمل كثيرة حُذفت ودلَّ عليها السياق كعجز الكهنة على تفسير رؤيا الملك، حين تذكر الساقية الفترة التي قضاها فيها في السجن، مع فتى اسمه يوسف فسر له رؤياه ورؤيا صاحبه، فذكر ذلك عند الملك، الذي طالب بسرعة بإحضاره، لكي يفسر له رؤيا سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات حضر وأخرى يابسات.

والتقدير: (فأرسلون إلى يوسف لاستعبه الرؤيا فأرسلوا إليه لذلك، فجاءه فقال له الملك: يا يوسف)، وكل هذه الأحداث محذوفة لأن قوله ﴿ فَأَرْسِلُونِ ﴾ يدل لا محالة على المرسل إليه، فثبت أن إلى "يا يوسف" محذوف قد تُرك ذكره استغناءً بما ظهر عما تُرك، ثم إنه لما طلب الإرسال إلى "يوسف" عند العجز الحاصل للمعبرين عن تعبير رؤيا الملك، دل ذلك على أن المقصود من طلب الإرسال إليه استعباره الرؤيا التي عجز

(1) _ التصوير الفني في القرآن: سيد قطب، ص 143.

(2) _ من بلاغة القرآن الكريم في سورة يوسف: فتحي عبد القادر فريد، ط1، مكتبة النهضة المصرية، مصر، 1405هـ-1983م

تناول هذا الكتاب قصة يوسف عليه السلام من جوانب عديدة: إعجازية، بلاغية، تفسيرية ونحوية.

وينظر أيضا: _ تأملات إيمانية في سورة يوسف: ياسر برهامي، د ط، دار الإيمان، للنشر والتوزيع، إسكندرية، مصر، 2004م.

-بحر المحبة في أسرار المودة في تفسير سورة يوسف: أحمد الغزالي، د ط، القاهرة، مصر، 1963م.

الكهنة عن تعبيرها (1).

لقد ساعد هذا الحذف على تصوير المشهد، والشعور بالذنب والتقصير، إذ تذكر الرجل الذي نجا من السجن، طلب يوسف بعد أن نسيه مدة من الزمن، وقال تعالى حكاية عن يوسف: ﴿وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِّنْهُمَا اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ فَأَنَسَهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ﴾ [يوسف: 42].

وكلما تسارعت الأحداث في قصة يوسف، كثُر الحذف الذي دل عليه السياق: ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ أَتُونِي بِهِ ۖ فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَالَ ارْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسَأَلَهُ مَا بَالَ النِّسْوَةِ الَّتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ﴾ [يوسف: 50].

لقد ترك السياق فجوة بحذف بعض التفاصيل التي تدرك بالمقام، فالمعنى صدق تأويل يوسف للرؤيا فعجب الملك لذلك، وطلب من الرسول أن يحضر يوسف، فأرسلوه لأجل ذلك، فلما جاءه الرسول قال: ارجع إلى ربك فأسأله ما بال النسوة اللاتي قطعن أيديهن لما رأين يوسف، حتى يكون حضوره إلى الملك مرموقاً، وثبتت براءته مما تُسب إليه في بيت العزيز (2).

والهدف من هذا هو بيان عزة يوسف، وثقته ببراءته، وحرصه على عدم الخروج قبل ظهور الحقيقة لدى الملك وعامة الناس.

ومما ورد في السورة أيضاً قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ أَتُونِي بِهِ ۖ اسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ﴾ (٥٤) قَالَ أَجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلَيْمُ (٥٥) وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ

(1) ينظر: _ البرهان في علوم القرآن: الزركشي، ج3، ص 194، 195.

_ البحر المحيط: أبو حيان الأندلسي، ج5، ص 314.

_ جامع البيان عن تأويل آي القرآن: (تفسير الطبري): الطبري، ج 13، ص 181-189.

(2) ينظر: _ التحرير والتنوير: الطاهر ابن عاشور، ج12، ص 288، 289.

_ البحر المحيط: أبو حيان الأندلسي، ج5، ص 315، 316.

_ تفسير القرآن العظيم: ابن كثير، ج8، ص48، 49.

_ جامع البيان عن تأويل آي القرآن: (تفسير الطبري): الطبري، ج 13، ص 198-203.

يَبَوُّوا مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ [يوسف: 54-56].

فقال الملك ائتوني به استخلصه لنفسي حتى أنتفع به، فتحدث مع يوسف وأعجب بكلامه، وقال له: إنك اليوم لدينا مكين أمين، ومسؤول على كل شيء، وبعدهما رأى يوسف الملك ووثق به، طلب منه أن يجعله أميناً على خزائن الملك، أي على خيرات الأرض من قمح وشعير وحنطة وحبوب، فلبى الملك طلبه لمعرفته بنزاهة يوسف، وجعله أميناً على كل ما يملك⁽¹⁾.

هذه الجملة المحذوفة وغيرها، ألفت بضالها على مكانة يوسف لدى الملك، فلو ذكرت لما أدت هذه المعاني التي استدعاها السياق.

وقال تمام حسان مبيناً الضلال التي تركها حذف الجمل في القرآن الكريم في كتابه " البيان في روائع القرآن ": « فالحذف لا يكون إلا بدليل من بينة معهودة، أو نمط معروف، أو قرينة قائمة، أو معنى في السياق لا يستقيم إلا مع تقدير الحذف »⁽²⁾.

فالحذف في القرآن الكريم يقع في مستويات مختلفة، إما على مستوى الحرف، أو على مستوى الكلمة المفردة، أو على مستوى الجملة الواحدة، وإما على مستوى أكثر من جملة تحقيقاً للإيجاز، مما يعني أنه ظاهرة طبيعية يتسم بها الخطاب القرآني؛ إذ هو من مظاهر بلاغته وإعجازه، لأن كثرة ذكر التفاصيل وتكرارها يؤدي إلى تفكك الخطاب، وقد يؤدي إلى غياب المعنى الرئيس، وتشتيت ذهن القارئ.

يقول فاضل صالح السامرائي عن الحذف الذي جعله غاية البلاغة القرآنية: « قد يحذف في التعبير القرآني لفظاً، أو أكثر حسبما يقتضيه السياق، فقد يحذف حرفاً أو يذكره، أو يجتزئ بالحركة للدلالة على المحذوف، كل ذلك لغرضٍ بلاغيٍ تلحظ فيه غاية الفنِّ والجمال »⁽³⁾.

(1) _ ينظر: _ البحر المحيط: أبو حيان الأندلسي، ج5، ص 318.

_ إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم: أبو السعود العمادي، ج4، ص 286، 287.

_ جامع البيان عن تأويل آي القرآن: (تفسير الطبري): الطبري، ج 13، ص 215-221.

(2) _ البيان في روائع القرآن: دراسة لغوية وأسلوبية للنص القرآني: تمام حسان، ط3، عالم الكتب، نشر وتوزيع وطباعة، القاهرة، مصر 1430هـ-2009م، ج1، ص 91.

(3) _ التعبير القرآني: فاضل صالح السامرائي، ص75.

هذه هي البلاغة القرآنية التي أجهرت أساطين اللغة، قال تعالى: ﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مَدَادًا لَكَلِمَتِ رَبِّي لَنَفَذَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ نَنْفَذَ كَلِمَتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾ [الكهف: 109].

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبحث الثالث:

أثر دلالة السّياق في تعيين نوع
الجملة

تمهيد:

إن من سنة الله تعالى أن يرسل الرسل بألسنة أقوامهم، وينزل عليهم الكتب بألسنتهم أيضاً، ليفهموا من الله خطابه ومراده، فيؤمنوا به ويصدقوه، ولو كان بغير لغتهم لاحتاجوا إلى ترجمان يبين لهم معانيه، وهذه المعاني موجودة في حروف القرآن الكريم وكلماته وجمله.

ولقد تناول علماء النحو والبلاغة الجملة بالدراسة المستفيضة، وامتزجت الدراسات النحوية عندهم بالفنون البلاغية المختلفة من بيان ومعانٍ وبديع.

وقبل التفصيل في هذا نعزف الجملة لغة واصطلاحاً:

فالجمله لغة: الجمل: الجماعة من الناس، ويقال جمل الشيء جمعه، وقيل لكل جماعة غير منفصلة: جملة والجملة واحدة: الجُمْلُ، والجملة: جماعة الشيء، وقيل الحساب الذي لم يُفصّل والكلام الذي لم يُبيّن تفصيله جُمْلٌ، وقد أجملت الحساب وأجملت في الكلام⁽¹⁾.

وجاءت الجملة في القرآن الكريم بمعنى الجمع: قال تعالى: ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً ﴾ [الفرقان: 32]؛ أي مجتمعة لا كما نزل عليه نجوماً مفترقة.

أما اصطلاحاً: فقد حدث اختلاف في تعريف كلمة " الجملة " عند قدامى النحاة لأنها ارتبطت بمفهوم الكلام، لذا قيل إن الكلام والجملة مصطلحان لشيء واحد.

فالكلام والجملة بمعنى واحد عند ابن جني في كتابه " الخصائص "⁽²⁾، والزمخشري في " المفصل " بشرح ابن يعيش: « الكلام هو المركب من كلمتين أسندت إحداهما إلى الأخرى، وذلك لا يتأتى إلا في اسمين كقولك زيد أخوك، وبشر صاحبك أو في فعل واسم، نحو قولك: ضرب زيد وانطلق بكر ويسمى

(1) ينظر: -لسان العرب: ابن منظور، مادة(جمل) ج 9، ص 685، 686.

-المفردات في غريب القرآن: أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالرأغب الأصفهاني، تح: نزار مصطفى الباز، د ط، مكتبة

نزار مصطفى الباز، مصر، دت، ج1، ص 127.

(2) _ الخصائص: ابن جني، ج1، ص 17.

الجملة»⁽¹⁾.

وشرح ابن يعيش ذلك بقوله: «واعلم أن الكلام عند النحويين عبارة عن كل لفظ مستقل بنفسه مفيد لمعناه ويسمى الجملة»⁽²⁾.

إلا أن المتفق عليه نحوياً أن الكلام والجملة مختلفان، فإن شرط الكلام الإفادة، ولا يشترط في الجملة أن تكون مفيدة، وإنما يشترط فيها الإسناد.

جاء في " التعريفات " أن الجملة: «عبارة عن مركب من كلمتين أسندت إحداهما إلى الأخرى سواء أفاد كقولك: " زيد قائم " أو لم يفد كقولك " أن يكرمني " فإنه جملة لا تفيد إلا بعد مجيء جوابه، فيكون الجملة أعم من الكلام مطلقاً»⁽³⁾.

وهناك تعريفات أخرى تناولت الجملة، وإن كانت ألفاظها مختلفة⁽⁴⁾.

أما الدراسات العربية الحديثة التي تناولت تعريف الجملة من منظور لساني وتداولي، قد انطلقت في تعريفها من الدرس التراثي العربي⁽⁵⁾.

(1) _ شرح المفصل: موفق الدين ابن يعيش النحوي، د ط، إدارة الطباعة المنيرية، مصر، د ت، ج 1، ص 18.

(2) _ المصدر نفسه، ج 1، ص 20.

(3) _ التعريفات: علي بن محمد الشريف الجرجاني، د ط، مكتبة لبنان، بيروت، لبنان، 1985م، ص 82.

(4) _ ينظر: _ الجملة العربية والمعنى: فاضل صالح السامرائي، ط 1، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، 1421هـ-2000م، ص 7، 8.

-شرح الرضى على الكافية: رضى الدين الاستربادي، ج 1، ص 8.

-الجمال: أبو بكر عبد القاهر عبد الرحمان بن محمد الجرجاني، تح، علي حيدر، د ط، مجمع اللغة العربية، دمشق، سوريا، 1392هـ-

1972م، ص 40.

-الجملة النحوية: نشأة وتطورا وإعرابا: فتحي عبد الفتاح الدجني، ط 2، مكتبة الفلاح الكويت، 1408هـ-1987م، تناول هذا

الكتاب تعريف الجملة وأقسامها وأنواعها وأحكام إعرابها.

(5) _ ينظر: _ الألسنة التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية: الجملة البسيطة: ميشال زكريا، ط 2، المؤسسة الجامعية للنشر والتوزيع،

بيروت، لبنان، 1406هـ-1986، ص 26-28.

-قواعد تحويلية للغة العربية: محمد علي الخولي، د ط، دار الفلاح للنشر والتوزيع، الأردن، 1999م، يراجع الكتاب كاملا.

-نحو النص: اتجاه جديد في الدرس النحوي: أحمد عفيفي، ط 1، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، مصر، 2001م، ص 63-90.

-قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية: بنية الخطاب من الجملة إلى النص: أحمد المتوكل، د ط، دار الأمان للنشر والتوزيع، الرباط،

المغرب، دت، ص 35-73 و 151-227.

إن الجملة في أقصر صورها أقل قدرا من الكلام، تفيد السامع بمعنى مستقل بنفسه، سواء تركبت من كلمة واحدة أو أكثر⁽¹⁾.

يقول ابن هشام عن نوعي الجملة: «الاسمية هي التي صدرها اسم، كزيد قائم، وقائم الزيدان عند من جوزه، وهو الأخفش والكوفيون، والفعلية هي التي صدرها فعل كقام زيد، وضرب اللص، وكان زيدا قائما وظننته قائما، ويقوم زيد وقم»⁽²⁾.

وهذا تقسيم مبني على أساس اللفظ فقط، ووجه له نقد لاذع من طرف مهدي المخزومي⁽³⁾ من مثل: أن مثال (قائم الزيدان) في الجملة الاسمية غير صحيح، لأنها ليست بالجملة الاسمية، لأن المسند إليه فيها فاعل لا مبتدأ، وحتى إن قيل في إعرابه: أنه فاعل سد مسد الخبر، لأن كونه فاعلا ينفي أن تكون الجملة اسمية.

وإلى جانب تقسيم الجملة إلى اسمية وفعلية، هناك تقسيم آخر أضافه النحاة، وهو الجملة الشرطية والظرفية⁽⁴⁾، كما قسمت أيضا من الناحية الإعرابية⁽⁵⁾.

وهناك تقسيم آخر للجملة يربطها بالزمن الماضي أو الحاضر أو المستقبل، فقسمت إلى جملة فعلية

(1) _ من أسرار اللغة العربية: إبراهيم أنيس، ط6، مكتبة الأنجلو المصرية، مصر، 1978م، ص 276، 277.

(2) _ مغني اللبيب عن كتب الأعراب: ابن هشام الأنصاري، ج5، ص 13.

(3) _ في النحو العربي نقد وتوجيه: مهدي المخزومي، ط2، دار الرائد العربي، بيروت، لبنان، 1406هـ-1986م، ص 39-41.

(4) _ الشرطية: دخول أدوات الشرط: جازمة وغير جازمة: فالأدوات الجازمة حرفان: إن، إذ، والأسماء عشر: من، متى، مهما، ما، أين، أي، أيان، أي، حيثما، كيفما.

وتشتمل الأدوات غير الجازمة على اسمين: كيف، إذا، وأربعة أحرف: لو، لولا، لوما، أما.

(5) _ تقسم الجمل من الناحية الإعرابية إلى جمل لها محل من الإعراب، وجمل لا محل لها من الإعراب، لأن الأصل في الإعراب أن يكون للمفرد، ليأتي بعد المفرد إعراب الجمل.

والجمل التي لها محل من الإعراب: الجملة الواقعة خبراً، المفعول به، المضاف إليه، الجملة الواقعة بعد الفاء أو إذا الفجائية، الواقعة حالاً، الجملة التابعة لصفة، الجملة التابعة لجملة لها محل من الإعراب بالعطف.

-الجمل التي ليس لها محل من الإعراب: الابتدائية، الاعتراضية، التفسيرية، جملة جواب الشرط غير الجازم، جملة جواب القسم، جملة الصلة لاسم أو حرف، الجملة التابعة لجملة لا محل لها من الإعراب،

وللتفصيل أكثر ينظر: إعراب الجمل وأشبه الجمل: فخر الدين قباوة، ط5، دار القلم العربي، حلب، سوريا، 1409هـ-1989م.

زمنية، وجملية اسمية مرتبطة بقرائن تدل على الزمن⁽¹⁾.

وسأتناول في هذا المبحث الجملة الاسمية والفعلية وعلاقتها بسياق التنزيل والخطاب، ودون أن أتطرق إلى الجملة الاسمية المقيدة بكانا وأحواتها، أو دخول الفاء عليها⁽²⁾، أو التطرق إلى الجملة الفعلية والحديث عن الفاعل والمرفوعات والمكملات والأفعال المتعدية واللازمة، وغيرها من الموضوعات⁽³⁾.

إن وضع الكلمة في الآية واختيار موقعها والثامها مع جارها في الجملة، له أثره الكبير في السياق والدلالة على المعنى، والأمثلة الآتية تبرز اهتمام النظم القرآني باختيار الكلمات والجمل المناسبة، التي تصور المعنى وتشخصه وتوضحه على أتم صورة ووجه بلاغي وإعجازي.

يقول الله تعالى: ﴿وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ لَا يَتَّبِعُكُمْ سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُهُمْ أَمْ أَنْتُمْ صَامِتُونَ﴾ [الأعراف: 193].

هذا خطاب من الرسول ﷺ لقومه الذين يعبدون الأصنام، التي لا تسمع ولا ترى، ولا تنفع ولا تضر، ويُقيم عليهم الحجة لأنهم لو طلبوا منها الهداية لما استجاب لهم⁽⁴⁾.

وتقدير الخطاب: إن تدعوهم ليهدوكم إلى الهدى لن يستجيبوا لكم ولن يهدوكم أبداً، حتى وإن بقيتم على صمتكم دون دعائهم، فإنها أوثان لا تصلح للألوهية.

كما نلاحظ أن الخطاب قد عدل به من الجملة الفعلية ﴿أَدَعَوْتُهُمْ﴾ إلى جملة اسمية في قوله تعالى ﴿أَمْ أَنْتُمْ صَامِتُونَ﴾ أي بعطف الاسم على الفعل.

فمقتضيات السياق هي التي استدعت هذا التعبير، الذي كان يقتضي أن يقال: «سواء عليكم

(1) _ الدلالة الزمنية في الجملة العربية: علي جابر المنصوري، ط2، الدار العلمية الدولية ودار الثقافة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2002م.

(2) _ الجملة الاسمية: علي أبو المكارم، ط1، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، 1428هـ-2007م.

(3) _ الجملة الفعلية: علي أبو المكارم، ط1، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، 1428هـ-2007م.

(4) _ ينظر: _ البحر المحيط: أبو حيان الأندلسي، ج4، ص439.

_ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ابن عطية الأندلسي، ج2، ص488.

_ جامع البيان عن تأويل آي القرآن: (تفسير الطبري): الطبري، ج10، ص634.

أدعوتهم أم صمّتم».».

ويؤكد الزمخشري هذا بقوله: «لأنهم كانوا إذا حَزَّ بهم أمر، دعوا الله دون أصنامهم كقوله "إذا مسَّ الناس ضُرٌّ" فكانت حالهم المستمرة أن يكونوا صامتين عن دعوتهم، فقليل إن دعوتهم، لم تفترق الحال بين إحداثكم دعاءهم، وبين ما أنتم عليه من عادة صمتمكم عن دعائكم»⁽¹⁾.

فسياق الوقائع وحالة الكفار وتعاملهم مع الأصنام هي التي أدت إلى عدول الخطاب من الجملة الفعلية إلى الاسم، باختلاف الأسلوب جعل: «الجملة الاسمية في معنى الفعلية، معطوفة على الفعلية لأنها في قوة أم صمتم، عدل عنها للمبالغة في عدم إفادة الدعاء ببيان مساواته للسكوت الدائم المستمر»⁽²⁾.

وعلى هذا النحو يصبح المعنى كالاتي: سواء عليكم أدعوتموهم دعوة متجددة إلى دين الله، دين الحق، ونبذ الأصنام، أم لازتم الصمت، فالعدول إلى الجملة الاسمية كان من مقتضى الفصاحة والبلاغة، التي تظهر في كل مرة في النسق القرآني.

فالتعبير القرآني يظل جارياً على نسق واحد من السمو في جمال اللفظ، ودقة الصياغة اللغوية، وروعة التعبير من استعمال الجمل وتنوعها بحسب الأحداث والوقائع الجارية، فكل كلمة في القرآن الكريم وضعت في موضعها اللائق بها، حتى تكتسب مزايا دلالية وبلاغية من خلال النظم والسياق الذي وضعت فيه.

ومن الأمثلة أيضاً قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيدٍ﴾ [هود: 69].

هذه الآية الكريمة عبارة عن خطاب من الله تعالى لإبراهيم عليه السلام يخبره فيها بمجيء الملائكة الذين سماهم بالرسل، وهم جبريل وميكائيل وإسرافيل، ويشرونه بإسحاق وقيل هي البشارة بهلاك قوم لوط. فحيوا إبراهيم الخليل فرد عليهم "سلام" بالرفع أي عليكم السلام أو بمعنى: نحن سلّم منكم⁽³⁾.

(1) _الكشاف: الزمخشري، ج2، ص 543.

(2) _إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم: أبو السعود العمادي، ج3، ص305، 306.

(3) _ينظر: _جامع البيان عن تأويل آي القرآن: (تفسير الطبري): الطبري ج11، ص 466.

_الكشاف: الزمخشري، ج3، ص213.

_إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم: أبو السعود العمادي، ج4، ص224.

لقد صيغت هذه الآية صياغة عجيبة، وتألفت كلماتها وتعانقت جملها، حيث حيّت الملائكة إبراهيم عليه السلام بجملة فعلية "سلامًا" لأن تقدير الكلام: نسلم عليك سلاماً، فرد إبراهيم التحية بأحسن منها كما هي عادة العرب: ﴿وَإِذَا حُيِّتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا﴾ [النساء: 86]، معبرا عنها بالجملة الاسمية وهي «سلام» التي تقديرها: سلام عليكم، وهذا الوجه من التحليل هو الأليق بقوله تعالى.

يقول الألوسي: «وقد حياهم عليه السلام بأحسن من تحيتهم لأنها بجملة اسمية دالة على الثبات والدوام فهي أبلغ، وأصل معنى السلام السلامة مما يضر»⁽¹⁾.

وبعد التحية أحضر لهم عجلا حينذا مشويا، والشواء يكثر عند أهل البادية، وهذا كله من كرم العرب وحسن ضيافتهم، بدايةً من التحية إلى إحضار الأكل والتفنن فيه.

ففي كل مرة نمن النظر في آيات الذكر الحكيم، نتبين سر هذا الإعجاز من نظم وتركيب وتناسق بين الحروف والكلمات، وبين الكلمات والجملة، وبين الجملة والجمل، فهو كتاب لا يأتيه الباطل من بين يديه.

ومن روائع القرآن الكريم التصرف باللغة تصرفاً معجزاً، إذا أن الفعل يأتي بصيغة تناسب السياق

الذي ورد فيه، كما في قوله تعالى: ﴿أَبْلَغُكُمْ رَسُولًا لَمَّا هَمَّ بِتَارِكِكُمْ فَأَوَّلَبْتُمْ بِهِ الْإِنشَاءَ﴾ [الأعراف: 62]، وقوله أيضا: ﴿أَبْلَغُكُمْ رَسُولًا لَمَّا هَمَّ بِتَارِكِكُمْ فَأَوَّلَبْتُمْ بِهِ الْإِنشَاءَ﴾ [الأعراف: 68].

هذا تغير صاحب الفعلين "ناصح" و"أنصح" حسب سياق كل آية ورد فيها، رغم كونه ورد في سورة واحدة وبصيغتين مختلفتين.

والأصل في هذه الآيات هو خطاب للرسول صلى الله عليه وسلم، يذكره الله فيها بقصص الرسل مع أقوامهم، وما نالهم من عذاب في سبيل الدعوة إلى الله.

فالآية الأولى في قصة نوح مع قومه، والثانية هي قصة هود مع قومه عاد، وقد جاء التعبير في الأولى بالفعل "أنصح" وفي الثانية "ناصح"، لأن الآية التي سبقت آية "نصح" ﴿قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرُّكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [الأعراف: 60]؛ أي أن الكفار اهتموا نوحا بالظلال، الذي هو من صفات الأفعال

(1) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: الألوسي، ج 12، ص 94.

الغير الثابتة المتغيرة، في حين أن التعبير جاء بالاسم بعد قولهم لهود: ﴿ قَالَ أَمْلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ إِتْنَا لَزْنَكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴾ [الأعراف: 66]⁽¹⁾.

حيث اتهموا هوداً بالسفاهة التي هي من صفات النفس كما قال ابن جماعة: «الظلال صفة غير ثابتة فيمكن الخلو منه سريعاً، وهو يتجدد بترك الصواب إلى ضده، فقبول في قوم نوح عليه السلام بفعل "أنصح" وأما هود فقد أتهم بالسفاهة وهي من الصفات اللازمة لصاحبها، فقابلها بصفة ثابتة "ناصح" أمين»⁽²⁾.

فالفعل "ناصح" دليل على أن هوداً عليه السلام ثابت في نصحه لقومه، أما نوح عليه السلام فاستعمل معه "أنصح" للدلالة على التجدد والاستمرار في دعوة قومه إلى الهداية ليلاً ونهاراً، وهم الذين رموه بالضلالة، لقوله تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ﴾ [نوح: 5].

ويدعم الطاهر ابن عاشور القول السابق بقوله: « فنوح قال ما يدل على أنه غير مُقلع عن النصح... وهود قال ما يدل على أن نصحه لهم وصف ثابت فيه متمكن منه، وأن ما زعموه سفاهة هو نصح»⁽³⁾.

إن الكلام السابق يطلق عليه الانتقال من الاسم إلى الفعل أو من الفعل إلى الاسم، وهو مبني على أساس الثبات في الاسم والحركة، والتغير والحدوث في الفعل أو الجملة الفعلية، فالاسم يفيد الثبوت والفعل يفيد التجدد والحدوث وسر «ذلك أن الفعل مقيد بالزمن، فالفعل الماضي، مقيد بالزمن الماضي، والمضارع مقيد بزمن الحال والاستقبال في الغالب، في حين أن الاسم غير مقيد بزمن من الأزمنة، فهو أشمل وأعم وأثبت»⁽⁴⁾.

وهكذا فإن كلا من التركيب الاسمي والفعلية يؤدي دوره في إثراء الدلالة السياقية المنوطة به، وبحسب

(1) _ ينظر: _ إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم: أبو السعود العمادي، ج3، ص236-238.

_ جامع البيان عن تأويل آي القرآن: (تفسير الطبري): الطبري، ج10، ص261-265.

(2) _ كشف المعاني في التشابه من المثاني: بدر الدين بن جماعة: تح: عبد الجواد خلف، ط1، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، المنصورة، باكستان، 1410هـ-1990م، ص179.

(3) _ التحرير والتنوير: الطاهر ابن عاشور، ج8، ص203.

وينظر أيضاً: _ إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم: أبو السعود العمادي، ج3، ص238.

(4) _ أسرار التشابه الأسلوبي في القرآن الكريم: شلتاغ عبود، ط1، دار المحجة البيضاء، بيروت، لبنان، 1424هـ-2003م، ص50.

المعنى الذي يرتضيه النص القرآني.

وقد يكون الاختيار أحيانا لكلمة في مكان دون آخر، وتستبدل بغيرها فتعطي مدلولاً خاصاً، لا يوفيه حقه إلا استعمالها في المكان المناسب لسياقها.

من ذلك قوله تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِيَ إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ۗ وَلِدَارُ الْأَخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ [يوسف: 109]

وقوله تعالى: ﴿ فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَىٰ وَيَقُولُونَ سَيُغْفِرُ لَنَا وَإِنْ يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِثْلَهُ يَأْخُذُوهُ ۗ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِمْ مِيثَاقُ الْكِتَابِ أَنْ لَا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ وَدَرَسُوا مَا فِيهِ وَالِدَارُ الْأَخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَنْتَقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ [الأعراف: 169].

الشاهد في الآية الأولى قوله تعالى: ﴿ وَالِدَارُ الْأَخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ حيث ورد بصيغة الفعل ﴿ اتَّقَوْا ﴾.

أما الشاهد في الآية الثانية قوله تعالى: ﴿ وَالِدَارُ الْأَخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَنْتَقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾، وقد ورد بصيغة الفعل ﴿ يَنْتَقُونَ ﴾.

وقد كان الخطاب في قصة يوسف عليه السلام إلى القوم الذين دعوا إلى الاعتبار بأحوال الأمم التي أهلكت في زمن أنبيائهم، وذلك بالنظر إلى المنازل الخاوية على عروشها، ليعلموا أن الدار الآخرة خير لهم وأبقى من دار الدنيا.

أما خطاب سورة الأعراف فمتضمن ترهيب اليهود الذين كانوا في عصره صلى الله عليه وسلم، وإن الترهيب والترغيب لا يتعلقان إلا بالمستقبل، ولهذا تغيير الفعل على وفق الخطاب في الحضور والغياب⁽¹⁾.

(1) - ينظر: _جامع البيان عن تأويل آي القرآن: (تفسير الطبري): الطبري، ج10، ص534-541، وج13، ص380، 381.

_الكشاف: الزمخشري، ج2، ص527، 528. وج3، ص329.

_التحرير والتنوير: الطاهر ابن عاشور، ج9، ص159-164، وج13، ص67، 68.

_إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم: أبو السعود العمادي، ج3، ص288.

_روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: الألوسي، ج9، ص96-98. وج13، ص67، 68.

وعليه فإن:

-صيغة الفعل "اتقوا" تُستعمل لأخذ العبرة من الأحداث الماضية والاستفادة منها في المستقبل.

-أما صيغة الفعل "يتقون" فمتعلقة بالأفعال في المستقبل.

أي أخذ العبرة من الأحداث الواقعة في زمن الماضي، والاستفادة من الأفعال في المستقبل من أجل الفوز بدار الخلد، دار النعيم والبقاء.

وفي قوله تعالى: ﴿وَلَيْنَ أَذْقَنَا الْإِنْسَانَ مِمَّا رَحِمْنَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيَكْفُرُ ۖ وَلَيْنَ أَذْقَنَّهُ نِعْمَاءَ بَعْدَ ضِرَاءٍ مَسَّتَهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي إِنَّهُ لَفَرِحَ فَخُورٌ ۗ﴾ [هود: 9-10].

لقد غيّر السياق طريقة الخطاب، حين انتقل من الجملة الفعلية ﴿أَذْقَنَا الْإِنْسَانَ مِمَّا رَحِمْنَا مِنْهُ ۗ﴾ إلى الفعلين "أذاق ونزع" إلى الجملة الاسمية ﴿إِنَّهُ لَيَكْفُرُ ۖ﴾ الواقعة في جواب الشرط، وهذا بدوره يختلف عن جواب الشرط في الآية الثانية، حيث وقعت الجملة الفعلية ﴿لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي ۗ﴾ جواباً للشرط، بالرغم من أن السياق يتحدث عن طبيعة الإنسان في السراء والضراء. وقيل المراد بالإنسان في هذه الآية هو الوليد بن المغيرة، وقيل هو عبد الله بن أمية المخزومي⁽¹⁾.

وبحسب معنى الآية وسياقها العام فإن الخطاب موجه لعامة الناس، لأن الإنسان إذا كان في شدة وعسر تجده قلقاً جاحداً بأنعم الله عليه، وعند زوال الخن تجده فرحاً مسروراً، ودون شكر الله على نعمة الفرج⁽²⁾.

وجملة ﴿إِنَّهُ لَفَرِحَ فَخُورٌ ۗ﴾ استئناف ابتدائي للتعجب من حاله، و"فرح وفخور" صفتا مبالغة: أي

(1) ينظر: فتح القدير: الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير: محمد بن علي محمد الشوكاني، اعتنى به وراجعته: يوسف الغوش، 4ط، دار المعرفة، بيروت، لبنان، 1428هـ-2007م، ص 649.

البحر المحيط: أبو حيان الأندلسي، ج5، ص207.

(2) ينظر: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: الألوسي، ج12، ص15، 16، الكشاف: الزمخشري، ج3، ص186. جامع البيان عن تأويل آي القرآن: (تفسير الطبري): الطبري، ج12، ص340، 341. إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم: أبو السعود العمادي، ج4، ص189، 190.

شديد الفرح وشديد الفخر بعد زوال البأس والضرر⁽¹⁾.

إن طبيعة الإنسان النفسية متغيرة وقت الضيق ووقت الفرح، لذا تغير السياق بتغير حالة الإنسان، فالجملة الاسمية دالة على الثبات، وتناسب حالة الاستسلام التي تجعل الإنسان باقٍ في مكانه وقت الشدائد، يفكر في حل لمشكلته، أما في الجملة الفعلية ففيها حركة من خلال الإشارة إلى الفرح الذي يصاحب الإنسان وقت زوال الحزن، والاستبشار بالخير: ﴿وَإِنَّا إِذَا أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً فَحَرِحَ بِهَا وَإِنْ تُصِيبَهُمْ سَيِّئَةٌ يَمَّا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ الْإِنْسَانَ كَفُورٌ﴾ ﴿٤٨﴾ [الشورى: 48].

ومن الاستعمالات في تنوع الخطاب بين الاسمية والفعلية نقرأ قوله تعالى: ﴿وَكَتَبْنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾ ﴿١٥٦﴾ [الأعراف: 156].

الشاهد في هذه الآية قوله تعالى: ﴿فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾.

حيث وردت جملة صلة الموصول فعلية ﴿يَتَّقُونَ﴾، وإعرابها: فعل مضارع مرفوع بثبوت النون، والواو ضمير متصل في محل رفع فاعل، ﴿وَيُؤْتُونَ﴾ بنفس إعراب ﴿يَتَّقُونَ﴾، ثم تغير سياق الخطاب إلى الجملة الاسمية ﴿وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾ فجملة ﴿يُؤْمِنُونَ﴾ في محل رفع خبر "هم".

هذا الخطاب موجّه لليهود قوم موسى عليه السلام يخبرهم فيه بأن رحمته وسعت كل شيء، وأن هذه الرحمة ستكتب للذين يتقون، ويتعدون عن المعاصي، ويؤتون زكاتهم، وهي كناية على عدم حبهم لهذه الدنيا وتمسكهم بها، لأن اليهود معروفون بحبهم للمال، وجمعه له بشتى الطرق والوسائل⁽²⁾.

وقد ربطت هذه الأعمال بشرط الإيمان الذي كان سبباً في عدول الخطاب إلى الجملة الاسمية، والذي

(1) _ التحرير والتنوير: الطاهر ابن عاشور: ج12، ص 14.

(2) _ ينظر: _المصدر نفسه، ج9، ص129-131.

_جامع البيان عن تأويل آي القرآن: (تفسير الطبري): الطبري، ج10، ص478-488.

_إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم: أبو السعود العمادي، ج3، ص278، 279.

يجب أن يكون مقترناً بالتصديق بآيات الله ورسوله.

ولما كان الخطاب عن الرحمة و الهداية المتغيرة بحسب حالة العباد، جاء الكلام بجمل فعلية، ولكن لما ربطت بالإيمان تطلب الأمر توكيداً وحزماً واعتقاداً قوياً، وهذا ما يتناسب مع الجملة الاسمية التي تفيد التوكيد والاستمرارية والثبوت على الفعل.

فضلاً عن أن: « المعرفة التامة بالسياق شرط أساسي للقراءة الصحيحة، ولا يمكن أن نأخذ قراءة ما على أنها صحيحة إلا إذا كانت منطلقة من مبدأ السياق»⁽¹⁾.

ومن الأمثلة السابقة يتبين الفرق الدلالي بين الجملة الاسمية (اسم + اسم أو المبتدأ + الخبر)، والجملة الفعلية (فعل + فاعل + نائبه)، فالجملة التي مسندها فعل أو بدايتها بفعل إنما تدور على معنى دلالي هو (الحدث)، لارتباط هذا الفعل بالزمن الماضي أو الحاضر أو المضارع أو المستقبل (القريب والبعيد)، ولأنه جزء منه.

أما الجملة الاسمية فإنها دالة على معنى الثبوت، وقد تفيد معنى الدوام بالقرائن المختلفة.

وإذا كانت الجملة الاسمية دالة على إفادة معنى الثبات والدوام، والجملة الفعلية دالة على إفادة معنى التجدد والحدوث، فإن الجملة الاسمية في دلالتها يتسع نطاقها النصي لتدل على معنى أوفى مما تدل عليه الجملة الفعلية.

ويستعمل القرآن الكريم اللفظ بدلالة لا يؤديها لفظ آخر، وسياقه هو الذي يحدد اختيار الصيغة المناسبة في الموضوع المناسب، ولما بين هذه الألفاظ من اختلافات دقيقة في المعاني، نجد دعوة الأسلوب القرآني إلى عدم استعمال لفظ مكان غيره لقوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انظُرْنَا وَأَسْمَعُوا ۗ وَاللَّكَفِيرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [البقرة: 104] وقوله أيضاً: ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ ءَامَنَّا قُل لَّمْ نُؤْمِنُوا وَلَكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ ۖ وَإِن تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ، لَا يَلِتْكُمْ مِّنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئاً إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحجرات: 14]

(1) - الخطيئة والتكفير: من النبوية إلى التشریحية (مقدمة نظرية: دراسة تطبيقية): عبد الله محمد الغدامي، ط3، دار سعاد الصباح، القاهرة، مصر، 1993م، ص73.

فالاختلاف في بنية التركيب بين الاسمية والفعلية قد عمق من ترابط الخطاب وانسجامه وتماسكه. إن لدلالة السياق في الجمل الاسمية والفعلية، آثار بلاغية إعجازية تناسب مكانة الجملة القرآنية وكيف أنها صيغت بعناية فائقة لتلائم السياق القرآني الواردة فيه.

الفصل الثاني:

اتّساع دلالة السّياق في الخطاب القرآني

- المبحث الأول - تنوّع الصّيغ في الخطاب القرآني وعلاقته بالسّياق.
- المبحث الثاني - أثر دلالة السّياق في إظهار تناسب الآيات وترباطها.
- المبحث الثالث - المناسبة الصّوتية لسياق الكلام وأثرها في بيان المعنى.

جامعة الأمير
عليه السلام
المبحث الأول:

تنوع الصيغ في الخطاب القرآني

وعلاقتها بالسياق.

تمهيد:

تتفاوت دلالة معاني الصيغ الصرفية في الخطاب القرآني، وإن بدت في حال الأفراد أنها مترادفة ومتساوية، ولها نفس المعنى مع الصيغ الصرفية الأخرى في الوزن، أو في ترتيب الحروف، أو حتى في الحركات الإعرابية.

أما معاني "الصيغة" في اللغة والاصطلاح فهي على النحو الآتي:

لغة: وردت مادة (صوغ) في المعاجم اللغوية على معان متعددة منها:

جاء في لسان العرب: «صيغة الأمر كذا وكذا أي هيئته التي بُني عليها»؛ بمعنى الهيئة التي أتى عليها⁽¹⁾، و«الصَوغُ: مصدر صاغ الشيءَ يَصُوغُه صَوْغًا وصياغَةً وَصُغْتُهُ أَصَوْغُهُ صِياغَةً وصِغَةً: سَبَكُهُ ويقال: صاغ شعرًا وكلامًا: أي وضعه ورتبه»⁽²⁾.

وقد تأتي الصيغة للدلالة على التقدير والمثال والصورة: «الصيغة العمل والتقدير وصيغة القول كذا أي مثاله وصورته»⁽³⁾.

ومنه فالصيغة لها هيئة حاصلة من ترتيب الحروف والحركات، إضافة إلى المعنى الذي تحمله.

اصطلاحًا: تأتي مرادفة لمعنى "البناء" و"الوزن" و"الهيئة" لأن المراد من بناء الكلمة والوزن والصيغة: الهيئة التي يمكن أن يشاركها فيها غيرها وهي: عدد الحروف المرتبة والحركات والسكون، مع الأخذ بعين الاعتبار الحروف الزائدة والأصلية⁽⁴⁾.

أو هي: قوالب تصاغ فيها الألفاظ والكلمات لتحديد بها معاني الكلمات بمعنى: «القالب الذي تصاغ الكلمات على قياسه»⁽⁵⁾، وذلك بمعرفة ترتيب الحروف، ومعرفة إذا كانت هذه الحروف أصلية أو زائدة، والحركات الإعرابية المصاحبة لها من فتحٍ وجرٍّ وكسرٍ ونصبٍ.

ويقترَب الكفوي في تعريفه للصيغة من التعريف السابق، قائلاً: «الصيغة هي الهيئة العارضة للفظ باعتبار

(1) _ لسان العرب: ابن منظور، مادة (صوغ)، مج 4، ج 28، ص 2537.

(2) _ المصدر نفسه، مادة (صوغ) مج 4، ج 28، ص 2527.

(3) _ المصباح المنير: معجم عربي-عربي: أحمد بن محمد علي الفيومي، د ط، مكتبة لبنان، بيروت، لبنان، 1987م، ص 134.

(4) _ حاشية الصبان: شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، ومعه شرح الشواهد للعيني، تح: طه عبد الرؤوف سعد، د ط، المكتبة التوفيقية، مصر، دت، ج 4، ص 331-333.

(5) _ أقسام الكلام العربي من حيث الشكل والوظيفة: فاضل مصطفى الساقى، د ط، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، 1977م، ص 189.

الحركات والسكنات وتقدم بعض الحروف على بعض، وهي صورة الكلمة، والحروف مادتها»⁽¹⁾.

وتعريف الصيغة عند المحدثين أوضح وأدق فهي: « كل لفظ له معنى لغوي يفهم من مادة تركيبه، ومعنى صيغي وهو ما يفهم من هيئته، أي: حركاته وسكناته وترتيب حروفه، لأن الصيغة اسم من المصوغ الذي يدل على التصرف في الهيئة لا في المادة»⁽²⁾.

فالصيغة يشترط فيها اجتماع المعنيين اللغوي والصيغي الاشتقاقي، مما يبين أن الحروف والأدوات والضمائر والخوالب لا تدخل ضمن الصيغ، ولا توجد لها أصول اشتقاقية، فلا تعمم الصيغة وهو رأي عامة المحدثين⁽³⁾.

ويمكن القول إن الصيغة تشمل: الأسماء والأفعال والصفات فقط.

وهذه الأخيرة لها خصائص صرفية وتركيبية، فهي إضافة إلى كونها صيغاً صرفية لها معنى لغوي، وآخر صيغي بما ترد فيه من تراكيب نحوية، وباجتماع خصائصها الصرفية والتركيبية نجدها « تعكس إلى حد بعيد الخصائص المرتبطة بوظيفة التواصل، بحيث يمكن اعتبار بعض مقومات هذه البنية وسائل للتعبير عن الأغراض التواصلية التي يسعى المتكلم إلى تحقيقها في طبقات مقامية معينة»⁽⁴⁾.

فالتحول في صيغ اللغة العربية وفي سياق الخطاب القرآني، يعد رافداً مهماً في التحليل اللغوي، ووسيلة هامة تؤكد الإعجاز البلاغي والنحوي في القرآن الكريم، يقول ابن الأثير: « اعلم أيُّها المتوسِّخُ لمعرفة علم البيان أن العدول عن صيغة من الألفاظ إلى صيغة أخرى لا يكون إلا لنوع خصوصية اقتضت ذلك، وهو لا يتوخَّاه في كلامه إلا العارف برموز الفصاحة والبلاغة، التي اطلع على أسرارها وفتش عن دفائنها، ولا تجد ذلك في كل

(1) _ الكليات: معجم في المصطلحات والفروق اللغوية: أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي، تح: عدنان درويش ومحمد المصري، ط2، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، 1419هـ-1998م، ص 560.

(2) _ الإعجاز الصرفي في القرآن الكريم: دراسة نظرية تطبيقية، التوظيف البلاغي لصيغة الكلمة: عبد الحميد أحمد هندواوي، ط1، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، 1429هـ-2008م، ص 12.

(3) _ ينظر: _ اللغة العربية معناها ومبناها: تمام حسان، ص 133.

_ الإعجاز الصرفي في القرآن الكريم: دراسة نظرية تطبيقية، التوظيف البلاغي لصيغة الكلمة: عبد الحميد أحمد هندواوي، ص 24.

(4) _ قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية: بنية المكونات أو التمثيل الصرفي-التركيب: أحمد المتوكل، د ط، دار الأمان للنشر والتوزيع، الرباط، المغرب، دت، ص 65.

كلام فإنه من أشكال ضروب علم البيان وأدقها وأغمضها طريقاً»⁽¹⁾.

إن الصيغة وما تحمله من معانٍ مختلفة كانت من الوسائل التي اعتمدها الخطاب القرآني في توسيع الدلالة لكثير من المفردات القرآنية حسب السياق، ظف إلى ذلك ما أحدثه من تغير في المعنى الذي يقتضيه ذلك السياق دون غيره.

وسأحاول إبراز السمات اللغوية للصيغ التي يستعملها الخطاب القرآني، وفي سياقها الذي وردت فيه، مستعينة بكتب المفسرين الذين لديهم اهتمام واسع برصد هذه الصيغ اللغوية، والذين اعتمدوا في ذلك على السياق اللغوي للآيات المفسرة، أي من خلال أسباب نزولها "السياق الاجتماعي"؛ لأن الواقع اللغوي يؤكد أن لكل صيغة دلالة مختلفة لا تؤديها غيرها، وأن كل صيغة تستعمل في سياقٍ معين، يقتضيها ولا يستقيم المعنى إلا بها.

وبما أن القرآن الكريم معجز بمفرداته وكلماته وجمله، نجدُه أيضاً في غاية الدقة في اختيار الصيغ واستعمالها في المواضع التي يقتضيها السياق، لدرجة أننا لا يمكننا استبدال صيغة بأخرى مهما بدت قريبة وشبيهة بها. وسأبيّن أيضاً دلالة السياق في إثارة صيغة على أخرى، من خلال بعض الأمثلة المنتقاة من الربع الثاني في السور المكية، والتي تتجلى فيها دلالة السياق واضحة وأكثر فاعلية في توجيه المعنى.

أولاً- صيغ المبالغة:

تحفل اللغة العربية بصيغ المبالغة المشتقة من الفعل الثلاثي، وتدل على من يقوم بالفعل بكثرة أو مهارة أو يتصف بمعناه اتصافاً شديداً، لتحقيق قيمة جمالية، أو أغراض بلاغية ما، ومن هذه الصيغ: فَعَالَةٌ، فَعِيلٌ، فَعُولٌ، فَعَالٌ، مِفْعَالٌ... إلخ.

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ قَالَ أَلْمَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ عَلِيمٌ ﴾ [الأعراف: 109].

جاء الخطاب على لسان المألأ من قوم فرعون، وكأن كلامهم جاء بعد كلامه، أي أن فرعون عرض الأمر على النخبة من القوم - "المألأ" - وهم بدورهم عرضه على الحاضرين من عامة الناس - "القوم" - ﴿ قَالَ أَلْمَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ عَلِيمٌ يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴾ [الأعراف: 109-109].

(1) - المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر: ضياء الدين نصر الله بن محمد ابن الأثير، تح: أحمد حوفي، بدوي طبانة، ط2، دار الرفاعي، الرياض، المملكة العربية السعودية، 1983م، ج2، ص 12.

[110]، فكان رأيهم أن يرجئ الأمر، ويرسل لإحضار جميع السحرة الموجودين في البلاد، سواء أكانوا سحرة كباراً أم مبتدئين، ولهذا كان تفاعل هؤلاء العامة مع الحدث أقل من تفاعل الملأ، وكأنهم قالوا: إذا كان موسى ساحراً عليماً فأحضروا له كل ساحر عليم، وبالغوا في وصفه بأن قالوا فيه "عليم" أي: بالغ الغاية في علم السحر وخدعه وفنونه: ﴿قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ يَا تُوَكُّ بِكُلِّ سِحْرٍ﴾ [الأعراف 111-112]⁽¹⁾.

إن الكلام لما صدر من عامة الناس ناسبه التعبير بصيغة اسم الفاعل "ساحر"⁽²⁾، وذلك لعدم الحاجة إلى المبالغة في الوصف، وهي صفة تطلق على كل من يمارس مهنة "السحر"⁽³⁾.

و ورد في تفسير التحرير والتنوير: «وقرأ الجمهور: "بكل ساحر" على المبالغة في معرفة السحر، فيكون وصف "عليم" تأكيداً لمعنى المبالغة، لأن وصف "عليم" الذي هو من أمثلة المبالغة للدلالة على قوة المعرفة بالسحر.... والمقام يدل على أن المراد قوة علم السحر له»⁽⁴⁾.

وبهذا ندرك أهمية معرفة سياق الحال في اختيار الصيغ، إذ معرفة المخاطب (المتكلم) والمقصود به فرعون، والمخاطب (السامع) مقصود به الملأ وعامة القوم، قد ساهم في تحديد الدلالة وتوجيهها.

ومن أمثلة المبالغة أيضاً تغيير الكلام من " ظلوم -فَعُول " إلى " كَفَّار-فَعَال " في قوله تعالى

(1) - ينظر: _ البحر المحيط: أبو حيان الأندلسي، ج4، ص358.

_ روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: الألوسي، ج9، ص21.

_ جامع البيان عن تأويل آي القرآن: (تفسير الطبري): الطبري، ج 10، ص 347، 348.

_ إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم: أبو السعود العمادي، ج3، ص259.

(2) _ ولقد قورنت هذه الصيغة "ساحر" بصيغة المبالغة "سحار" ﴿يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ﴾ [الشعراء: 37] إذ الفرق بينهما: أن "الساحر" يُطلق على كل من يعمل بالسحر أو يعلمه، أم "السحار" فهو الذي مارس السحر وأجاده، حتى اشتهر به وصار صفة دائمة له. بدليل:

«لقد عارض الملأ فرعون عندما قال: «إن هذا لساحر عليم» بقولهم ﴿يَكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ﴾ فجاءوا بكلمة الإحاطة وبصيغة المبالغة ليطيخوا قلبه وليسكنوا بعض قلقه» ينظر: _ التفسير الكبير ومفاتيح الغيب: فخر الدين الرازي، ج24، ص132.

(3) _ ورد ذكر كلمة (السحر) في سورة الأعراف سبع مرات في الآيات: 109، 112، 113، 116، 117، 118، 119، 120، 121، 122.

(4) _ التحرير والتنوير: الطاهر ابن عاشور: ج9، ص45.

وينظر: _ الكشاف: الزمخشري، ج2، ص485.

﴿وَأَتَّخِذُكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعَدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا إِنْ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ [إبراهيم: 34].

هذه الآية خطاب تذكيري بنعم الله تعالى على عباده، وما يلاقيه من هذا العبد الضعيف من ظلم وكفر، وعدم حمد وشكر على هذه النعم التي يعجز عن تعدادها؛ ﴿إِنْ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾، أي: كفار جاحدٌ بهذه النعم، منصرف عن عبادة الله الذي أنعم عليه إلى غيره، تاركاً طاعته عابداً لغيره⁽¹⁾. وبالعودة إلى كتب النحو نجد أن:

" فَعُول " تصاغ لمن كثر منه الفعل⁽²⁾، وأن " فَعَّال " تصاغ لمن صار له الفعل كالصناعة، ويذهب الفارابي إلى أن " فعولا " لمن دام منه الفعل⁽³⁾.

وقيل عن صيغة " فَعَّال " : كل ما كان صنعةً أو معالجةً يجيء على " فَعَّال "، لأن " فَعَّال " تفيد تكثير الفعل، وصاحب الصنعة مداوم لصنعتة فجعل له البناء الدال على التكثير كالبزاز والعطار...⁽⁴⁾.

في ذلك يقول الزمخشري: « " لظلوم " يظلم النعمة بإغفال شكرها، " كفار " شديد الكفران لها، وقيل: ظلوم في الشدة يشكو ويجزع، كفار في النعمة يجمع ويمنع»⁽⁵⁾.

ومما سبق نستنتج أن صيغة " فَعَّال " تفيد التكرار والتجدد والاستمرار والملازمة، أما صيغة " فَعُول " و

(1) ينظر: تفسير القرآن العظيم: ابن كثير، ج8، ص228.

— روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: الألوسي، ج13، ص229.

— جامع البيان عن تأويل آي القرآن: (تفسير الطبري): الطبري، ج13، ص686.

(2) — هم الهوامع في شرح جمع الجوامع: السيوطي، ج5، ص88.

(3) — ديوان الأدب: أبو إبراهيم إسحاق بن إبراهيم الفارابي، تح: أحمد مختار عمر، مراجعة: إبراهيم أنيس، د ط، مجمع اللغة العربية، دمشق سوريا، 2003م، ج1، ص85.

(4) — ينظر: الفروق اللغوية: أبو هلال العسكري، تح: محمد إبراهيم سليم، د ط، دار العلم والثقافة، القاهرة، مصر، دت، ص24.

—المخصص: أبو الحسن علي بن إسماعيل المعروف بابن سيده، تح: لجنة إحياء التراث العربي في دار الأفاق الجديدة، دط، بيروت،

لبنان، دت، ص120.

(5) —الكشاف: الزمخشري، ج3، ص382.

وينظر: —إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم: أبو السعود العمادي، ج5، ص50.

— التحرير والتنوير: الطاهر ابن عاشور: ج13، ص237.

فتفيد المبالغة في الاتصاف بالفعل.

ولا يخفى أن في تضعيف العين من الدلالة على الشدة والتكثير، لذا فصيغة " فَعَالٌ " أبلغ من صيغة " فَعُولٌ " تطبيقاً للقاعدة اللغوية المعروفة « الزيادة في المبنى زيادة في المعنى ».

وبما أن للصيغة الصرفية وظيفة دلالية مهمة في التعبير القرآني، فإن صيغة " فَعُولٌ - لظلوم " تناسب جحود النعمة ونكرانها، وصيغة " فَعَالٌ - كَفَّارٌ " تناسب الشرك بالله، ويتجلى هذا في الآية: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَّاظٌ﴾.

ولمعرفة الغاية البلاغية من توظيف هذه الصيغة، نورد الآيات التي سبقت هذه الآية في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبُورِ ﴿٢٨﴾ جَهَنَّمَ يَصَلُّونَهَا وَيَنَسُّوا الْقَرَارُ ﴿٢٩﴾ وَجَعَلُوا لِلَّهِ أَدَادًا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِهِ ۗ قُلْ تَمَتَّعُوا فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ ﴿٣٠﴾ قُلْ لِعِبَادِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعُ فِيهِ وَلَا خِلَالٌ ﴿٣١﴾ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۗ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ ۗ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ ﴿٣٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ ۗ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ﴿٣٣﴾ وَءَاتَاكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا ۗ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾﴾ [إبراهيم: 28-34].

يقول الطبري: « إن الإنسان الذي بدل نعمة الله كُفْرًا (لَظُلُومٌ) يقول: لشاكر غير من أنعم عليه، فهو بذلك من فعله واضع الشكر في غير موضعه... وقوله (كَفَّارٌ) يقول: هو جحود نعمة الله التي أنعم بها عليه، لصرفه العبادة إلى غير من أنعم عليه، وتركه طاعة من أنعم عليه » (1).

ولو لم يختلف المعنى لما اختلفت الصيغة؛ إذ كل تغير من صيغة إلى أخرى لابد أن يصاحبه تغير من معنى إلى آخر، فالسياق القرآني يعطي لهذه الصيغة طابعًا خاصًا؛ فالظلم ذنب عظيم ﴿وَإِذْ اتَّكَفَرْنَا لَكُمْ ظُلْمًا عَظِيمًا﴾ [لقمان: 13]، فعبر عن ذلك بصيغة المبالغة " فَعُولٌ - لظلوم "، والشرك ذنب أعظم وأفظع، فأثر

(1) _ جامع البيان عن تأويل آي القرآن: (تفسير الطبري): الطبري، ج13، ص 686.

السياق اختيار صيغة "فَعَال - كَفَّار" في التعبير عنه، لما في هذه الصيغة من الدالة على شدة الحدث وعظمه. إن صيغة "فَعَال - كَفَّار" تفيد كثرة المزاولة للفعل وتكراره، فكأن الكافر قد صار الكفر له حرفة يُزاولها، أما "فَعُول - كَفُور" فتفيد الدلالة على المبالغة مع التجدد والاستمرار في الفعل، وكأن الإنسان المبالغ في الكفر بمنزلة مادة تُستنفذ في الكفر وتنفى فيه.

لقد عدل الخطاب القرآني في تعبيره، وغير من صيغة إلى صيغة أخرى بحسب ما يقتضيه المقام، مراعاة لدقة التعبير؛ فجاءت كل كلمة في مكانها المناسب لها، كما أن صيغة المبالغة "فَعَال - كَفَّار" أكسبت الآيات السابقة تجانسًا وتلاؤمًا صوتيًا مع فواصل الآيات: "البوار"، "القرار"، "النهار"، "الأنهار"، "النهار".

كما قد يرد في القرآن الكريم استعمال صيغة دون أخرى، لتغير المقام أو اقتضاء السياق لغاية ما، ومن ذلك قوله تعالى مخاطبًا نبيه محمدًا ﷺ: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُمْ بِآيَاتِنَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ [إبراهيم: 5].

لقد أرسل الله تعالى موسى ﷺ بالحجج والأدلة والبراهين، يدعو إلى دين الحق، وليخرج قومه من الضلالة إلى الهدى، ومن الكفر إلى الإيمان ويذكرهم بأيام الله، فسميت الأيام بالنعم، التي أنعمها الله عليهم، بعد أن أخرجهم فرعون من أرضهم، وكفاهم الله ظلمه وقهره وبطشه وإنزال المن والسلوى عليهم: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضِعُّ مِنْهُ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يَذِخُّهُمُ وَيَسْتَحِيهِمْ نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾ [القصص: 4]⁽¹⁾.

إن النعم عبرة لكل صَبَّارٍ في "الضراء"⁽²⁾ شكور في "السراء"⁽³⁾ كما جاء في الصحيح عن رسول الله ﷺ قال: «عجبا لأمر المؤمن إن أمره كله خير، وليس ذاك لأحد إلا للمؤمن إن أصابته سراء شكر، فكان

(1) ينظر: _ جامع البيان عن تأويل آي القرآن: (تفسير الطبري): الطبري، ج13، ص 594.

_ روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: الألوسي، ج13، ص187.

(2) عمدة التفسير عن الحافظ ابن كثير، مختصر تفسير القرآن العظيم، تح: أحمد شاكر، إعداد أنور الباز، ط2، دار الوفاء، المنصورة، مصر، 1426هـ-2005م، ج2، ص 337.

(3) _ تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ج8، ص 178.

خيراً له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له»⁽¹⁾.

فالإنسان إما «منصبر، وصابر، وصبار، فالمتصبر من صبر في الله، فمرة يصبر، ومرة يجزع، والصابر من يصبر في الله، ولا يجزع، ولكن يُتوقع منه الشكوى، وقد يمكن منه الجزع، فأما الصَّابِرُ فذلك الذي صَبَرَهُ اللهُ في الله والله وبالله، فهذا لو وقع عليه جميع البلايا لا يجزع ولا يتغير من جهة الوجوب والحقيقة لا من جهة الرسم والخليقة، وإشارته في هذا ظهور حكم العلم فيه مع ظهور صفة الطيبة»⁽²⁾.

فالصبر لا يكون صبراً إلا إذا أُفْتُرَنَ بالشكر وحمد الله على نعمه؛ سواء بعد الابتلاء أم في حالة الرغد، فجاءت كلمة "صَّابِر" على صيغة "فَعَّال" الدالة على الكثرة، ولم تستعمل صيغة "صَبُور" على وزن "فَعُول" الدالة على مداومة فعل الشيء.

فكل ما جاء على وزن منقول من أسماء الأشياء التي يُفَعَّلُ بها كالوضوء والسَّحُور والغسول...ومن هنا استُعير هذا البناء للدلالة على المبالغة التي ليس بعدها مزيد⁽³⁾.

وقد يكون الصبر على المكروه والابتلاء الذي لا تطيق النفس البشرية المداومة عليه؛ فاختار السياق الصيغة الدالة على الكثرة دون الدوام؛ لضعف العباد، ورفقاً بهم من الله عز وجل: ﴿مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَدِّهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [فاطر: 02].

ويرجع تخصيص كلمة "شكور" على وزن صيغة "فَعُول" للدلالة على دوام شكر النعم، هذا الشكر المتجدد صباحاً ومساءً، قياماً أو قعوداً، لهذا جاءت كلمة "شكور" بهذه الصيغة الدالة على الكثرة والدوام، وفي وقت واحد، فيكون الإنسان «صابر على بلائه، شكور لنعمائه، وخص الصبار والشكور، لأنهما هما اللذان ينتفعان بالتذكير والتنبية ويتعظان به»⁽⁴⁾.

(1) _ صحيح مسلم: أبو الحسن مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، اعتنى به: أبو صهيب الكرمي، د ط، بيت الأفكار الدولية، الرياض، المملكة العربية السعودية، 1419هـ-1998م، كتاب الزهد والرقائق: باب المؤمن أمره كله خير، حديث رقم 64-(2999)، ص 1200.

(2) _ نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: البقاعي، ج 10، ص 381، 382.

(3) _ ينظر: -إصلاح المنطق: أبو يوسف يعقوب بن إسحاق ابن السكيت: تح: أحمد محمد شاكر، عبد السلام محمد هارون، ط 3، دار المعارف، مصر، دت، ص 332.

-المزهر في علوم اللغة وأنواعها: عبد الرحمن جلال الدين السيوطي، شرح وضبط: محمد أحمد جاد المولى بك، علي محمد الجاوي، محمد أبو الفضل إبراهيم، ط 3، دار التراث، القاهرة، مصر، دت، ج 2، ص 73.

(4) _ تفسير البحر المحيط: أبو حيان الأندلسي، ج 5، ص 395.

وينظر: _ التحرير والتنوير: الطاهر ابن عاشور، ج 13، ص 190، 191.

فالصيغة لها وظيفة دلالية في التعبير القرآني، والسياق هو الوحيد الذي يؤكد ويثبت هذه الصيغة دون الأخرى في الخطاب القرآني.

ثانياً- إيثار المفرد على الجمع:

ذُكرت كلمة "دار"⁽¹⁾، في القرآن الكريم مفردة ثماني مرات دون الألف واللام "أل"، وذكرت بالألف واللام "الدار"⁽²⁾ في ثلاثة عشر موضعاً، وذكرت بصيغة الجمع "ديارهم"⁽³⁾ في تسع مواضع.

وقد جاءت مفردة في قصة صالح عليه السلام، الواردة في سورة الأعراف في قوله تعالى: ﴿فَأَخَذْتَهُمُ الرَّجْفَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَثِيمِينَ﴾ [الأعراف: 78]، وقوله كذلك في قصة شعيب عليه السلام: ﴿فَأَخَذْتَهُمُ الرَّجْفَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَثِيمِينَ﴾ [الأعراف: 91].

وجاءت في سورة هود بصيغة الجمع في قوله تعالى في قصة صالح عليه السلام: ﴿وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَرِهِمْ جَثِيمِينَ﴾ [هود: 67].

وقوله تعالى في قصة شعيب عليه السلام: ﴿وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَرِهِمْ جَثِيمِينَ﴾ [هود: 94].

وبالنظر إلى سياق كل آية يتبين الاختلاف في استعمال الصيغ، فأية سورة الأعراف وردت فيها كلمة "دار" مفردة، وفي سورة هود جاءت كلمة "ديارهم" مجموعة، فكلما ذُكرت "الرجفة"⁽⁴⁾ وُحِّدَت الدار، وكلما ذُكرت "الصيحة"⁽⁵⁾ جُمِعَت الدار.

(1) _ الأنعام: 127، الأعراف: 145، يونس: 25، إبراهيم: 28، النحل: 30، فاطر: 35، غافر: 39، فصلت: 28.

(2) _ البقرة: 94، الأنعام: 135، الرعد: 22، 24، 25، 42، القصص: 37، 77، 83، العنكبوت: 64 ص: 46، غافر: 52، الحشر: 09.

(3) _ البقرة: 75، 243، آل عمران: 195، الأنفال: 47، هود: 67، الحج: 94، الحشر: 2، 8.

(4) _ رجف: الرَّجْفُ: هو الاضطراب الشديد، يقال رجفت الأرض والبحر، والإرجاف هو إيقاع الرَّجْفَةِ إما بالفعل وإما بالقول.

ينظر: _ المفردات في غريب القرآن: الراغب الأصفهاني، ج1، ص 251.

(5) _ الصيحة: من الفعل صاح: رَفَعُ الصوت، ولما كانت الصيحة تُفْرَغُ عُبْرَها عن الفزع،

ينظر: _ المفردات في غريب القرآن: الراغب الأصفهاني، ج2، ص 378.

وذهب فخر الدين الرازي إلى أن الرجفة الهائلة في نفسها التي أصابت قوم صالح عليه السلام من جراء معاقرتهم للناقة، وتكذيبهم العذاب الذي ينتظرهم، لقوله تعالى: ﴿فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا يُصَلِّحُ أُمَّتَنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الأعراف: 77]، « فلما سمعوا الصيحة العظيمة تقطعت قلوبهم وماتوا جاثمين على الركب، وقيل وصلت الصاعقة إليهم فاحترقوا وصاروا كالرماد »⁽¹⁾.

والصيحة صدرت قوية من جبريل عليه السلام، وقد جثموا لها جميعاً وبقوا في أماكنهم لهول ما سمعوا: « فروى الكلبي عن ابن عباس رضي الله عنه قال: « لم يعذب الله أمتين بعذاب واحداً إلا قوم شعيب وقوم صالح، فأما قوم صالح فأخذتهم الصيحة من تحتهم، وقوم شعيب أخذتهم من فوقهم... وأخذت الذين ظلموا الصيحة وهي صيحة جبريل عليه السلام... »⁽²⁾.

فأفرد لفظ "الدار" في آية الأعراف، لأن الرجفة دمرت مواطنهم وبيوتهم تدميراً، لما فيها من قوة ضربت الأرض ودمرت كل شيء فيها في ملح البصر ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا﴾ [الزلزلة 1-2] فجاء اللفظ مفرداً.

وجُمع لفظ "الدار" في آية هود لأن الصيحة جاءت من السماء بصوت جبريل عليه السلام، وهي أقوى وأشد وطأة على السمع والبصر من الرجفة، فجاء اللفظ مجموعاً لبيان عظم التدمير وقوته وفداحة آثاره.

يقول الطاهر ابن عاشور مُبيناً أثر اللفظتين: « الرجفة اضطراب الأرض وارتجاجها، فتكون من حوادث سماوية كالرياح العاصفة والصواعق، وتكون من أسباب أرضية كالزلازل، فالرجفة اسم للحالة الحاصلة، وقد سماها في سورة هود بالصيحة فعلمنا أن الذي أصاب ثمود هو صاعقة أو صواعق متوالية رجفت أرضهم وأهلكتهم صِعَقِينَ »⁽³⁾.

وفي هذا مراعاة لسياق حال المخاطبين ومراعاة للسياق اللغوي الذي اقتضى إفراد لفظ "الدار" أو جمعه؛ إذ جاء مفرداً حين اقترن بـ "الرجفة" ومجموعاً حين اقترن بـ "الصيحة"، فسياق الحال أثبت أن أثر "الصيحة" أشمل وأقوى من أثر "الرجفة" على النفوس والعقول.

(1) _ التفسير الكبير ومفاتيح الغيب: فخر الدين الرازي، ج14، ص 173.

(2) _ المصدر نفسه، ج18، ص 53.

(3) _ التحرير والتنوير: الطاهر ابن عاشور، ج8، ص 227.

ثالثاً-صيغ الأفعال:

قد لا يلتزم بزمن واحد في الأفعال الواردة في سورة واحدة، أو الواردة في الآيات أو حتى الأفعال الواردة في آية واحدة، وذلك حسب ما يتطلبه السياق، فالفعل ما دل على معنى في نفسه مع اقترانه بزمان، فيما أن يكون ماضياً، أو حاضراً، أو مستقبلاً.

يقول سيويه عن الأفعال: « بُنِيَتْ لما مضى، ولما يكون ولم يقع، وما هو كائن لم يَنْقَطِعْ »⁽¹⁾.

فقوله: « لما مضى » فهو الفعل الماضي، وأما قوله: « ولما يكون ولم يقع » فهو الفعل المستقبل أو الأمر، وقوله: « وما هو كائن لم يَنْقَطِعْ » أي الفعل المضارع.

« فالماضي ما قُرِنَ به الماضي من الأزمنة نحو قولك: قام أمس... والحاضر: ما قرن به الحاضر من الأزمنة نحو قولك: هو يقرأ الآن... وهذا اللفظ يصلح للمستقبل، إلا أن الحال أولى به من الاستقبال، نقول: هو يقرأ غداً، سيقراً غداً... والمستقبل ما قرن به المستقبل من الأزمنة نحو قولك: سينطلق غداً، وسوف يقوم غداً، وكذلك جميع أفعال الأمر والنهي نحو قولك: قم غداً، ولا تقعد غداً »⁽²⁾.

فالأفعال إما أن تكون ماضية أو مضارعة أو أمراً، والزمن إما زمن الماضي أو المضارع أو المستقبل، وأحياناً نعبر عن الحدث الماضي بالمضارع، ونعبر عن الحدث المستقبل بالزمن الماضي.

وكثيراً ما لا نجد السياق القرآني على نمط واحد في استخدام الأفعال أو الأزمنة، كأن يرد في السياق ذكر للفعل المضارع ثم يجيء بالفعل الماضي في السياق نفسه، أي يغيّر في الآية الواحدة بين الأفعال، حسب ما يقتضيه سياق الحال أو السياق اللغوي.

1-تنوع زمن الفعل بحسب السياق:

1-1: إيثار صيغة المضارع على صيغة الماضي:

كما في قوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ يَمْسِكُونَ بِالْكَذِّبِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نَضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ ﴾ [الأعراف: 170].

(1) _الكتاب: سيويه: ج1، ص 12.

(2) _اللمع في العربية: أبو الفتح عثمان بن جني، تح: سميح أبو مغلي، د ط، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 1988 م، ص 28.

يظهر التحول في هذه الآية الكريمة من الفعل المضارع: ﴿يَمْسِكُونَ﴾ إلى الفعل الماضي ﴿وَأَقَامُوا﴾، وكان مقتضى الظاهر للسياق أن يجري على نسق واحد، فيكون الكلام: " وقيموا " .

إن التحول في هذا السياق فيه دلالة على: « أن التمسك بالكتاب أمر مستمر في جميع الأزمنة بخلاف إقامة الصلاة فإنها محتصة بأوقاتها وتخصيصها بالذكر من بين سائر العبادات »⁽¹⁾.

فالتمسك بالقرآن الكريم فيه خير ومنفعة للجميع، عند التزام أوامره، واجتناب نواهيه، وعلى العكس من ذلك الصلاة فرغم أنها عماد الدين ومن أعظم العبادات ﴿أَتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ﴾ [العنكبوت: 45]، إلا أن نفعها يعود على الفرد وحده فحسب، بخلاف التمسك بكتاب الله فخير يعم جميع أفراد المجتمع الواحد.

والمعنى في هذه الآية الكريمة، هو أن الله تعالى قد بين أفعال اليهود، فذكر عقابهم، وذلك بمسخهم قرده، وسلط عليهم الذل والهوان إلى يوم القيامة: ﴿فَلَمَّا عَتَوْا عَنْ مَا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لِيُبَعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [الأعراف: 166-167].

فهذا حال اليهود وحال كل مخالف لأوامره ونواهيه تعالى، بعد ذلك ذكر الله الذين يمسكون بالكتاب من قوم موسى، ويعملون بكل ما جاء فيه من أحكام، محافظين على الصلاة في وقتها، فلهم أجر كبير كأجر المصلحين⁽²⁾.

لقد أتت ﴿أَقَامُوا الصَّلَاةَ﴾ بالفعل الماضي " أقام "، وقيام الصلاة أسبق زمنياً من المحافظة على الكتاب «إظهاراً لمزية الصلاة لكونها عماد الدين وفارقه بين الكفر والإيمان»⁽³⁾.

(1) _ إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم: أبو السعود العمادي، ج3، ص 288.

(2) _ ينظر: _ جامع البيان عن تأويل آي القرآن: (تفسير الطبري): الطبري ج 10، ص 542، _ تفسير البحر المحيط: أبو حيان الأندلسي، ج4، ص416.

_ التحرير والتنوير: الطاهر ابن عاشور، ج10، ص164.

(3) _ الكشاف: الزمخشري، ج2، ص 528.

فجاء التعبير بصيغة المضارع ﴿يُمَسِّكُونَ﴾ لأن التمسك بالقرآن الكريم متعلق بكل الأزمنة، وجاء بصيغة الماضي ﴿أَقَامُوا﴾ لأن إقامة الصلاة تكون مختصة بأوقات معينة؛ أي: خمس صلوات في اليوم ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَّوْقُوتًا﴾ [النساء: 103].

فسياق الآية يرمي إلى تحقيق دلالة نفسية من استعمال صيغة الماضي بدلاً من صيغة المضارع في الخطاب، فكيف ذلك؟

إن في إقامة الصلاة صلاح للنفس، وفي التمسك بالكتاب العزيز صلاح لحياة الآخرين، ولا يمكن حدوث العكس إذا لم تكن النفس مؤمنة صالحة ورعة، لذلك جيء مع إقامة الصلاة "صلاح النفس" بصيغة الماضي، وحيء مع "التمسك بالكتاب" بصيغة المضارع، فالماضي سابقٌ زمنياً على المضارع.

وهذا التحول من الفعل المضارع إلى الفعل الماضي فيه دلالة قوية للسياق فيذكر العلوي: « أن إثارة الماضي والتحول إليه يدل على مبالغة في الثابت والاستقرار »⁽¹⁾.

ومن سياق الآيتين تجلّى المعنى بحسب ما يقتضيه السياق، في صورة أوضح وأكمل، لفهم ما ترمي إليه من معانٍ ودلالات؛ فالقرآن الكريم معجز بنظمه وتماسك تراكيبه، وتضافر معانيه مع السياق.

ومن الأمثلة أيضاً قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَأَتْبَعُوا آمْرَ فِرْعَوْنَ وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ وَيَسَّ الْوَرْدَ الْمَوْرُودُ﴾ [هود: 96-98].

تحول سياق الكلام من المضارع ﴿يَقْدُمُ﴾ إلى الماضي ﴿فَأَوْرَدَهُمُ﴾، ولو جرى على مقتضى الظاهر لكان على النحو: " سيقدم قومه يوم القيامة وسيوردتهم النار"، وهذا ما يقتضيه سياق الكلام.

ودلالة التحول إلى الماضي " فأوردتهم " تأكيد وجزم على وقوع الحدث وحصوله، وصدّر الفعل بحرف "الفاء" ليدل على سرعة الورود، لما فيها من تهديد وتخويف ووعد ووعيد.

ويخبر هذا النوع من التحول في الصيغ عن نتائج أكيدة محققة لأحداثٍ سبقتها، ففرغ من في السموات والأرض حدث مريبٍ مفاجئٍ مُتْرَبٍ على النفخ في الصور ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ

⁽¹⁾ _ الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز: يحيى بن حمزة العلوي، ج2، ص 140.

فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نَفَخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ ﴿[الزمر: 68].

وما صاحبها من تقدم فرعون قومه النار، وهم أدلة لا يستطيعون فعل شيء، رغم إرسال الرسل إليهم، وما جاؤوا به من دلائل وحجج وبراهين للإيمان بالله تعالى؛ فمنعهم فرعون وصددهم عن اتباع الحق وكفروا ولم يؤمنوا، فكان في مقدمة قومه الذين سيدخلون النار⁽¹⁾.

فأدى الفعل المضارع "يقدم" معنى استحضار الحدث، بعكس الفعل الماضي التام "أورد" الذي أدى معنى القطع والتأكيد بوقوع الحدث⁽²⁾.

لقد دل الفعل الماضي على أمر موجود أكيد لا يحتمل الشك، وهو مصيرهم النار يوم القيامة، والتي ستكون في المستقبل «ووجه الفصاحة من العرب في أنها تضع أحياناً الماضي موضع المستقبل، أن الماضي أدل على وقوع الفعل وحصوله»⁽³⁾ لأسبقته على المضارع في التحقق وحصول الأشياء.

وبما أن العقاب سيقع يوم القيامة؛ أي في المستقبل، عُبر عنه بلفظ الماضي الدال على وقوع الحدث المؤكد، أما الفعل المضارع فأدى معنى حدوث الحدث، فلكل فعل دلالة وهذا ما يتجلى في السياق القرآني.

ومن الأمثلة أيضاً قوله تعالى: ﴿ وَيَوْمَ نُسِرُّ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴾ [الكهف: 47].

يخبرنا الله عز وجل في هذه الآية الكريمة عن أهوال يوم القيامة، حيث تذهل كل عين عن رؤيتها، فتصبح الأرض بارزة، يرى الناس بعضهم البعض، ولا يمكن لأحد الاختفاء لعدم وجود حجر أو شجر أو بناء، والناس كلهم مجموعون فيها من الأولين والآخرين، صغاراً وكباراً، رجالاً ونساءً⁽⁴⁾: ﴿ قُلْ إِنَّ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴾ [الواقعة: 49-50].

(1) ينظر: _جامع البيان عن تأويل آي القرآن: (تفسير الطبري): الطبري ج12، ص561، 562.

_تفسير القرآن العظيم: ابن كثير، ج7، ص468.

(2) _الزمن واللغة: مالك يوسف المطليبي، د ط، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1986م، ص72.

وينظر: _التحريف والتنوير: الطاهر ابن عاشور، ج12، ص156.

(3) _المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ابن عطية الأندلسي، ج3، ص205.

(4) _تفسير القرآن العظيم: ابن كثير، ج9، ص150.

فقد جيء بـ "حشرناهم" ماضيا بعد " نسير": «للدلالة على أن حشرهم قبل التسيير وقبل البروز ليعاينوا تلك الأهوال العظائم، كأنه قيل وحشرناهم قبل ذلك»⁽¹⁾.

ومما سبق ذكره يتضح السر في التحول إلى الفعل الماضي؛ الذي يدل على تحقق الحدث وحصوله، ويبقى السياق هو المحدد للدلالة المناسبة في هذا التحول.

هذه بعض الأمثلة التي تُبين دلالات التحول والعدول عن الفعل المضارع إلى الفعل الماضي.

وفي الجدول الآتي بقية الشواهد:

السورة ورقمها	الماضي	المضارع	الآية
النحل: 28.	ألقوا	توفاهم	﴿ الَّذِينَ تَوَفَّيْتَهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ فَأَلْقَوْا السَّلَمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ بَلَى إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾
النحل: 89.	جئنا	نبعث	﴿ وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَى هَؤُلَاءِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَبْيِينًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهَدَىٰ وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴾
الكهف: 56.	اتخذوا	يجادل	﴿ وَمَا تُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَمُجَادِلِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَمَا أُنذِرُوا هُزُوًا ﴾

1-2: إيثار صيغة الماضي على صيغة المضارع:

قسم علماء البلاغة مجيء الفعل المضارع إلى قسمين:

القسم الأول: يستعمل فيه المضارع للدلالة على حدث مضي، قصد استحضار الصورة للحدث الماضي وكأنه أمر مشاهد وظاهر للعيان، يقول ابن الأثير: «واعلم أن الفعل المستقبل إذ أتى به في حالة الإخبار عن وجود الفعل، كان ذلك أبلغ من الإخبار بالفعل الماضي، وذلك لأن الفعل المستقبل يوضح الحال التي يقع فيها

(1) _ الكشاف: الزمخشري، ج3، ص 591.

ويستحضر تلك الصورة حتى كأن السامع يشاهدها، وليس كذلك الفعل الماضي»⁽¹⁾.

وهذا ما أطلق عليه الزمخشري مصطلح «حكاية الحال» عند تفسيره للآية التاسعة من سورة فاطر⁽²⁾.

القسم الثاني: يجيء المضارع للدلالة على حدث يقع في الحال والاستقبال، قصد إفادة التجدد والحدوث، وأن هذا الحدث مستمر لم يمض: «وعطف المستقبل على الماضي ينقسم إلى ضربين: أحدهما بلاغي، وهو إخبار عن ماضٍ بمستقبل، والآخر غير بلاغي: وليس إخبارًا بمستقبل عن ماضٍ، وإنما هو مستقبل دلّ على معنى مستقبل غير ماضٍ، ويراد به أن ذلك الفعل مستمر الوجود لم يمض»⁽³⁾.

ويرد هذا النوع من التحول في مواضع عديدة من القرآن الكريم، فنقرأ قوله تعالى: ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ تَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ (٣) خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ (٤) وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنْفَعٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ (٥) وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ (٦) وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَمْ تَكُونُوا بَلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنْفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرؤُوفٌ رَحِيمٌ (٧) وَالخَيْلَ وَالْبَعَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ (٨)﴾ [النحل 3-8].

في هذه الآيات خطاب تذكيري بنعم الله تعالى على عباده، وفيها دلالة على عظمته وقدرته في خلق السموات والأرض وخلق الإنسان، والأنعام والدواب، والمنافع التي ينتفع بها الإنسان جراء استخدامها والاستعانة بها⁽⁴⁾.

وما يلاحظ في سياق هذه الآيات، هو استعمال الأفعال الماضية "خلق، خلق، خلقها" فما السر في مجيء الفعل ماضيًا ثم التحول منه إلى المضارع "يخلق" في السياق نفسه؟.

السر في ذلك هو أن الأنعام من بقر وإبل وغنم وماعز، لينتفع الناس بأكل لحومها وشرب ألبانها، أما الخيل والبغال والحمير فلحمل الأثقال، وهي من الظواهر المتجددة التي حدثت في الماضي، وستحدث في الحاضر والمستقبل، إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

فخلق الإنسان والأنعام من الظواهر المتكررة، فلم يحتج إلى استعمال صيغة المضارع "يخلق" معها، الدالة

(1) _ المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر: ابن الأثير، ج 2، ص 194.

(2) _ الكشاف: الزمخشري، ج 5، ص 142.

(3) _ المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر: ابن الأثير، ج 2، ص 194.

(4) _ جامع البيان عن تأويل آي القرآن: (تفسير الطبري): الطبري، ج 14، ص 165-177.

على تجدد الحدث وتكرره.

وإذا كان السياق القرآني قد فضّل صيغة الماضي في التعبير عن خلق ما هو مشاهد بالعين المجردة، إلا أنه حينما يتحدث عن الغيبات غير المشاهدة: ﴿وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ يختار صيغة المضارع ﴿وَيَخْلُقُ﴾ فما الغاية من ذلك؟.

تصف الآيات السابقة قدرة الله تعالى على خلق الأنعام والدواب والإنسان، وقدرته على خلق الأشياء التي لا يعلمها الإنسان.

إن دلالة "يَخْلُقُ" تشير إلى حالات خلقٍ متجددة ومتكررة ستحصل في الماضي والحاضر، دون رؤية الناس لها ولا علم لهم بها، سواء كانت هذه المخلوقات من أنواع الحشرات والهوام مما يوجد في باطن الأرض أو قعر البحر⁽¹⁾، أم كانت مما أعده الله في الجنة للمؤمنين وفي النار للكافرين⁽²⁾.

وبالنظر إلى سياق هذه الآيات ندرك أن الله تعالى خالق الكون، قادر على خلق مخلوقات أخرى لا يعلمها الناس، ولا تخطر لهم على بال، وهذا ما أفادته صيغة المضارع "يَخْلُقُ"، وهي من ناحية جمالية تجانس الأفعال المضارعة الأخرى: تأكلون، تريحون، تسرحون، تحمل، تكونوا، تركبونها، تعلمون.

ومن الأمثلة على هذا المنوال ما هو مدوّن في الجدول الآتي:

(1) _ ينظر: _ الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة وآي الفرقان: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي، نج: عبد الله بن عبد المحسن التركي وآخرون، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، 1427هـ-2006م، ج12، ص288.

_ روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: الألوسي، ج14، ص102.

(2) _ جامع البيان عن تأويل آي القرآن: (تفسير الطبري): الطبري ج14، ص176، 177.

السورة ورقمها	المضارع	الماضي	الآية
الأعراف 131 :	تُصبهم	جاءتهم	﴿فَإِذَا جَاءَ تَهُمُ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ وَإِنْ تُصِبُّهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَىٰ وَمَنْ مَعَهُ ۗ أَلَا إِنَّمَا طَّيَّرَهُمْ عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾
هود: 74	يجادلنا	ذهب	﴿فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ الْبَشْرَىٰ مُجْدِلًا فِي قَوْمِ لُوطٍ﴾
الحجر: 10 - 11	يأتيهم	أرسلنا	﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي شَيْعِ الْأَوَّلِينَ وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾
النحل: 42	يتوكلون	صبروا	﴿الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾
النحل: 43	نوحى	أرسلنا	﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوْحَىٰ إِلَيْهِمْ فَتَسْلَوُا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْمَلُونَ﴾
النحل: 99	يتوكلون	آمنوا	﴿إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾

3-1: إشار صيغة المضارع على صيغة الأمر:

ومن السياقات القرآنية التي يرد فيها هذا التحول قوله تعالى: ﴿إِنْ نَقُولُ إِلَّا أَعْرَبْنَاكَ بَعْضَ ءَالِهَتِنَا بِسُوِّهِ قَالِ إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ وَآشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ﴾ [هود: 54].

تضمنت الآية الكريمة تحولا من صيغة المضارع " أشهد الله " إلى صيغة الأمر " واشهدوا "، وسيق الكلام يقتضي " أشهدكم " فما الغاية من ذلك؟.

لمعرفة تلك الغاية نرجع إلى الآية التي سبقتها: ﴿قَالُوا يَا هُوْدُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي ءَالِهَتِنَا عَنْ قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ [هود 53].

إنكار قوم هود لنبيهم؛ لعدم وجود بينة تؤكد صدق رسالته، ونتيجة ذلك هو تكذيبه وعدم الإيمان به، واتهامه بالجنون من طرف الآلهة، لذلك قام بدمها والنهي عن عبادتها، فقال هود لهم: إني أشهد الله على نفسي وأشهدكم أيضاً أيها القوم أني بريء مما تشركون من أوثان في عبادة الله. (1).

(1) _جامع البيان عن تأويل آي القرآن: (تفسير الطبري): الطبري ج12، ص 446.

أما على مستوى التحليل البلاغي يقول الزمخشري: « فإن قلت هلا قيل: إني أشهد الله وأشهدكم؟ قلت: لأن إشهد الله على البراءة من الشرك، إشهد صحيح ثابت في معنى تثبيت التوحيد وشد معاقده، وأما إشهداهم فما هو إلا تهاون بدينهم، ودلالة على قلة المبالاة بهم فحسب، فعدل به عن لفظ الأول لاختلاف بينهما، وجيء به على لفظ الأمر بالشهادة، كما يقول الرجل لمن ييس الثرى بينه وبينه: أشهد على أي لا أحبك تحكماً به واستهانة بحاله...»⁽¹⁾.

من قول الزمخشري يتبين الفرق بين الشهادتين، شهادة الله عز وجل على براءته مما يشركون، وهي شهادة صحيحة، والشهادة الثانية ليست شهادة حقيقة، وإنما أمرهم هوداً عليه السلام بها على سبيل السخرية والاستخفاف بهم، والتحدي لإرادتهم، فجاء العدول إلى صيغة الأمر "واشهدوا" مناسباً للسياق ومناسباً لحال المخاطبين قوم هود عليه السلام.

2- اختلاف صيغ الأفعال في الآية الواحدة:

من دلائل إعجاز القرآن الكريم وأساس بلاغته دقته في اختيار الصيغ، فكل صيغة وضعت في سياقها المناسب، بحيث لا يمكن استبدالها بغيرها، كما أن لكل صيغة في سياقها دلالة محددة وقيمة خاصة لا تُرى في غيرها.

فمن ذلك مثلاً التغيير في توظيف الصيغتين من "أنظر" إلى الفعل "تراني" في قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ نَرِيَنَّكَ وَلَكِنْ أَنْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرِنِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ بُنْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأعراف: 143].

في هذه الآية تحول في الخطاب من الفعل "أنظر" إلى الفعل "تراني"، ويقتضي سياق الكلام أن يكون بعد "انظر إليك" كلمة "لن تنظر إليّ" لكن جيء بفعل "لن تراني" فما الحكمة من وراء هذا التحول؟، وماذا أضاف الفعل "لن تراني" لسياق الآية؟.

وقبل ذلك نرصد الفروق اللغوية بين "النظر" و"الرؤية".

(1) _ الكشاف: الزمخشري، ج3، ص 209.

ف "النظر" عبارة عن تقليب الحدقة نحو المرئي التماساً لرؤيته، وطلب ظهور الشيء والناظر: الطالب لظهور الشيء⁽¹⁾.

أما "الرؤية" فهي النظر بالعين والقلب، وهي إدراك المرئي⁽²⁾.

وتفسير هذه الآية يخبرنا عن موسى عليه السلام لما جاء لميقات ربه، وكلمه من غير واسطة، قال له موسى عليه السلام: رب أرني ذاتك الجليلة، وتجلي لي لأنظر إليك أي أنظر إلى ذاتك الجليلة المقدسة، فكان جوابه عز وجل لن تطبيق رؤيتي وأنت في الحياة الدنيا، ولكن انظر إلى الجبل الذي هو أقوى منك، فإن ثبت في مكانه حيث أتجلى له، ولو لم يفتتت من هذا التجلي، فسوف تراني أي تثبت لرؤيتي إذا تجليت لك، وإلا فلا قوة لك برؤيتي⁽³⁾.

وحين ظهر نوره تعالى للجبل على الوجه اللائق بجلالته الكريمة جعله مفتتاً، وهذا تنبيه منه على أن الجبل مع شدته وصلابته وارتفاعه، لم يستقر به هذا التجلي، فالآدمي مع ضعف بنيته أولى بأن لا يستقر⁽⁴⁾.

فما العلة في اختيار صفة "لن تراني" بدلاً من "لن انظر إليك"؟.

يعلل الزمخشري ذلك بقوله: «فإن قلت: فكيف قال ﴿لَنْ تَرِنِي﴾، ولم يقل (لن تنظر إلي) لقوله:

﴿أَنْظُرْ إِلَيْكَ﴾؟ قلت: لما قال: (أرني) بمعنى: اجعلني متمكناً من الرؤية التي هي الإدراك، علم أن الطلبة

هي الرؤية، لا النظر الذي لا إدراك معه، فقيل ﴿لَنْ تَرِنِي﴾ ولم يقل (لن تنظر إلي)»⁽⁵⁾.

وجعل أبو حيان التوحيدي: أن النظر يكون دون إدراك، على أن الرؤية تكون مع الإدراك، فلذلك انتقل

(1) _ ينظر: -الفروق اللغوية: أبو هلال العسكري، ص 75.

-المفردات في غريب القرآن: الراغب الأصفهاني، ج2، ص 642-644.

-لسان العرب: ابن منظور، مادة(نظر) مج6، ج50، ص 4465.

(2) _ ينظر: -الفروق اللغوية: أبو هلال العسكري: ص 75، 76.

_المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، ج1، ص 275، 276.

(3) _ تفسير الثعالبي: المسمى بالجواهر الحسان في تفسير القرآن: عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف أبي زيد الثعالبي المالكي، تح: علي محمد

معوض، عادل أحمد عبد الموجود، ط1، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، 1418هـ-1997م، ج3، ص 74-76.

(4) _ ينظر: _جامع البيان عن تأويل آي القرآن: (تفسير الطبري): الطبري، ج10، ص 427-432.

_التحريير والتنوير: الطاهر ابن عاشور، ج9، ص 93، 94.

(5) _ الكشاف: الزمخشري، ج2، ص 502.

من "النظر" إلى "الرؤية" لدلالة نفي الرؤية التي هي بمعنى الظهور والإدراك، دون النظر الذي يعني تقليب حدقة العين⁽¹⁾.

ويوضح الألوسي سبب جواب الله تعالى لموسى عليه السلام ﴿لَنْ تَرِنِّي﴾ دون "لن أرى" أو "لن تنظر": «تبييناً على أنه عليه السلام قاصر عن رؤيته تعالى لتوقفها على معد في الرائي ولم يوجد فيه بعد، وذلك لأن (لن أرى) يدل على امتناع الرؤية مطلقاً، و(لن أرىك) يقتضي أن المانع من جهته تعالى وليس في (لن تنظر) تنبيه على المقصور لأن النظر لا يتوقف على معد، وإنما المتوقف عليه الرؤية والإدراك»⁽²⁾.

إذن فالرؤية هي إدراك المرئي، أما النظر فهو تقليب البصر طلباً لرؤية شيء ما، ولما أراد موسى عليه السلام أن ينظر إلى ربه طلب منه أن يمكنه من رؤيته، لكي ينظر إليه، ولما كان الله تعالى يرى الأشياء من حيث لا يطلب رؤيتها صح أنه لا يوصف بالنظر.

ولعلنا ندرك السر في اختيار الفعل "لن تراني" دون "لن أنظر" من خلال الفرق بينهما في الآية الكريمة، استعانة بالسياق القرآني.

التحول في هذه الآية من صيغة "المجيء" إلى صيغة "الإتيان" في قوله تعالى ﴿قَالُوا بَلْ جِئْنَاكَ بِمَا كَانُوا فِيهِ يَمْتَرُونَ وَأَيُّنَا بِالْحَقِّ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾ [الحجر 63-64].

ففي هذه الآية الكريمة نجد التحول من صيغة "جئناك" إلى صيغة "أتيناك"، وكان المتوقع بموجب المطابقة بين الأفعال أن يرد السياق على النحو الآتي: «وجئناك بالحق وإنا لصادقون»، فما الفرق بين الصيغتين؟ وما الغاية الإعجازية المقصودة من إثارة فعل على آخر؟.

رغم أن بعض المعاجم اللغوية لا ترى فرقاً بين "جاء" و"أتى" فتفسر "الإتيان" بـ"المجيء"، و"المجيء" بـ"الإتيان"⁽³⁾.

إلا أن هناك فرقاً بين الصيغتين؛ إذ تختص كل واحدة منها بدلالة معينة، بدليل أنهما وردتا في كتاب الله،

(1) _ البحر المحيط: أبو حيان الأندلسي، ج4، ص 381.

(2) _ روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: الألوسي، ج9، ص 50، 51.

(3) _ جياً: المجيء؛ الإتيان، أتى: الإتيان: المجيء

ينظر: -لسان العرب: ابن منظور، مج1، ج1، ص 21.

ولكل واحدة منهما موضعها المناسب، والسياق الذي يتلاءم معها.

فصيغة "جاء" تأتي غالباً مناسبة للمشاهدة المحسوسة، بخلاف صيغة "أتى" التي تكون مناسبة لما هو معنوي غير مشاهد، ولهذا فرق بينهما في هذه الآية، فناسبت صيغة "جئناك" العذاب وهو مشاهد بخلاف "الحق" فليس شيئاً مرئياً؛ لذا جاء مناسباً لصيغة "أتيناك".

وهذا ما أكدّه ابن عاشور بقوله: « فلما كان المتعلق بفعل (جئناك) أمراً حسياً وهو العذاب الذي كانوا فيه يمترون، وكان مما يصح أن يسند إليه المجيء بمعنى كالحقيقي... أوثر فعل (جئناك)... وأما متعلق فعل (أتيناك) وهو (بالحق) فهو أمر معنوي لا يقع منه الإتيان فلا يتعلق بفعل الإتيان فغيرت مادة (المجيء) إلى مادة (الإتيان) تنبيهاً على إرادة معنى غير المراد بالفعل السابق»⁽¹⁾.

فالإتيان خطاب من الملائكة لسيدنا لوط عليه السلام، لأنهم أرسلوا لعذاب قومه فقالوا: جئناك بالعذاب لقومك إذ كانوا يمترون فيه، فُعبر بالفعل "جئناك"، و"أتيناك" بالحق واليقين من عذابهم ونحن لصادقون في الإخبار بحلول العذاب بهم.

فمن خلال معرفة الفرق بين "المجيء" و"الإتيان" تظهر دلالة كل كلمة في الآية، فالملائكة جاءوا بالعذاب وهو أمر مشاهد وحاصل، وأتوا بالحق وهو أمر معنوي لا يشاهد. ومن الشواهد التي تسيّر وفق المعنى السابق قوله تعالى:

1- ﴿وَجَاءَ وَعَلَى قَمِيصِهِ يَدْمٌ كَذِبٌ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْراً فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ﴾ [يوسف: 18].

2- ﴿قَالُوا نَفَقْدُ صُوعَ الْمَلِكِ وَلِمَنْ جَاءَ بِهِ حِمْلٌ بَعِيرٍ وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ﴾ [يوسف: 72].

3- ﴿أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [النحل: 1].

وعبر القرآن الكريم في سورة يونس عن إفراط الناس في حب الدنيا، ومصير من يغتر بها وبشهواتها بالفعالين "أتى" و"جاء" في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتٌ

(1) _ التحرير والتنوير: الطاهر ابن عاشور، ج14، ص 64.

الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَدِرُوا عَلَيْهَا
 أَتْنَاهَا أَمْرًا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَبِ بِالْأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾
 [يونس: 24].

وعلى الزركشي ذلك بقوله: « لما قال جاء » وهم ممن يرى الأشياء أي عياناً، ولما كان الزرع لا يبصر ولا يرى قال (أتاها) (1).

وهذا بخلاف المعنى السابق للفعلين " جاء وأتى "؛ حيث تستعمل " جاء " دليلاً على القرب، زمنياً كان هذا القرب أم مكانياً، بخلاف صيغة " أتى " فإنها تُستخدم دليلاً على البعد زمنياً كان أم مكانياً.

يقول تعالى: ﴿ وَقَالَ الْمَلِكُ أَتُونِي بِهِ فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَالَ ارْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسَأَلَهُ مَا بَأَلِ النَّسُوءِ الَّتِي قَطَعْنَ أَيَدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ ﴿٥٠﴾ [يوسف: 50].

فقد جاءت صيغة " أتى " مناسبة لبُعد مكان يوسف عليه السلام عن مكان الملك؛ إذا كان يوسف عليه السلام في السجن والملك في القصر، وما أبعد المسافة بينهما، ثم جاءت صيغة " جاءه " وذلك لقرب يوسف عليه السلام من الملك فقد كان أمامه (2).

من بيان الفرق بين صيغتي " المجيء " و " الإتيان " ندرك السرَّ السياقي اللغوي في اختيار صيغة فعلية دون الأخرى في الآية الواحدة، فلكل كلمة معاني شتى عالقة بها، والسياق هو الذي يستدعي المعنى المناسب من بين تلك المعاني الكثيرة.

3- إيثار فعل على فعل بحسب السياق:

تكمن أهمية السياق في تخيير الصفة القرآنية بما يخدم السياق، وفي القرآن الكريم الكثير من الصيغ المختلفة، كصيغة الفعل الذي يُستخدم كل مرة بطريقة معينة، إما بإضافة حرف أو نقصانه، من مثل " استطاعوا " و " استطاعوا " في قوله تعالى: ﴿ فَمَا اسْتَطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا ﴿٩٧﴾ [الكهف: 97].

(1) _ البرهان في علوم القرآن: الزركشي، ج4، ص 81.

(2) _ معترك الأقران في إعجاز القرآن: جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، تح: علي محمد الجاوي، د ط، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، 1970م، ج3، ص 486.

في هذه الآية الكريمة يخبرنا الله عز وجل أن يأجوج ومأجوج لم يقدر على إعلاء السد الذي جعله ذو القرنين حاجزاً بينهم وبين الناس، ولم يستطيعا أيضاً نعبه من الأسفل⁽¹⁾.

لأنه لا توجد طريقة أخرى لبلوغ السد سوى الارتقاء أو النقب بسبب ارتفاع السد الذي قُدِّر ب «ممتا ذراع وخمسون ذراعاً، وقيل طوله ما بين طرفي الجبلين مئة فرسخ، وفي عرضه خمسون فرسخاً»⁽²⁾.

فهذه مسافة هائلة لا يستطيع معها يأجوج ومأجوج أن يعلوا الجبل أو يصعداه.

فكلمة "استطاعوا" تعني النقب من فوق، و "استطاعوا" تعني النقب من أسفله⁽³⁾ والعرب تستعمل "استطاع" و"استاع" و"استاع"، لكن الفعل "استطاع" هو الأصل الذي يحذفون منه أحد الحرفين تخفيفاً، لأنه من الأفعال المزيدة.

جاء في معجم تهذيب اللغة: « المعنى: فما أطاعوا، فزادوا السين - قال ذلك الخليل وسيبويه - عوضاً عن ذهاب حركة الواو لأن الأصل في "أطاع" "أطوع"»⁽⁴⁾.

إن المتأمل في سياق الآيات يلحظ تدرجاً في الأفعال من الأقل إلى الأكثر، ومن الأخف إلى الأثقل ف"استطاعوا" أخف نطقاً من "استطاعوا" لهذا بُدئ بها، لتوافق الوقائع الحاصلة، فمأجوج ومأجوج حاولا صعود السد ظناً منهما أن الأمر سهل يسير، لعدم وجود مشقة أو حاجة تساعد في ذلك، فناسب ذلك التعبير ب"ما استطاعوا"، وبعد فشلهم حاولا نعب السد، فلم يستطيعا ذلك رغم العناء الشديد والمشقة الكبيرة، فناسب التعبير ب"ما استطاعوا".

والأمر نفسه مع الصيغتين "تسطع" و"تسطيع" الواردتين في قصة موسى عليه السلام مع العبد الصالح؛ إذ اختيرت صيغة الفعل "تستطع" في قوله تعالى ﴿ قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِمَا أُوَيْلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا ﴾ [الكهف: 78] واختيرت صيغة "تستطع" في قوله تعالى: ﴿ وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً

(1) _ التحرير والتنوير: الطاهر ابن عاشور، ج16، ص38، 39.

(2) _ الجامع لأحكام القرآن المبين لم تضمنه من السنة وآي القرآن: القرطبي، ج3، ص388.

(3) _ جامع البيان عن تأويل آي القرآن (تفسير الطبري): الطبري، ج15، ص411.

(4) _ تهذيب اللغة: أبو منصور محمد بن أحمد الأزهرى، تح: محمد علي النجار، د ط، الدار المصرية للتأليف والترجمة، مصر، 1384هـ - 1964م، ج3، ص104.

مِّن رَّبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ، عَن أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا ﴿ [الكهف: 82].

لقد تكرر الفعل " تستطيع " خمس مرات⁽¹⁾ في سياق قصة موسى ﷺ مع العبد الصالح، ولم تُحذف منه الياء إلا في المرة الخامسة عند نهاية القصة " تستطيع "؛ لأن سياق القصة يغلب عليه الغموض وكثرة أسئلة موسى ﷺ للعبد الصالح، حول الأفعال التي قام بها، من خرقة للسفينة في قوله تعالى: ﴿ فَأَنْطَلَقَا حَتَّى إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْنَاهَا لِنُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا ﴾ [الكهف: 71]، إلى قتله الغلام في قوله تعالى: ﴿ فَأَنْطَلَقَا حَتَّى إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ قَالَ أَقْتَلْتَنَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا ﴾ [الكهف: 74]، إلى إقامته الجدار في قوله تعالى: ﴿ فَأَنْطَلَقَا حَتَّى إِذَا آتَىٰ أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّقُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقُضَ فَآقَامَهُ، قَالَ لَوْ شِئْنَا لَنَخَذْتَن عَلَيْهِ أَجْرًا ﴾ [الكهف: 77].

وكان وَقَع هذه الأفعال شديداً على موسى ﷺ، فجاء التعبير بالفعل دون تخفيف " تستطيع "، ولما انكشف الغموض واتضح الأمر بعد تقدم الأجوبة من العبد الصالح: ﴿ أَمَا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسْكِينٍ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَمِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴿٧٩﴾ وَأَمَا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنِينَ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا ﴿٨٠﴾ فَأَرَدْنَا أَنْ يُبَدِّلَهُمَا رَبُّهُمَا حَيْرًا مِنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رَحْمًا ﴿٨١﴾ وَأَمَا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ، عَن أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا ﴿٨٢﴾ [الكهف: 79-82].

عَبَّرَ عن الكلام بصيغة الفعل المخفف "تسطع"، حتى تتلاءم الألفاظ مع السياق، ومع تساؤلات سيدنا موسى ﷺ التي استثقل تصرفات العبد الصالح واستغربها.

(1) - قوله تعالى: ﴿ أَوْ يُصْبِحَ مَاؤُهَا غَوْرًا فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُ، طَلَبًا ﴾ [الكهف: 41]

- قوله تعالى: ﴿ قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴾ [الكهف: 67]

- قوله تعالى: ﴿ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴾ [الكهف: 72]

- قوله تعالى: ﴿ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴾ [الكهف: 75]

- ذكرت المرة الخامسة في [الكهف: 82].

يقول ابن كثير: « وقوله: ﴿ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا﴾ أي: هذا تفسير ما ضقت به ذرعاً ولم تصبر حتى أحبرك به ابتداءً، ولما أن فسره له وبينه ووضحه وأزال المشكل: قال تسطع، وقبل ذلك كان الإشكال قوياً ثقیلاً، فقال: ﴿سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا﴾؛ فقابل الأثقل بالأثقل، والأخف بالأخف، كما قال ﴿فَمَا اسْطَعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ﴾ وهو الصعود إلى أعلاه، وما استطاعوا له نقباً، وهو أشق من ذلك فقابل كلاً بما يناسبه لفظاً ومعنى»⁽¹⁾.

فالصيغة لا توضع بمعزل عما سبقها من كلام، بل تختار متسقة ومنسجمة مع ما يفترضه السياق، الذي ترد فيه ليتحقق الهدف من وجودها.

وليس مجيء الصيغ والأسماء والأفعال تكراراً وترفاً لغوياً، بل إن لغة القرآن الكريم، لغة بلاغة وفصاحة وإعجاز: ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت: 42].

وتتضمن الصيغة الصرفية " أنزلتموها " الواردة في قوله تعالى: ﴿ قَالَ يَقَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ عَلَيَّ بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّي وَعَآئِنِي رَحْمَةٌ مِّنْ عِنْدِهِ فَعَمِيَّتْ عَلَيْكُمْ أَنْزَلْتُمُوهَا وَأَنْتُمْ لَهَا كَرِهُونَ ﴾ [هود: 28]، إشارات نفسية لا تعبر عنها صيغ أخرى.

إن نوحا عليه السلام يتحدث عن تكذيب قومه له بعد أن أتاه ربه بينة النبوة وتعاليم الوحي، وهي بينة ظاهرة للعيان، ويخاطبهم قائلاً: لقد حجت عنكم بسب غروركم وعنادكم واستكباركم عن اتباع دين الحق، فكيف نلزمكم هذه البينة بالإكراه في حين أنكم منكرون لها جاحدون بحاملها، لأن الإسلام دين حق ولا يكره عباده على إتباعه ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾ [البقرة: 256]، وتلك سنته تعالى في البشر إذ لا إلزام في الإيمان⁽²⁾.

فالشاهد في قوله " أنزلتموها " التي أصلها " أنلزمكم إياها"، والتي قرأت بضم الميمين؛ والضممة عبارة عن تحريك الشفتين بالضم عند النطق، والميم في الصيغة مكررة مرتين، وهذا ما أحدث ثقلاً في النطق لقرب الميم الأولى من الثانية، وثقل الضمة بعد الكسرة الموجودة في حرف الزاي، ومن جهة أخرى لكثرة الحروف

(1) _ تفسير القرآن العظيم: ابن كثير، ج 9، ص 181.

(2) _ ينظر: _ التحرير والتنوير: الطاهر ابن عاشور، ج 12، ص 50-53.

_ جامع البيان عن تأويل آي القرآن (تفسير الطبري): الطبري، ج 12، ص 381-384.

والحركات - عشرة أحرف - مع وجود ضمتين وكسرة.

يقول الفراء: « العرب تسكن الميم التي من اللزوم فيقولون: أنلزمكموها، وذلك أن الحركات قد توالى فسكنت الميم لحركتها، وحركتين بعدها وأنها مرفوعة، فلو كانت منصوبة لم يُسْتَثْقَل فتخفف، إنما يستقلون كسرة بعدها ضمةً أو ضمةً بعدها كسرة أو كسرتين متواليتين أو ضمتين متواليتين»⁽¹⁾.

إن هذه الصيغة معقدة البنية نتيجة لكثرة الحروف، وتداخل الضمائر التي أثقلت النطق بها، لتتنقل الضيق النفسي الذي شعر به سيدنا نوح عليه السلام، حين أراد إلزام قومه بالحجة وهم له كارهون غير مؤمنين به فقال لهم: "أنلزمكموها وأنتم لها كارهون" على سبيل الاستفهام الإنكاري الذي قصد منه الرد عليهم⁽²⁾.

فاختار صيغة " أنلزمكموها" وإن مجيئها في الموقع المناسب من السياق، هو الذي أعطى سيدنا نوحا عليه السلام هذا الكم الهائل من المشاعر النفسية بسبب إنكار قومه له، وتعنتهم وصددهم عن الحق رغم وجود دلائل وبراهين تؤكد صدق دعواه.

فالقرآن الكريم نظام لغوي فريد، يختار اللفظ بحسب مقتضيات السياق، ويؤثر في اللغة بحسب البناء السياقي الذي يغلب على نسق الآيات والسور، وهذا ما جعل القرآن الكريم ينفرد بأسلوبه، الذي أبحر أهل اللغة وأساطين البيان، هذا الأسلوب المتميز بألفاظه المنتقاة وتراكيبه التي تُعد أحد أسباب إعجازه.

(1) _ معاني القرآن: أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء، ط3، عالم الكتب، بيروت، لبنان، 1403هـ-1983م، ج2، ص 12.

(2) _ هناك كتاب يتناول الإشارات النفسية ودورها في الخطاب القرآني ينظر: جماليات الإشارة النفسية في الخطاب القرآني: صالح ملا عزيز، ط1، دار الزمان للطباعة والنشر، دمشق، سوريا، 2010م.

المبحث الثاني:

أثر دلالة السّياق في إظهار
تناسب الآيات وتربطها.

تمهيد:

نزل النص القرآني متفرقاً تبعاً لتنوع الأحداث، ولم ينزل دفعة واحدة، لهذا احتاج فهمه وتفسيره إلى معرفة مكان النزول وزمانه ومناسبته، ومن هنا كان الاهتمام بالسياق الذي قيلت فيه الآيات، لأن سور القرآن الكريم ترتبط ارتباطاً وثيقاً فيما بينها، حيث جعل هذا الارتباط عدداً من دارسي علوم القرآن الكريم وتفسيره يقولون بوحدة النص القرآني وانسجامه.

ولقد جاءت سور القرآن الكريم وفق ترتيب إلهي، لم يطرأ عليه أي تغيير لقوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: 09].

ولما كان هذا الترتيب إلهياً، كان لا بد أن تكون هناك مناسبة بين ترتيب هذه الآيات، ومناسبات داخلية تربط السور فيما بينها.

وهذا ما يدفعنا إلى طرح تساؤلات متعلقة بالقرآن الكريم الذي نزل على مدار ثلاثة وعشرين سنة، ونزل مفرقاً بحسب الأحداث والوقائع، هل تنسجم آياته وسوره مع بعضها البعض، رغم اتساع فترة النزول؟ وكيف يتم ربط المناسبة فيه بتماسك خطابه؟ وكيف تأخذت آياته وسوره مشكّلة بذلك نصاً قرآنياً منسجماً ومتناسباً؟.

وقبل البدء في الإجابة عن هذه الأسئلة نتناول النقاط الآتية:

المناسبة لغة: جاء في معجم مقاييس اللغة: « النون والسين والباء كلمة واحدة قياسها اتصال شيء بشيء، ومنه النسب، سمي بذلك لاتصاله وللاتصال به»⁽¹⁾ والنسب يعني القرابة⁽²⁾، ونسب القرابة أحد الأنساب⁽³⁾، « وفلان حسيب نسيب: أي ذو حسب ونسب »⁽⁴⁾.

والمناسبة تعني أيضاً المشاكلة⁽⁵⁾، وفلان يناسب فلاناً فهو نسيبه أي قريبه، وتقول ليس بينهما مناسبة

(1) _ معجم مقاييس اللغة: ابن فارس، مادة (نسب)، ج5، ص 423.

(2) _المخصص: ابن سيده، مادة (نسب)، مج 1، ج3، ص147، 148.

(3) _ لسان العرب: ابن منظور، مادة (نسب)، ج49، ص 4405.

(4) _ أساس البلاغة: الزنجشيري، مادة (نسب)، ج2، ص 265.

(5) _ القاموس المحيط: الفيروز آبادي، باب الباء، فصل النون، ج1، ص 131.

أي مشاكلة⁽¹⁾.

المناسبة اصطلاحاً:

عرّفها برهان الدين البقاعي بتعريفين، أحدهما عام والآخر خاص:

فأما التعريف العام قوله: «وعلم المناسبات الأعم من مناسبات القرآن وغيره: علم تعرف منه علل الترتيب»⁽²⁾، وأما الخاص: «فعلم مناسبات القرآن علم تعرف منه علل ترتيب أجزائه»⁽³⁾.

ففيها يتم بيان وجه الارتباط بين الجملة ولجملة في الآية الواحدة، أو بين الآية والآية في الآيات المتعددة أو بين السورة والسورة، وبين القرآن الكريم كله كنص واحد، فعدت المناسبة وجهًا من وجوه الإعجاز القرآني: «لعمري لئن كان للقرآن في بلاغة تعبيره معجزات، وفي أساليب ترتيبه معجزات، وفي نبوءته الصادقة معجزات، وفي تشريعاته الخالدة معجزات، وفي كل ما استخدمه من حقائق العلوم النفسية والكونية معجزات، لعمري إنه في ترتيب آية على هذا الوجه هو معجزة المعجزات»⁽⁴⁾.

وعرّفت المناسبة أيضاً: «ارتباط آي القرآن الكريم بعضها ببعض حتى تكون كالكلمة الواحدة متسقة المعاني، مُنتظمة المباني»⁽⁵⁾.

كما تعني: «الإطلاع على الرتبة التي يستحقها الجزء بما وراءه وما أمامه من الارتباط والتعلق الذي هو كلحمة النسب»⁽⁶⁾.

فعلم المناسبة يقصد به وجه الترابط بين الآي فيما بينها، والسور فيما بينها، وبين الآي والسور سواء تقاربت معانيها أم تباعدت.

ومن تعريفات المعاصرين للمناسبة نجد تعريفاً لمحمد أحمد بن يوسف القاسم: «علم مناسبات القرآن:

(1) _ الصحاح: الجوهري، مادة (نسب)، ج1، ص 244.

(2) _ نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: برهان الدين البقاعي، ج1، ص 5.

(3) _ المصدر نفسه: ج1، ص 6.

(4) _ النبأ العظيم: نظرات جديدة في القرآن: محمد عبد الله دراز، د ط، دار الثقافة، الدوحة، قطر، 1405هـ - 1985م، ص 211.

(5) _ البرهان في علوم القرآن: الزركشي، ج1، ص 36.

وينظر: _ الإتقان في علوم القرآن: السيوطي، ج5، ص 1837.

(6) _ نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: برهان الدين البقاعي، ج1، ص 5.

علم تعرف منه علل الترتيب بين أجزائه بعضها إثر بعض، وهو سرٌّ من أسرار بلاغته لأدائه إلى تحقيق مطابقة معانيه لما يقتضيه الحال»⁽¹⁾.

فمعرفة المناسبة بين الآيات يساعد على حسن التفسير، ودقة الفهم وإدراك الاتساق، وتناسب المعاني بين الآيات وترابط أفكارها وتلاؤم ألفاظها.

ويذهب محمد خطابي إلى: «أن المناسبة والتناسب بين الآي بحث عن علاقة آية بأية أخرى متقدمة، وقد بدا لنا من خلال الاستقراء أن المفسر يشرع في البحث عن المناسبة حين تنقطع الصلة بين آية وآية أو آيات سابقة، نعني بانقطاع الصلة أن تكون الآية السابقة كلاماً عن القتال والآية اللاحقة لها كلاماً عن إنفاق الأموال مثلاً، وكأنا به يفترض سؤال سائل: ما وجه المناسبة بين هذه وتلك؟ أو ما موقع هذه الآية من الكلام السابق»⁽²⁾.

ونستخلص من قول خطابي أمرين: الأول هو أن المناسبة عنده هي علم يبحث في العلاقة الموجودة بين الآية وآيةٍ أخرى، أو بين آيات متجاورات، حين تنقطع الصلة بينهما.

والأمر الثاني: أنه أعطى اسماً آخر للمناسبة وهو "التناسب".

ومن أسماء "المناسبة" أيضاً نجد اسم "الترباط" لقول الرازي: «أكثر لطائف القرآن مودعة في الترتيبات والروابط»⁽³⁾.

إن علم المناسبات علم يبحث في أسرار ترباط الآيات والسور، ويبحث في العلاقة الموجودة بين كل آية وآية وبين كل سورة وسورة، وبين كل آية وسورة.

(1) _ الإعجاز البياني في ترتيب آيات القرآن الكريم: محمد أحمد يوسف القاسم، ط1، دار المطبوعات الدولية، القاهرة، مصر، 1399هـ-1979م، ص31.

وينظر أيضاً تعريف: _ مناع القطان: مباحث في علوم القرآن، ط7، مكتبة وهبة، القاهرة، مصر، دت، ص92.

(2) _ لسانيات النص: مدخل إلى انسجام الخطاب: محمد خطابي، ط2، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، 2006م، ص189، 190.

(3) _ ورد هذا القول في التفسير الكبير للفخر الرازي، ج10، ص145، عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَإِذَا حَكَّمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ

تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾: [النساء: 58]

-فائدة علم المناسبة وأهميته:

المناسبة علم يبحث في العلاقات الموجودة بين آيات سور القرآن الكريم.

وبواسطتها نتعرف على هدف السورة القرآنية حيث: «نتوقف فيه على معرفة مقصود السورة»⁽¹⁾.

كما نتعرف على موقع الآية السابقة واللاحقة لها؛ لأن علم المناسبة يقوي الارتباط الموجود بين الآي والسور و« يجعل أجزاء الكلام بعضها آخذًا بأعناق بعض فيقوي بذلك الارتباط ويصير التأليف حال البناء المحكم المتلائم الأجزاء»⁽²⁾.

ويتم بواسطتها شرح الآيات التي أشكَل تفسيرها، فعندما ترتبط الآيات وتلتحم مع بعضها البعض، يُؤدَّى المعنى بوضوح و« بذلك يوقف على الحق من معاني آيات حارَ فيها المفسرون»⁽³⁾.

كما يهتم علم المناسبة بكيفية ربط جزئيات الآي والسور ترتيبًا وترابطًا لأنه: « علم شريف تحرز به العقول، ويعرف به قدر القائل فيما يقول»⁽⁴⁾.

وتُظهر المناسبة وجهًا من وجوه الإعجاز البياني، الذي يربط الكلام بعبءه ببعض، فيصير مترابط الأجزاء، متناسق المعاني، كل كلمة تناسب الموضوع الذي وضعت فيها.

يقول البقاعي: «وبهذا العلم يُرسخ الإيمان في القلب ويتمكن من اللب، وذلك أنه يكشف أن للإعجاز طريقتين: أحدهما: نظم كل جملة على حيالها بحسب التركيب، والثاني: نظمها مع أختها بالنظر إلى الترتيب والأول أقرب تناولاً، وأسهل ذوقاً.... وكلما دقق النظر في المعنى عظم عنده موقع الإعجاز»⁽⁵⁾.

وعَدَّ الفخر الرازي تناسب القرآن نوعاً من أنواع إعجازه قائلاً: «القرآن كما أنه معجز بحسب فصاحة ألفاظه، وشرف معانيه، فهو أيضاً معجز بحسب ترتيبه، ونظم آياته، ولَعَلَّ الذين قالوا: إنه معجز بسبب أسلوبه أرادوا ذلك»⁽⁶⁾.

(1) _ نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: برهان الدين البقاعي، ج1، ص 6.

(2) _ البرهان في علوم القرآن: الزركشي، ج1، ص 36.

(3) _ نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: برهان الدين البقاعي، ج1، ص 13.

(4) _ البرهان في علوم القرآن: الزركشي، ج1، ص 35.

(5) _ نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: برهان الدين البقاعي، ج1، ص 11.

(6) _ التفسير الكبير ومفاتيح الغيب: فخر الدين الرازي، ج7، ص 139.

إن علم المناسبة يُظهر إعجاز القرآن الكريم، وله أثره العظيم في التفسير، وفق ترتيب السور والآيات في المصحف الشريف.

أول من ألف في المناسبة وأهم المؤلفات:

نقل الزركشي في كتابه: البرهان في علوم القرآن عن الشيخ أبي الحسن الشهرستاني (ت 672 هـ)، أن أول من أظهر هذا العلم في قوله: « أول من أظهر ببغداد علم المناسبة، ولم تكن سمعناه من غيره الإمام أبو بكر النيسابوري⁽¹⁾، وكان غزير العلم في الشريعة والأدب، وكان يقول على الكرسي إذ قرئ عليه الآية، لم جعلت هذه الآية جنب هذه؟ وما الحكمة في جعل هذه السورة إلى جنب السورة؟ وكان يزري على علماء بغداد لعدم علمهم بالمناسبة⁽²⁾ ».

فأبو بكر النيسابوري هو أول من أظهر هذا العلم الذي لم ينل حظاً وافراً من التأليف والتصنيف، ولعل السبب في ذلك يعود إلى الدقة التي يتميز بها، ومن العلماء الذين كتبوا فيه نذكر:

- برهان الدين البقاعي: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور.
- الزمخشري في تفسيره: الكشاف.
- فخر الدين الرازي في تفسيره: التفسير الكبير ومفاتيح الغيب.
- أبو السعود العمادي في تفسيره: إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم.
- الألوسي في تفسيره: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني.
- الطاهر ابن عاشور في تفسيره: التحرير والتنوير.
- السيوطي في كتابيه: الإتقان في علوم القرآن، ومعتك الأقران في إعجاز القرآن، وغيرهم كثير.

(1) _ هو عبد الله بن محمد بن زياد بن واصل: أبو بكر النيسابوري الحافظ الفقيه الشافعي، مولى آل عثمان بن عفان، كان إمام عصره في الشافعية بالعراق، من أحفظ الناس للفتاوى، وكان يعرف زيادات الألفاظ في المتون، توفي سنة أربع وعشرين وثلاثمائة (ت 324 هـ).

ينظر _ الوافي بالوفيات: صلاح الدين خليل بن ابيك الصفدي، تح: أحمد الأرناؤوط تركي مصطفى، ط1، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، 1420هـ-2000م، ج17، ص260.

(2) _ ينظر: _ البرهان في علوم القرآن: الزركشي، ج1، ص36.

_ الإتقان في علوم القرآن: السيوطي ج5، ص1837، 1838.

ومن المحدثين: - صبحي الصالح في كتابه: مباحث في علوم القرآن.

-مناع القطان في كتابه: مباحث في علوم القرآن.

-محمد دراز في كتابه: النبأ العظيم.

موقف العلماء من علم المناسبة في القرآن الكريم:

قلّ اعتناء بعض المفسرين بهذا النوع لدقته البالغة؛ كونه يبحث في القرآن الكريم، وتركه آخرون لأسباب معينة، وأنكره بعضهم وعدوا ذلك من التكلف في كتاب الله تعالى، ومالوا إلى نفي علم المناسبة في القرآن الكريم، وعابوا على من يلتمس في تفسيره بيان وجه ارتباط الآي بعضها بعض، رغم الترابط الموجود بين الآيات والسور.

والقارئ للقرآن الكريم، يلحظ وجودها بين آياته: ﴿ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لَوْجِدُوا فِيهِ آخِلْفًا كَثِيرًا ﴾ [النساء: 82]، فقد أثبتتها عدد من العلماء في تفاسيرهم ومصنفاتهم منهم: فخر الدين الرازي، وأبو جعفر ابن الزبير الغرناطي، وأبو حيان الأندلسي، وبدر الدين الزركشي، وابن القيم الجوزية، وبرهان الدين البقاعي، ورشيد رضا، وجلال الدين السيوطي، ومحمد عبد العظيم الزرقاني، الذي يقول مدافعا عن هذا الرأي: « إن القرآن تقرأه من أوله إلى آخره، فإذا هو مُحْكَمُ السرد، دقيق السبك، متين الأسلوب، قوي الاتصال، أخذ بعضه برقاب بعض في سوره وآياته وجمله، يجري دَمُ الإعجاز فيه كَلَّة من أَلْفِه إلى يائه كأنه سبيكة واحدة، ولا يكاد يوجد بين أجزائه تفكُّك ولا تخاذل، كأنه حلقة مفرغة... نُظِّمَتْ حروفه وكلماته، ونسَّفت جملة وآياته، وجاء آخره مُساوفاً لأوله، وبدا أوله مُواتياً لآخره»⁽¹⁾.

وقال فخر الدين الرازي عند تفسيره للآية: ﴿ ءَأَمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَأَمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نَفَرِقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴾ [البقرة: 285]: « ومن تأمل في لطائف نظم هذه السورة، وفي بدائع ترتيبها علم أن القرآن كما أنه معجز بحسب فصاحة ألفاظه وشرف معانيه، فهو أيضاً معجز بحسب ترتيبه ونظم آياته، ولعل الذين قالوا: إنه معجز بحسب أسلوبه أرادوا ذلك، إلا أني رأيت جمهور المفسرين معرضين عن هذه

(1) _ مناهل العرفان في علوم القرآن: محمد عبد العظيم الزرقاني، ج 1، ص 52، 53.

اللطائف غير منتبهين لهذه الأمور»⁽¹⁾.

إن الرازي يؤكد فكرة الترابط بين آيات السور القرآنية ويعيب على من يُعرض عن هذا العلم الجليل. ويقول ابن عاشور: «وقد اهتمت في تفسيري هذا ببيان وجوه الإعجاز، ونكت البلاغة العربية وأساليب الاستعمال، واهتمت أيضًا ببيان تناسب اتصال الآي بعضها ببعض... ولم أعادر سورة إلا بينت ما أحيط به من أغراضها، لئلا يكون الناظر في تفسير القرآن مقصورًا على بيان مفرداته ومعاني جملة كأنها فقر متفرقة تصرفه عن روعة انسجامه وتحجب عنه روائع جماله»⁽²⁾.

إن المناسبة علم يُعين على فهم الآي القرآنية، ويُعد أحد الوسائل المرجحة عند اختلاف تفسيريها، لذلك يتطلب فهم كتاب الله معرفة ارتباط أوله بآخره، وآخره بأوله.

وهناك فئة ثانية معتدلة في رأيها بين الرضا والقبول، حيث أثبتت وجود المناسبة في بعض الأماكن وأعرضت عما خفي منها بحجة أنها تكلفٌ محضٌ، ومثَّل هذا الرأي "العز بن عبد السلام"⁽³⁾ الذي يقول: «واعلم أن من الفوائد أن من محاسن الكلام أن يرتبط بعضه ببعض، ويتشبه بعضه ببعض، لئلا يكون مقطوعًا مُتَبَرِّأً، وهذا بشرط أن يقع الكلام في أمر مُتَّحِد، فيرتبط أوله بآخره، فإن وقع على أسباب مختلفة لم يشترط فيه ارتباط أحد الكلامين بالآخر، ومن ربط ذلك فهو مُتَكَلِّف، لما لم يقدر عليه إلا بربطِ ركيكٍ، يُصَانُ عن مثله حسنُ الحديث، فضلًا عن أحسنه، فإن القرآن نزل على الرسول ﷺ في نَيْفٍ وعشرين سنة في أحكام مختلفة، شرعت لأسباب مختلفة غير مؤتلفة، وما كان كذلك لا يتأتى ربط بعضه ببعض، إذ ليس يحسن أن يرتبط تصرف الإله في خلقه وأحكامه بعضه ببعض مع اختلاف العلل والأسباب»⁽⁴⁾.

لقد ركَّز عبد العزيز بن عبد السلام على التناسب اللفظي أكثر من التناسب المعنوي، فكان مفهوم التناسب عنده يعني: الإتحاد أو التماثل وارتباط الأول بالآخر من غير تكلف، واشترط لصحة المناسبة

(1) _ التفسير الكبير ومفاتيح الغيب: فخر الدين الرازي، ج7، ص 139.

(2) _ التحرير والتنوير: الطاهر ابن عاشور، ج1، ص 8.

(3) _ عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم، شيخ الإسلام وبقية الأعلام: الشيخ عز الدين أبو محمد السُّلَمي الدمشقي الشافعي، ولد سنة "577هـ" أو "578هـ"، وتوفي سنة "660هـ" كان ناسكًا أمارًا بالمعروف نهاءً عن المنكر، ولي خطابة دمشق، وفيه حُسْنُ محاضرة بالنادرة والشعر. ينظر: _ الوافي بالوفيات: الصفدي، ج18، ص 318، 319.

(4) _ الإشارة إلى الإيجاز في بعض أنواع المجاز: عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام السلمي، تقديم: رمزي سعد الدين دمشقية، ط 1، دار البشائر الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1407هـ - 1987م، ص 221.

شرطان: اتخاذ الأمر، وارتباط أوله بآخره.

ويشاركه في هذا الرأي صبحي الصالح إذ يقول إن: « معيار الطبع أو التكلف فيما لمح من ضروب التناسب بين الآيات والسور، يرتد في نظرنا إلى درجة التماثل أو التشابه بين الموضوعات، فإن وقع في أمور متحدة مرتبطة أوائلها بأواخرها، فهذا تناسب معقول مقبول، وإن وقع على أسباب مختلفة وأمور متنافرة فما هذا من التناسب في شيء»⁽¹⁾.

وعارضت الفئة الثالثة التناسب، والتي يمثلها محمد بن علي الشوكاني صاحب تفسير: فتح القدير الجامع بين في الرواية والدراية من علم التفسير.

وأسباب المعارضة هو اختلاف فترات نزول القرآن الكريم، واختلاف أسباب النزول في تنوع الحديث بين الآي في السورة الواحدة، الأمر الذي يستحيل معه وجود صلة للارتباط بينها.

فيقول: « وكل عاقل فضلاً عن عالم لا يشك أن هذه الحوادث المقتضية نزول القرآن متخالفة باعتبار نفسها، بل قد تكون متناقضة كتحریم أمر كان حلالاً، وتحليل أمر كان حراماً... وإذا كانت أسباب النزول مختلفة هذا الاختلاف، ومتباينة هذا التباين الذي لا يتيسر معه الائتلاف، فالقرآن النازل فيها هو باعتباره نفسه مختلف كاختلافها، فكيف يطلب العاقل المناسبة بين الماء والنار، وتوسيع دائرة الريب على من في قلبه مرض، أو كان مرضه مجرد الجهل والقصور»⁽²⁾.

وقوله أيضاً: « اعلم أن كثيراً من المفسرين جاؤوا بعلم متكلف وخاضوا في بحر لم يكلفوا سباحته، واستغرقوا أوقاتهم في فن لا يعود عليهم بفائدة، بل أوقفوا أنفسهم في التكلم بمحض الرأي المنهي عنه في الأمور المناسبة بين الآيات القرآنية المسرودة على هذا الترتيب الموجود في المصاحف، فجاءوا بتكلفات وتعسفات يتبرأ منها الإنصاف، ويتنزه عنها كلام البلغاء فضلاً عن كلام الرب سبحانه حتى أفردوا ذلك بالتصنيف، وجعلوه المقصد الأهم من التأليف...»⁽³⁾.

إن قول الشوكاني: بأن المناسبة كلام بمحض الرأي المنهي عنه مبالغ فيه؛ فالرأي المنهي عنه هو الرأي

(1) _ مباحث في علوم القرآن: صبحي الصالح، ص 152.

(2) _ فتح القدير الجامع بين في الرواية والدراية من علم التفسير: الشوكاني، ج 1، ص 50.

(3) _ قال الشوكاني هذا عندما فسر الآية: ﴿يَبْنَئِ إِسْرَءِيلَ بِأَذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [البقرة: 47].

المصدر نفسه: ج 1، ص 50.

الذي لا يخضع لضوابط التفسير، الناشئ عن هوى المفسر، ولا يخضع لقوانين العقل المنطقية، وقد أثبت المشتغلون بالتفسير وعلوم القرآن، بأن المناسبة تُبرِّز التناسق الموجود بين الآيات والسور وتكشف النظم القرآني البديع.

فالقرآن وإن نزل منجماً في نيف وعشرين سنة، ورتب على خلاف نزوله لا يمنع ذلك من وجود المناسبة بين آياته وسوره فهو كالكلمة الواحدة يسودها الانسجام ومتانة التماسك: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافًا كَثِيرًا﴾ [النساء: 82].

ومما سبق نتوصل إلى ما يأتي:

— إن نفي المعارضين لوجود المناسبة فيه تأكيد على وجودها في القرآن الكريم.

— نفي المعارضون وجود المناسبة لافترائها بإعمال الرأي دون قيد من قيود التفسير أو اللغة العربية.

— أكد المثبتون أن للمناسبة دوراً في تماسك وحدة النص القرآني.

أنواع المناسبة في القرآن الكريم:

المناسبة نوعان: معنوية ولفظية.

فالمعنوية: أن يتدئ المتكلم بمعنى ثم يتم كلامه بما يناسبه من معنى دون لفظ⁽¹⁾ كقوله تعالى:

﴿لَا تَذَكَّرُكَهُ الْأَبْصَرُ وَهُوَ يَذَرُّكَ الْأَبْصَرُ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الأنعام: 103]، لأن من أدرك شيئاً كان خبيراً به.

أما المناسبة اللفظية: فهي توخِّي الإتيان بكلمات مُتَّزِنَات وهي على ضربين: تامة وغير تامة؛ فالتامة

ما جاءت كلماتها موزونة مقفاة⁽²⁾، كقوله تعالى: ﴿فِي سِدْرٍ مَخْضُودٍ وَطَلْحٍ مَّنْضُودٍ﴾ [الواقعة: 28_29].

التناسب بين "مخضود، منضود" في الوزن (مفعول) وفي قافية حرف الدال.

(1) تحرير التعبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن: ابن أبي الأصبغ المصري، تح: حفي محمد شرف، دط، لجنة إحياء التراث الإسلامي، الجمهورية العربية المتحدة، دت، ص 363.

(2) المصدر نفسه: ص 367.

وغير التامة: ما جاءت كلماتها موزونة غير مقفاة⁽¹⁾ كقوله تعالى: ﴿كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ﴾ [التكاثر 5_6]، فتناسبت الكلمتان "يقين، جحيم" في الوزن "فعليل"، واختلفتا في التقفية، حيث خُتِمَت الأولى "يقين" بالنون، والثانية "جحيم" بالميم.

فالمناسبة عند ابن الأصبغ المصري تتلخص في نوعين:

- مناسبة معنوية، ومناسبة لفظية، واللفظية تنقسم إلى: تامة وغير تامة.

وإلى هذا التقسيم ذهب ابن القيم الجوزية في كتابه: الفوائد المشوق إلى علم القرآن وعلم البيان⁽²⁾.

وهناك من اعتمد هذا التقسيم: ⁽³⁾ وسماه: بالتناسب المعنوي والتناسب اللفظي وربطت بالآيات المتشابهات⁽⁴⁾ في القرآن الكريم، وضرب لذلك أمثلة عديدة تؤكد علاقة المناسبة بمتشابه القرآن.

و لا تخرج تقسيمات المناسبة الأخرى عن هذين القسمين؛ فهي محصورة في إطار الآية الواحدة أو السورة الواحدة ولها خمس صور⁽⁵⁾:

-تناسب كلمات الآية الواحدة.

-تناسب ترتيب الآيات.

-تناسب مطلع السورة مع مقاصدها.

-تناسب خاتمة السورة مع مقاصدها.

-تناسب مطلع السورة مع خاتمته.

وإما أن تكون محصورة في علاقة السورة ببعضها ببعض، ولها ثلاث صور:

(1) _ تحرير التعبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن: ابن أبي الأصبغ، ص 367.

(2) _ الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان: شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر ابن أيوب المعروف بابن قيم الجوزية، تح: جماعة من العلماء بإشراف الناشر، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1407هـ-1988م، ص128.

(3) _ الإعجاز الفني في القرآن: عمر السلامي، د ط، نشر وتوزيع مؤسسات عبد الكريم بن عبد الله، تونس، 1980م، ص 164.

(4) _ أسرار التشابه الأسلوبي في القرآن الكريم: شلتاغ عبود، ص 25-34.

(5) _ ينظر مثلاً: البيان في الإعجاز والتناسب في القرآن الكريم: عقيد خالد حمودي العزاوي، ط1، دار العصماء، دمشق، سوريا

1436هـ-2015م، ص 304-316.

-تناسب فاتحة السور مع فاتحة ما قبلها.

-تناسب خاتمة السورة مع فاتحة ما بعدها.

-تناسب مقاصد السورة مع فاتحة السورة التي قبلها.

فالمناسبة في عمومها لا تخرج عن أحد قسيميها: المعنوية واللفظية، لأن جُلّ التقسيمات السابقة تعتمد نفس هذا التقسيم، وإن اختلفت التسميات والفروع.

ومعرفة المناسبات بين الآيات والسور مظهر من مظاهر مراعاة السياق في الفهم والتفسير، فتقتضي « مراعاة سياق الآية في موقعها من السورة، وسياق الجملة في موقعها من الآية، فيجب أن تُرْبَط الآية بالسياق الذي وردت فيه، ولا تُقَطَّعَ عَمَّا قَبْلَهَا وما بعدها، ثم يُجَرُّ جَرًّا لُتْفِيدَ مَعْنَى أَنْ تُؤَيِّدَ حُكْمًا يَقْصُدُهُ قَاصِدٌ»⁽¹⁾.

ومن ثم فإن في المناسبة تحقيق للترابط بين الآية السابقة والآية اللاحقة، وتحقيق للترابط بين الآيات والسور.

وإن الترابط الموجود في آي القرآن الكريم جعل العلماء يفكرون في كيفية تطبيقها، فكان لكل مفسر طريقته الخاصة في كيفية البحث عن المناسبة، وفي الإبانة عن معنى الآيات القرآنية.

ينقل الزركشي عن بعض مشايخه طريقة البحث عن المناسبة بين الآيات والسور فيقول: « والذي ينبغي في كل آية أن يُبْحَثَ أول كل شيء عن كونها مكملة لما قبلها أو مستقلة، ثم المستقلة ما وجه مناسبتها لما قبلها؟ ففي ذلك عِلْمٌ جَمٌّ، وهكذا في السور يُطَلَب وجه اتصالها بما قبلها وما سبقت له »⁽²⁾.

إن المناسبة تبحث عن الكلمة المفردة وتبحث عن الآية والجملة، وما يسبقها من آيات، بل تتعدى إلى سور القرآن الكريم كله.

ولفخر الدين الرازي أسلوب مُغَايِر في البحث عن المناسبة، حيث يقول: « البدء بذكر آية أو مجموعة آيات، ثم يبدأ بالتقديم لها بشكل مختصر وهذا ما يُسمى بعلم التناسب بين الآيات، وهذا العلم يحتاج إلى

(1) _ كيف نتعامل مع القرآن العظيم: يوسف القرضاوي، ط 2، دار الشروق، القاهرة، مصر، 1420هـ- 2000م، ص 238.

(2) _ البرهان في علوم القرآن: الزركشي، ج 1، ص 37.

عقلية تتميز بسعة الأفق، إذ أنه يخدم معنى الآية لأنه يربط الآية بما سبقها من الآيات»⁽¹⁾.

إذن فالمناسبة تدرس العلاقات الموجودة بين الآيات والسور، على أساس أن النص القرآني وحدة متماسكة مترابطة الأجزاء، ووجب على من يتصدى لتفسير المناسبة أن يكون محاطاً بأدوات تساعده على فهم التناسب منها: أسباب النزول، والسياق اللغوي والاجتماعي، ومُحاط بثقافة لغوية تمكنه من فهم سور وآيات القرآن الكريم.

وقد وضع السيوطي قاعدة عامة لمعرفة المناسبة الموجودة بين الآيات والسور، وأساس هذه القاعدة هو معرفة مقاصد السورة: «الأمر الكلي المفيد لعرفان مناسبة الآيات في جميع القرآن، هو أنك تنظر الغرض الذي سبقت له السورة، وتنظر ما يحتاج إليه ذلك الغرض من المقدمات، وتنظر عند انجرار الكلام في المقدمات إلى ما يستتبعه من استشراف نفس السامع إلى الأحكام واللوازم التابعة له، التي تقتضي البلاغة شفاء الغليل بدفع عناء الاستشراف إلى الوقوف عليها، فهذا هو الأمر الكلي المهيم على حُكْم الربط بين جميع أجزاء القرآن، فإذا فعَلته تبين لك وجه النظم مفصلاً بين كل آية وآية في كل سورةٍ سورةٍ»⁽²⁾.

يؤكد السيوطي على دور المتلقي في فهم التناسب بين الآيات والسور، من خلال قوله: «استشراف نفس السامع»، فالسامع متلقٍ ويُعدُّ شريكاً أساسياً في إدراك مقاصد النص، أي أن تفسير النص يتأثر سلباً أو إيجاباً بدرجة تلقيه الخطاب، فكلما تفاعل مع الخطاب ازدادت درجة إدراكه للنص القرآني.

وانسجام سور وآيات النص القرآني عن طريق المناسبة منحه صفة التماسك والترابط وعلى « هذا يمكن أن يُشبه النص القرآني بسلسلة تُشَدُّ حلقاتها بعضها إلى بعض، مما يضمن تلاخمه كنص لا تني العلاقات بين أجزائه تتقوى كلما تقدمنا في قراءته»⁽³⁾.

إن وجود المناسبات بين آيات السورة الواحدة، وبين السور فيما بينها هو تأكيدٌ لاتصال الآيات بعضها مع بعض في نطاق السورة الواحدة وفي جميع القرآن، لكون النص القرآني وحدة بنائية مترابطة الأجزاء، والمناسبة وسيلة تُساهم في تبين إعجاز القرآن الكريم فعدت آلية من آليات البحث الخاصة، لتمييز النص القرآني عن غيره من النصوص.

(1) _ مقدمة التفسير الكبير ومفاتيح الغيب: فخر الدين الرزاي. ج1، ص 18.

(2) _ الإتيان في علوم القرآن: السيوطي، ج5، ص 1846.

(3) _ لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب: محمد خطابي، ص 202.

كما أنها علم أسلوبية؛ يهتم بأساليب الارتباط بين الآيات في السورة الواحدة، وبين السور فيما بينها⁽¹⁾.

فالقصد من المناسبة ورود آي القرآن بالطريقة التي تحقق ارتباط اللاحق بالسابق والسابق باللاحق، أي أن هناك علاقة وتداخل بين المناسبة وأسباب النزول، ويمكن التفريق بينهما من حيث إن: « علم أسباب النزول يربط الآية أو مجموعة من الآيات بسياقها التاريخي، أما علم المناسبة بين الآيات والسور فيتجاوز ذلك إلى أجزاء النص، لبحث في أوجه الترابط بين الآيات والسور في الترتيب الحالي للنص، وهو ما يطلق عليه ترتيب التلاوة في مقابل ترتيب التنزيل»⁽²⁾.

فعلم أسباب النزول تاريخي، أما المناسبة فهي علم أسلوبية، يقوم على دراسة واكتشاف أوجه الترابط والتناسب بين آيات وسور النص القرآني.

ولقد حاول صبحي الصالح أن يجمع بين الأقوال السابقة، ورأى أن المناسبة تتداخل مع أسباب النزول: « لعل المفسرين إذن لم يبالغوا حين قدموا أحياناً ذكر المناسبة بين الآيات على معرفة سبب نزولها، كلما رأوا هذه المناسبة هي المصححة لنظم الكلام، ولعلمهم بلغوا ذروة التحقيق العلمي حين أوجبوا البداء بذكر سبب النزول حين يكون وجه المناسبة متوقفاً على معرفة الأسباب»⁽³⁾.

إن معرفة سبب النزول له أثر في فهم المعنى وتفسير الآية، وإن معرفة المناسبة بين الآيات تساعد كذلك على حسن التأويل ودقة الفهم.

وقد أثارت هذه العلاقة بين المناسبة وأسباب النزول سؤالاً قيماً بين المشتغلين في علوم القرآن والتفسير، حول ترتيب سور القرآن الكريم وآياته: هل هو توقيفي من وضع الرسول ﷺ وصحابته، أم توقيفي من الله تعالى؟.

واختلف العلماء في ترتيب السور، فذهب بعضهم إلى أنه توقيفي بتوجيه من الله تعالى⁽⁴⁾، ويقول

(1) _ فعالية القراءة وإشكالية تحديد المعنى في النص القرآني: محمد بن أحمد جهلان، تقديم: محمد بن موسى بابا عمي، ط1، دار صفحات للدراسات والنشر، دمشق، سوريا، 2008م، ص 130.

(2) _ مفهوم النص، دراسة في علوم القرآن: نصر حامد أبو زيد، ص 159.

(3) _ مباحث في علوم القرآن: صبحي الصالح، ص 150، 151.

(4) _ البرهان في علوم القرآن: الزركشي، ج1، ص 260.

في هذا ولي الدين المولى: «قد وهم من قال لا يُطلب للآية الكريمة مناسبة لأنها على حسب الوقائع المقدمة وفصل الخطاب أنها على حسب الوقائع تنزيلاً، وعلى حسب الحكمة ترتيباً وتأصيلاً، فالمصحف على وفق ما في اللوح المحفوظ مرتبة سورته كلها وآياته بالتوقيف كما أنزل جملة إلى بيت العزة... والذي ينبغي في كل آية أن يبحث أول كل شيء عن كونها مكتملة لما قبلها أو مستقلة، ثم المستقلة ما وجه مناسبتها لما قبلها... وهكذا في السور»⁽¹⁾.

وقد أجمع العلماء على أن ترتيب الآيات توقيفي من الله تعالى، وأنها رتبت على هيئتها تلك من عهد النبي ﷺ ولا خلاف في ذلك⁽²⁾.

إن نزول القرآن منجماً على مدار ثلاثة وعشرين سنة لا ينفي القول بعدم وجود المناسبة بين آياته وسوره، فنزوله جاء تثبتاً للرسول ﷺ مما لاقاه من المشركين من عذاب.

ومنه فإن علم المناسبة نتيجة للقول بـ "التوقيف" في ترتيب الآيات والسور.

واقترح التقسيم الآتي للمناسبة، الذي يشمل الأنواع السابقة:

أولاً - تناسب كلمات الآية الواحدة.

ثانياً - تناسب الجمل مع سياق المشهد في السورة.

ثالثاً - التعقيبات القرآنية وأثرها في تبيان التناسب.

أولاً - تناسب كلمات الآية الواحدة:

الأصل في الإعجاز القرآني هو الإعجاز البياني، حيث تأتي كل كلمة مناسبة لموضعها وملائمة للسياق الواردة فيه، وقد بين ابن عطية في محرره الوجيز السر الدقيق في بناء الألفاظ القرآنية إذ قال: «كتاب الله لو نُزعت منه لفظة ثم أدير لسان العرب في أن يوجد أحسن منها لم يوجد»⁽³⁾.

ومما يدل على إعجاز القرآن الكريم هو وضع الألفاظ المناسبة في مواضعها الملائمة، حسب الغرض الذي سيقى له، ولو بُدّل ذلك اللفظ بلفظ آخر لتغير المعنى واحتل النظم القرآني، وفي ذلك أشار الجاحظ

(1) _ الإتقان في علوم القرآن: السيوطي، ج5، ص 1838، 1839.

(2) _ البرهان في علوم القرآن: الزركشي، ج1، ص 256.

(3) _ المحرر الوجيز في تفسير كتاب الله العزيز: ابن عطية الأندلسي، ج1، ص 52.

إلى دقة التعبير القرآني، ودقته في اختيار الألفاظ فيقول: « وقد يستخفُّ الناس ألفاظاً ويستعملونها وغيرها أحقُّ بذلك منها، ألا ترى أن الله تبارك وتعالى لم يذكر في القرآن الجوع إلا في موضع العقاب، أو في موضع الفقر المدقع والعجز الظاهر، والناس لا يذكرون السَّعْبَ ويذكرون الجوع في حال القدرة والسلامة...ولفظُ القرآن الذي عليه نزل أنه إذا ذكر الأبصار لم يُقَلَّ الأسماع، وإذا ذكر سبع سموات لم يقل الأرضين ألا تراه لا يجمع الأرض أرضين، ولا السمعَ أسماعاً، والجاري على أفواه العامة غير ذلك، لا يتفقون من الألفاظ ما هو أحقُّ بالذكر وأولى بالاستعمال...»⁽¹⁾.

فألفاظ القرآن الكريم متناسبة فيما بينها، والكلمات مكتملة لبعضها في التركيب، متناظرة في الاستعمال، لذا دعا القرآن الكريم بالألفاظ المستخدمة لفظ مكان آخر، لأن كل كلمة تحمل معنًا جديدًا ﴿قَالَتْ الْأَعْرَابُ ءَأَمَّا قُلٌّ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [الحجرات: 14].

إن المقصود بهذا النوع هو: مناسبة اللفظ لبقية الألفاظ في الآية.

وإن استقراء الكلمات يُعدُّ أمراً صعباً، خصوصاً إذا علمنا أن ألفاظ القرآن الكريم موضوعة في مكانها المناسب لها، لذا سأقتصر على ذكر بعض النماذج:

1- قال تعالى: ﴿قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتُونَ تَذَكَّرْ يَٰيُوسُفَ حَتَّىٰ حَرَصْنَا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ﴾ [يوسف: 85].

ألفاظ هذه الآية الكريمة متناسبة في الغرابة، ملائمة لبعضها البعض في المعنى، وللحالة التي كان عليها سيدنا يعقوب عليه السلام، ف"التاء" أغرب ألفاظ القسم⁽²⁾ وذلك لأنها أقل استعمالاً من "الواو" و"الباء"، و"التاء" تختص بلفظ الجلالة «المقسم عليه بالتاء يكون نادر الوقوع، لأن الشيء المتعجب منه لا يكثر وقوعه، ومن ثم قل استعمال التاء إلا مع اسم الجلالة، لأن القسم باسم الجلالة أقوى القسم»⁽³⁾.

(1) _ البيان والتبيين: الجاحظ، ج1، ص 20.

(2) _ أدوات القسم: الباء الواو، التاء، اللام، من.

(3) _ التحرير والتنوير: الطاهر ابن عاشور، ج13، ص 44.

واللفظ الثاني: "تفتأ" المأخوذة من فتى بمعنى ما زال (من أخوات كان)⁽¹⁾ وهي من أغرب صيغ الأفعال التي تفيد الاستمرار.

واللفظ الثالث: "الحرص" الذي يعني الشيء البالي الفاني، أو الحرص الذي أذابه الحزن والشوق⁽²⁾.
وقيل أصل الحرص الفساد في الجسم والعقل من الحزن أو العشق⁽³⁾.

فالشخص الذي يشرف على الهلاك: حَرِضَ أي لا خير ينتظر منه، وهذا ما أراد إخوة يوسف تبليغه إلى أبيهم، فقالوا له: والله لا تزال تذكر يوسف إلى أن شارفت وقاربت على الهلاك، أو تموت من الغم، لكي يمنعوه من كثرة البكاء والأسف على يوسف⁽⁴⁾.

فألفاظ "تاء القسم، تفتأ، حَرِضَ" متناسبة في الغرابة، ومتناسبة مع حالة يعقوب الذي أمضى عقوداً طويلة يبكي فراق يوسف وينتظر عودته، فتناسبت الألفاظ مع النظم، وتوافقت مع حال يعقوب عليه السلام.

2- قوله تعالى: ﴿مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَائِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا﴾ [الكهف: 05].

فكلمة "كَبُرَتْ" مناسبة لفضاعة ما قالوه من أن الله اتخذ ولدًا: ﴿وَيُنذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا﴾ [الكهف: 04].

فهذه الكلمة قد وردت في سياقها المناسب لتدل على معناها دلالة بينة، كلمة صادرة من أفواههم، فيها معاني التجبر والتعالي على الذات الإلهية، ولا دليل لهم على ما قالوا إلا الكذب والافتراء⁽⁵⁾:

(1) _ أخوات كان: ظل، بات، أضحى، أصبح، أمسى، صار، ليس، ما زال، ما برح، ما فتى، ما نفاك، مادام.

(2) _ تفسير غريب القرآن المجيد: أبو الحسين زيد بن علي بن الحسين بن علي ابن أبي طالب العلوي الهاشمي القرشي، تح: محمد يوسف الدين، ط1، حيدر آباد، الهند، 1422هـ-2001م، ص 119.

(3) _ جامع البيان عن تأويل آي القرآن: (تفسير الطبري): الطبري، ج13، ص301.

(4) _ تفسير البحر المحيط: أبو حيان الأندلسي، ج5، ص334.

(5) _ ينظر: _ تحفة الأريب بما في القرآن من الغريب: أثر الدين أبو حيان الأندلسي، تصحيح: طاهر النعاني، مطبعة الإخلاص، حماة سوريا، 1345هـ-1926م، ص 107، _ معجم ألفاظ القرآن الكريم: مجمع اللغة العربية، طبعة منقحة، جمهورية مصر العربية، 1410هـ-1990م، ج2، من الطاء إلى الباء، ص 943-947.

﴿إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا﴾ [الكهف: 05].

لأن ما نسبوه له تعالى من اتخاذ الولد لا علم لهم به: ﴿أَفَأَصْفَكَو رَبُّكُمْ بِالْبَنِينَ وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنثًا إِنَّكُمْ لَنَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا﴾ [الإسراء: 40]

لفظة " كَبُرَ " بالضم في الماضي والمضارع على سواء، إذا أُريد بها غير الكبر في السن كقوله تعالى في الآية السابقة، وقوله أيضا: ﴿أَوْ خَلَقْنَا مِمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَى هُوَ قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَرِيبًا﴾ [الإسراء: 51]، وقوله كذلك: ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ [الصف: 03].

وإذا أُريد منها الكبر في السن فتأتي مكسورة الباء في الماضي، مفتوحة في المضارع⁽¹⁾ ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَنْ يَكْبُرُوا﴾ [النساء: 06].

وقد دلّت هذه الآية الكريمة على أن الله تعالى يستقبح الافتراء على ذاته تعالى، ولا شك أن اختيار الآية للفظ " كَبُرَتْ " له مغزاه في تعميق فضاة ما قالوه، وما نسبوه إلى الله تعالى بغير وجه حق: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝ (١) اللَّهُ الصَّمَدُ ۝ (٢) لَمْ يَكِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝ (٣) وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ۝ (٤)﴾ [الإخلاص: 01-04].

فناسبت كلمة " كَبُرَتْ " وضع الكفار من ضلالٍ وكفرٍ وشركٍ بالله.

3- يستعمل الأسلوب القرآني الألفاظ والكلمات في مقامٍ مختلف، وفق ما يقتضيه ذاك المقام من مدلول، ووفق ما يستعمله القرآن من سياق، فلا تشابه ولا ترادف في كلماته وألفاظه.

ومن بديع استعمالات القرآن الكريم لفظة " الأنعام "، فجميع الآيات التي وردت فيها تجمع بين المنفعة والجمال⁽²⁾.

(1) _ أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن: الشنقيطي، ج4، ص 18.

(2) _ آل عمران: 14، المائدة: 1، الأنعام: 138، 139، 142، الأعراف: 179. يونس: 24، النحل: 5، 66، 80، طه: 54، الحج: 28، 30، 34. المؤمنون: 21، الفرقان: 49، الشعراء: 133، السجدة: 27، فاطر: 28. يس: 71، الزمر: 06، غافر: 79، الشورى: 11، الزخرف: 12، محمد: 12، النازعات: 33، عبس: 32.

قال تعالى: ﴿وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنْفَعٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٥﴾ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ﴿٦﴾ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا بَلِّغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنْفُسِ ۗ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٧﴾﴾ [النحل 5-7]

لقد أفادت لفظة "الأنعام" معنى المنفعة والجمال؛ حيث تكمن المنفعة في استعمال جلودها وأصوافها وأوبرها وأشعارها، وأكل لحومها وشرب ألبانها، إضافة إلى حمل الأمتعة والسفر عليها. ويكمن الجمال في تفاخر العرب قديماً بالخيل والإبل، لأن في امتلاك هذه "الأنعام" شعور بالعظمة والرفعة، والسعادة في الدنيا.

يقول الزمخشري: «منَّ الله بالتجمل بها كما منَّ بالانتفاع بها، لأنه من أغراض أصحاب المواشي، بل هو من معازمها، لأن الرعيان إذا رَوَّحُوا بالعشي وسرحوها بالغداة - فزنت بإراحتها وتسريحها الألفية وتحابوب فيها الثغاء والرغاء - أنست أهلها وفرحت أربابها»⁽¹⁾.

لقد أدت لفظة "الأنعام" دورها في إبراز النعم التي منحها الله تعالى للناس من المنفعة والجمال، وناسبت السياق الذي قيلت فيه؛ سياق النعم، وسياق رحمة الله بالعباد ﴿لَرءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾.

ومما تقدم يتضح أن القرآن الكريم يهتم اهتماماً بليغاً باختيار ألفاظه المعبرة عن معانيه الدقيقة، فيختار اللفظ المناسب في موقعه الذي يؤدي معانيه أبلغ أداء، وبلطفة واحدة دالة على المعنى بدقة متناهية.

4- قال تعالى: ﴿فَأَصْدَعُ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضُ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾ [الحجر: 94].

كان الرسول ﷺ في بداية الدعوة المحمدية يدعو الناس خفية لعبادة الله في دار الأرقم حتى نزول قوله تعالى: ﴿فَأَصْدَعُ بِمَا تُؤْمَرُ﴾؛ حيث بدأت الدعوة بالجهراً لإظهار الدين الجديد، وللتفريق بين الحق والباطل، وتبليغ أوامر الله ونواهيه، ونبد الأوثان، وإتباع دين الحق⁽²⁾.

يقول الطاهر ابن عاشور في سبب نزول هذه الآية: «نزلت هذه الآية في السنة الرابعة أو الخامسة

(1) _ الكشاف: الزمخشري، ج3، ص 424.

(2) _ ينظر: _ جامع البيان عن تأويل آي القرآن: (تفسير الطبري): الطبري، ج14، ص144.

_ التفسير الكبير ومفاتيح الغيب: فخر الدين الرازي، ج19، ص219.

من البعثة ورسول الله ﷺ محتف في دار الأرقم بن أبي الأرقم، روي عن عبد الله بن مسعود قال: ما زال النبي ﷺ مستخفياً حتى نزلت ﴿فَأَصْدَعْ بِمَا تَأْمُرُ﴾ فخرج هو وأصحابه⁽¹⁾.

ولتبليغ الدين الجديد استعملت كلمة "اصدع" ولم تستعمل كلمة أخرى من مثل "أجهر" أو "أظهر"، أو "بين"، فما السر في ذلك؟.

الصدع: الشق في الأجسام الصلبة كالزجاج والحديد، يقال: صدعته فأنصدع، وصدعته فتصدع، قال تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدَعُونَ﴾ [الروم: 43]، ومنه استعير صدع الأمر، أي فصله... وتصدع القوم أي تفرقوا..⁽²⁾.

فاصدع بما تؤمر، قم بتفريق جمعهم وكلمتهم، بدعوتهم إلى دين التوحيد فيتفرقون، بأن يجيب البعض، فيرجع الصدع على هذا إلى صدع جماعة الكفار، ولا تهتم ولا تبالي بقولهم وأعرض عنهم⁽³⁾.

فكلمة "الصدع" متضمنة لمعنى القوة، وعدم الخوف من الكفار، أي تبليغ ما أمر به الرسول ﷺ جهراً، تفريقاً بين الحق والباطل، وتفريقاً لشملمهم مشقفاً لصفوفهم، فمن اتبع الرسول ﷺ كانت له الجنة، ومن اتبع هواه وكفره كانت له النار.

ولا يمكن أن تؤدي كلمة أخرى المعنى المناسب لسياق حالة الرسول ﷺ في تبليغ الدعوة من السر إلى الجهر: «أي معنى أعجب من أن تتجاذبك معاني الوضع في ألفاظ القرآن فترى اللفظ قاراً في موضعه، لأنه الأليق في النظم، ثم لأنه مع ذلك الأوسع في المعنى، ومع ذلك الأقوى في الدلالة، ومع ذلك الأحكم في الإبانة، ومع ذلك الأبدع في وجوه البلاغة، ومع ذلك الأكثر مناسبة لمفردات الآية»⁽⁴⁾.

ومما سبق نستنتج أن ألفاظ القرآن الكريم تُختار بعناية فائقة، وأن كل لفظ يؤدي معناه بأبلغ عبارة، لا يؤديها لفظ آخر سواه.

(1) _ التحرير والتنوير: الطاهر ابن عاشور، ج14، ص 88.

(2) _ المفردات في غريب القرآن: الراغب الأصفهاني، ج1، ص 363.

(3) _ الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة وآي الفرقان: القرطبي، ج12، ص 161.

(4) _ إعجاز القرآن والبلاغة النبوية: مصطفى صادق الرافعي، ص170.

ثانياً-تناسب الجمل مع سياق المشهد في السورة:

ترابط الجمل القرآنية وتنسجم من خلال المناسبة بينها، لتؤدي المعنى بوضوح وبدقة متناهية، والذي يدل عليها هو السياق القرآني، ومن الأمثلة على ذلك:

1- قوله تعالى: ﴿ وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِّنْ أَنفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَؤُلَاءِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ بَيِّنَاتٍ لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهَدَىٰ وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴾ [النحل: 89].

قال ابن كثير في تفسير هذه الآية: «...ووجه اقتران قوله: ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ﴾ مع قوله ﴿ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا ﴾ أن المراد -والله أعلم- إن الذي فرض عليك تبليغ الكتاب الذي أنزله عليك سائلك عن ذلك يوم القيامة»⁽¹⁾.

هكذا وجّه ابن كثير المناسبة بين الجملتين بحسب السياق، بينما نجد الفخر الرازي يقول: «وجه تعلق هذا الكلام بما قبله ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ بَيِّنَاتٍ لِّكُلِّ شَيْءٍ ﴾ أنه تعالى لما قال: ﴿ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا ﴾ بيّن أنه أزاح عنتهم فيما كلفوا فلا حجة لهم ولا م معذرة»⁽²⁾.

فالعبارة إذن بأثر السياق في إظهار التناسب في هذه الآية، فالخطاب موجه لمحمد ﷺ، الذي سيُسأل يوم القيامة عن تبليغ القرآن، وتبليغ ما أمره به، هذا القرآن الذي فيه خير من قبلنا، ونبأ من بعدنا، وفيه كل ما يحتاج إليه الناس في دينهم ودنياهم ﴿ مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ﴾ [الأنعام: 38]. ومن ثمّ تبدو المناسبة واضحة بين الآيات، وبين الموضوع وبين المشهد الذي تعبر عنه.

2- قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ ﴿٨٧﴾ لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَأخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الحجر: 87-88]

أعطى الله تعالى لرسوله الكريم ﷺ في الآية الأولى سبعا من المثاني، وهي على الأغلب سورة الفاتحة،

(1) _ تفسير القرآن العظيم: ابن كثير، ج8، ص 343.

(2) _ التفسير الكبير ومفاتيح الغيب: فخر الدين الرازي، ج20، ص 101.

وينظر: _ البحر المحيط: أبو حيان الأندلسي، ج5، ص 511.

لأن فيها سبع آيات تتكرر في كل صلاة⁽¹⁾، وأن بالقرآن يرتقي الإنسان ليصل إلى مراتب النعيم، في جنة الخلد في يوم لا ظل إلا ظله، ويحثه على عدم الطمع في أموال الكفار ولا في متاع الدنيا، وفي الآية الثانية يأتي النهي "ولا تحزن عليهم" فالله تعالى ينهى الرسول ﷺ عن الحزن على الكفار إذا امتنعوا ورفضوا قبول الدخول في الإسلام، لأنك بلّغ الرسالة وهم امتنعوا عن التصديق بها، وأمره بالتواضع لمن آمن معك من فقراء وضعفاء المؤمنين⁽²⁾.

فالترايط واضح بين الآيتين: « لما بيّن تعالى أنه أتى النبي ﷺ السبع المثاني والقرآن العظيم، وذلك أكبر نصيب وأعظم حظ عند الله تعالى، نحاه أن يمد عينيه إلى متاع الحياة الدنيا الذي متع به الكفار، لأن من أعطاه ربه جلا وعلا النصيب الأكبر والحظ الأوفر، لا ينبغي له أن ينظر إلى النصيب الأحقر الأخص، ولا سيما إذا كان صاحبه إنما أعطيه لأجل الفتنة والاختبار»⁽³⁾.

وما يلاحظ على سياق الآية الأولى أنه سياق تشريف، وسياق الآية الثانية سياق تكليف ونهي، وبينهما علاقة وطيدة؛ إذ أن التشريف في مقام العبودية لله تعالى يحمل في طياته زيادة في التكليف والتبليغ.

3- قال تعالى: ﴿ وَأَسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿١٥﴾ مِّنْ وَرَائِهِ جَهَنَّمُ وَيُسْقَىٰ مِنْ مَّاءٍ صَدِيدٍ ﴿١٦﴾ يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ، وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِنْ وَرَائِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ ﴿١٧﴾ ﴾ [إبراهيم 15-17].

إن المتدبر لهذه الآيات والمتأمل لمعانيها يدرك أنها تضمنت أهوال يوم القيامة، أهوال البعث والجزاء؛ فجاءت في كل مرة مناسبة لموقعها، لترد على أقوال الكافرين، ولتدل على هلاك الظالمين، وإهلاك كل متكبر جبار عنيد، مُصَوَّرَةً جزاءهم أبلغ تصوير في مشهدٍ يصور موقفاً تقشعر منه جلود المؤمنين المصدقين بالرسول، مشهد يصور موقفاً رهيباً، موقفاً فيه الكفار وهم يتجرعون هذا الصديد، ولا يكادون يتلعوناه،

(1) ينظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم: أبو السعود العمادي، ج5، ص90.

التحرير والتنوير: الطاهر ابن عاشور، ج14، ص80.

(2) ينظر: تفسير القرآن العظيم: ابن كثير، ج8، ص174.

التفسير الكبير ومفاتيح الغيب: فخر الدين الرازي، ج19، ص213-215.

(3) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن: الشنقيطي، ج3، ص237.

لأن الموت يترتب بهم من كل مكان، ومن ورائه عذاباً آخر أشد منه وأمر⁽¹⁾.

ولقد فسر سيد قطب هذه المشاهد بقوله: «لا بل إنه في جهنم تأتيه فيها أسباب الموت في كل مكان، ولكنه لا ينال الموت ولا يرتاح ﴿وَمِنْ وَرَائِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ﴾ ينتظره في كل حين، وإنه لمشهد طريف أن يقف الجبار في الدنيا، وتقف من خلفه جهنم ﴿وَمِنْ وَرَائِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ﴾ يتراءى للخيال ويكاد يتمثل في العيان»⁽²⁾.

فآيات السورة تتناسب مع مشاهد البعث والجزاء وأهوال يوم القيامة، آيات متناسبة في القصر، الذي يناسب بدوره الزجر والتخويف، والتهويل والشدة، لأنه يخاطب قساة قلوب المشركين. لقد جاءت الجمل السابقة مناسبة ومصورة لمعان مختلفة بحسب السياق الواردة فيه، وإن هذا التنوع في المعاني، هو الذي جعل القرآن الكريم معجزاً في ألفاظه ومعانيه، وسراً من أسرار بلاغته.

ثالثاً-التعقيبات القرآنية وأثرها في بيان المناسبة:

قبل بيان دور التعقيبات القرآنية، سأشير إلى المعنى اللغوي والاصطلاحي لها.

فعب لغة: عَقَبْتُ كُلَّ شَيْءٍ، وَعَقَبْتُهُ، وَعَاقَبْتُهُ، وَعَاقَبْتُهُ، وَعُقِبْتُهُ وَعُقِبْتُهُ وَعُقِبْتُهِ آخِرُهُ⁽³⁾.

اصطلاحاً: المراد بالتعقيب على الآيات ذلك الجزء أو المقطع الذي يأتي في ختامها، تُدَيَّلُ به الآية زيادةً في البيان ومحافظه على وحدة الإيقاع⁽⁴⁾.

فالتعقيب الجزء أو المقطع الذي يأتي في ختام الآية القرآنية، متفقاً مع السياق، فيزيد المعنى جلاءً ووضوحاً.

(1) ينظر: _جامع البيان عن تأويل آي القرآن: (تفسير الطبري): الطبري، ج13، ص614-621.

_ تفسير القرآن العظيم: ابن كثير، ج8، ص185-189.

_ إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم: أبو السعود العمادي، ج5، ص39، 40.

(2) _ مشاهد القيامة في القرآن: سيد قطب، ط14، دار الشروق، القاهرة، مصر، 1423هـ-2002م، ص194.

وينظر: _ التحرير والتنوير: الطاهر ابن عاشور، ج13، ص210، 211.

(3) _ لسان العرب: ابن منظور، مادة(عقب)، ج34، ص3022.

(4) _ التناسب البياني في القرآن: دراسة في النظم المعنوي والصوتي: أحمد أبو زيد، د ط، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب،

1992م، ص91.

والمقطع الذي يأتي في ختام الآية اصطُح عليه اسم: " التعقيب "، لكن هناك مصطلحات أخرى بديعية تحمل نفس المعنى:

- 1- ائتلاف الفاصلة مع ما يدل عليه سائر الكلام، 2- الإرصاء، 3- الإيغال، 4- التذييل، 5-
- التسهيم، 6- تشابه الأطراف، 7- التصدير، 8- التفويف، 9- التكميل، 10- التمكين، 11- التناسب،
- 12- التوشيح، 13- رد الأعجاز على الصدور.

والتعقيب في القرآن ينقسم إلى نوعين:

النوع الأول: تعقيب على الآيات ويتضمن قسماً يتكرر فيه تعقيب واحد بعد كل آية أو مجموعة من الآيات⁽¹⁾، من مثل سورة الرحمن، التي تتكرر فيها آية: ﴿فَأَيُّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾، وسورة المرسلات التي تتكرر فيها آية: ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾.

النوع الثاني: نوع يقع فيه التعقيب على القصص، ويتضمن قسماً يتكرر فيه التعقيب الواحد بعد مجموعة من قصص الأنبياء، التي ترد في سورة واحدة مثل: سورة الشعراء، سورة الصافات وسورة القمر⁽²⁾. وفيما يأتي بعض الأمثلة عن التعقيبات القرآنية، التي تبين التناسب المعنوي بين كل تعقيب وما أعقب به، فهو الأنسب في موقعه، والأدق في أداء معانيه، وذلك ما سنلتمسه في:

1- قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [إبراهيم: 04].

هذا خطاب من الله لنبيه محمداً ﷺ، يخبره بأمر الرسل قبله، وأنهم أرسلوا بلسان أقوامهم، وبما برعوا فيه، كقوم موسى عليه السلام الذين برعوا في السحر، وكان موسى عليه السلام أبرع منهم ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ﴾ [الأعراف: 117]، والرسول محمد ﷺ الذي برع في الفصاحة والبيان وكان قومه من أهل البلاغة والشعر والفصاحة التي تُباين الأقسام الأخرى⁽³⁾.

(1) _ التناسب البياني في القرآن: دراسة في النظم المعنوي والصوتي: أحمد أبو زيد، ص 98.

(2) _ المرجع نفسه: ص ن.

(3) _ ينظر: _ جامع البيان عن تأويل آي القرآن: (تفسير الطبري): الطبري، ج 13، ص 592، _ تفسير القرآن العظيم: ابن كثير، ج 8، ص 176، - إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم: أبو السعود العمادي، ج 5، ص 32.

فمهمة الرسل تكمن في إرشاد أقوامهم، وتوضيح سُبُل الهداية، وإخراجهم من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان، والله تعالى حين يرسل رسله، يهدي بهم من يشاء ويضل من يشاء، وهو العزيز الحكيم.

فما وجه المناسبة في ختم الآية بأسماء الله الحسنى ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾؟.

اقترن الاسمان "العزيز - الحكيم" في سبعة وأربعين موضعاً (47)، منها تسعة وعشرون (29) موضعاً جاء فيها معرفين ب (الألف واللام)⁽¹⁾، وثمانية عشر (18) موضعاً دون الألف واللام⁽²⁾ " فالعزيز" لا يغالب في مشيئته، أما "الحكيم" الذي لا يفعل أي شيء من الضلال والهداية، إلا لحكمة بالغة لا يعلمها إلا هو⁽³⁾.

وفي ذلك يقول الطبري: ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ﴾ الذي لا يمتنع مما أَرادَه من ضلال أو هداية من أَراد ذلك به، ﴿الْحَكِيمُ﴾ في توفيقه للإيمان من وفقه له، وهدايته له من هداه إليه، وفي إضلاله من أضلَّ عنه وفي غير ذلك من تدييره⁽⁴⁾.

و إلى المعنى نفسه ذهب الطاهر ابن عاشور في تحريره، مع اختلاف يسير في العبارة، واستعمل مصطلح " التذليل " بدلاً من " التعقيب "⁽⁵⁾.

ويكون المعنى قوياً باجتماع الاسمين " العزيز الحكيم " ⁽⁶⁾ ومناسباً لما قبلهما، فحتمت الآية بالاسمين الذين يقتضيهما المقام، والذي يناسب هذا الجمع، أن عزَّته - تعالى - مقرونة بالحكمة، حكمة الهداية ، أو حكمة الضلال: ﴿وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [النور: 46].

(1) _ البقرة: 129، آل عمران: 6، 18، 62، 126، المائدة: 118-إبراهيم: 04، التحل: 60، النمل: 09، العنكبوت: 26، 42، الروم: 27، لقمان: 09 سبأ: 27، فاطر: 02، الزمر: 01، غافر: 08، الشورى: 03، الجاثية: 02، 37، الأحقاف: 02، الحديد: 01، الحشر: 01، 24، الممتحنة: 05، الصف: 01، الجمعة 1، 3، التغابن: 18.

(2) _ البقرة: 209، 220، 228، 240، 206، النساء: 56، 158، 165، المائدة: 38، التوبة 40، 71، الأنفال: 10، 49، 63، 67-لقمان: 27، الفتح: 07، 19.

(3) _ إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم: أبو السعود العمادي، ج5، ص 33

(4) _ جامع البيان عن تأويل آي القرآن: (تفسير الطبري): الطبري، ج13، ص 592.

(5) _ التحرير والتنوير: الطاهر ابن عاشور، ج13، ص 188.

(6) _ هناك كتاب يتناول أسماء الله الحسنى وصفاته والمعاني التي يذهب إليها كل اسم من أسمائه تعالى، للمزيد يراجع كتاب: الدلالة السياقية لاقتراح أسماء الحسنى في خواتيم الآيات القرآنية: هانم محمد حجازي الشامي، ط1، مكتبة الآداب، القاهرة، مصر، 2013م.

و عليه فقد جاء التعقيب مناسباً لصفة من صفات الله، ولاسمين من أسمائه، والمعنى هو الذي استدعاهما دون غيرهما من أسماء الله الحسنى.

2- قوله تعالى: ﴿يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١١﴾ وَسَخَّرَ لَكُمْ الَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٢﴾ وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَنَهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣﴾ وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حَبْلَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاحِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلِعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٤﴾﴾. [النحل: 11-14].

التعقيبات في خواتم هذه الآيات ما هي إلا عبارة عن خطاب تذكيري بأنعم الله على عباده، فكان كل تعقيب مناسباً لما أعقب به، وأدل على المعنى من غيره، فنجد في هذه الآيات أربع تعقيبات هي:

_ أعقت الأولى بقوله: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: 11].

_ أعقت الثانية بقوله: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [النحل: 12].

_ أعقت الثالثة بقوله: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ﴾ [النحل: 13].

_ أعقت الرابعة بقوله: ﴿وَلِعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [النحل: 14].

فما مناسبة كل تعقيب لما أعقب له؟.

لقد جاء كل تعقيب مناسباً للآية والسياق الوارد فيه، ففي الآية الأولى تذكير بنعمة الماء في إنبات الزرع والزيتون والنخيل والأعناب، ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ﴾ [النحل: 10]، وقوله كذلك: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنبياء: 30].

فهذا التعقيب يُناسبه التفكير في القدرة العظيمة التي خلقت هذه النعم، ﴿لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾

أما تسخير الليل والنهار ففيهما معاش الناس وحياتهم: ﴿وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا﴾ [النبا: 11]، وراحتهم وسكنهم، واستعمال القمر والنجوم لمعرفة الأشهر والسنوات، ويستعان بها في السير ليلاً.

فكل النعم السابقة دليل على قدرة الله، وأنه خالق كل شيء فناسب كل هذا قوله تعالى:

﴿لَا يَتَّبِعُ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾

وأما التعقيب الوارد في قوله: ﴿لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾، ناسبه التذكير بنعم الله على العباد، من خلق الدواب والشجر والثمار، فكلها نعم تستحق الشكر وتستحق تذكير العباد بها.

والله تعالى جعل الأرض مستقرًا للناس، ومنافع لهم ومتاعاً وسبيلاً للعيش والرزق، ومن نعمه كذلك تسخير البحر وما فيه من أسماك، وأحجار كريمة من لؤلؤ ومرجان تُسرُّ الناظرين: ﴿اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لِتَجْرِيَ الْفُلُكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [الجمانية 12]، فناسبه قوله ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾، شكر الله على نعمه التي سخرها للناس.

يقول الطاهر ابن عاشور: «إن ذلك لمراعاة اختلاف شدة الحاجة إلى قوة التأمل بدلالة المخلوقات الناجمة عن الأرض يحتاج إلى التفكير، وهو إعمال النظر المؤدي إلى العلم، ودلالة مما ذراه في الأرض من الحيوان محتاجة إلى مزيد تأمل في التفكير للاستدلال على اختلاف أحوالها وتناسلها وفوائدها، فكانت الحاجة إلى التذكر وهو التفكير مع تذكر أجناسها واختلاف خصائصها، وأما دلالة تسخير الليل والنهار والعوالم العلوية فالأدق وأحوج إلى التعمق، عبر عن المستدلين عليها بأنهم يعقلون والتعقل هو أعلى أحوال الاستدلال»⁽¹⁾.

لقد ناسب كل تعقيب الآية التي ورد فيها، ولا يمكن لتعقيب آخر أن يؤدي معناه، وقد أعطى السياق القرآني لكل منها دلالات خاصة، حتى تزيد المعنى جلاءً ووضوحاً وتماسكاً، فذلك من بلاغة القرآن

(1) _ التحرير والتنوير الطاهر ابن عاشور: ج14، ص 118.

ولكن أصل الفقرة مأخوذ من كتاب: درة التنزيل وغرة التأويل: أبو عبد الله محمد بن عبد الله الأصبهاني المعروف بالخطيب الاسكافي: تح: محمد مصطفى آيدين، ط1، جامعة أم القرى، معهد البحوث العلمية، المملكة العربية السعودية، 1428هـ، 2001م، ج2، ص 825-827.

ولخصها الطاهر ابن عاشور بأسلوب أوضح وأدق.

وينظر أيضاً: - ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه من أي التنزيل: الغرناطي، ج2، ص 733-735.

وحكمة إعجازه.

وإن التعقيبات في القصص القرآني تتنوع لتدل على معاني القصة القرآنية والحكمة منها، وأخذ العبرة من أحداثها، سواء للأنبياء عليهم الصلاة والسلام أو للبشرية جمعاء. وترد التعقيبات القصصية على ثلاثة أنواع:

النوع الأول والثاني سبق ذكرها عند تعريف أنواع التعقيبات في القرآن الكريم.

أما النوع الثالث: « يأتي مناسباً لما بُنيت عليه السورة وسياقها، وهذا التعقيب يكون في الغالب تعقيباً على قصة، أو حلقة من حلقات القصص القرآني الذي يختصُّ بنبي من الأنبياء، أو قوم من الأقسام السابقة التي صرّف القرآن قصصها»⁽¹⁾.

ومثاله قوله تعالى: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَجَعَلْنَاهُمْ خَلْقًا وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنْذِرِينَ﴾ [يونس: 73].

فختمت قصة نوح بقوله تعالى: ﴿فَإَنْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنْذِرِينَ﴾ وهو تعقيب على قصة نوح عليه السلام مع قومه، وهي في الأصل خطاب للرسول عليه السلام، يذكره الله فيها بأحوال الأقسام السابقة، وما لاقاه الأنبياء من تكذيب أقوامهم، وفي الوقت ذاته خطاب للبشر جميعاً، وتبيين لمصير المكذبين برسولهم.

فنوح عليه السلام كُذِّبَ من قومه، وكذبوا رسالته، فأجابه الله ومن حُمِّلَ معه في السفينة، وجعلهم الله خلائف لمن هلك بالغرق، فنالوا مصيرهم الذي لقوه رغم تقاسم نوح عليه السلام الحجج والبراهين والأدلة على توحيد الله تعالى⁽²⁾.

والخطاب بـ " انظر " «يُجوزُ أن يكون لكل من يسمع فلا يراد به مخاطب معين، ويجوز أن يكون

(1) _ بلاغة تصريف القول في القرآن الكريم: عبد الله محمد النقراط، ط1، دار ابن قتيبة للطباعة والنشر، دمشق، سوريا، 1423هـ-2002م، ج2، ص 979.

ولقد ذكر صاحب الكتاب أمثلة أخرى على التعقيب في القصة القرآنية، ج2، ص 979-992.

(2) _ جامع البيان عن تأويل آي القرآن: (تفسير الطبري): الطبري، ج12، ص236.

خطاباً لمحمد ﷺ، فخص بالخطاب تعظيماً لشأنه بأن الذين كذبوه يوشك أن يصبهم من العذاب نحو مما أصاب قوم نوح عليه السلام وفي ذلك تسلية له على ما يلاقيه من أذاهم وإظهار لعناية الله به»⁽¹⁾.

فالتعقيب ب: ﴿فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُذْرِبِينَ﴾ ناسب قوم نوح عليه السلام، وناسب تكذيبهم للرسول، وناسب المصير الذي آلوا إليه، هم وغيرهم ممن يكذب بالرسول عليهم الصلاة والسلام.

إن الأمثلة المرتبطة بالتعقيبات القرآنية، جاءت مناسبة لما أعقبت به، مكملة لمعنى الآية، ومنسجمة مع الروح العامة للسورة؛ فهذه التعقيبات متنوعة بتنوع المعاني، ومناسبة لمقاصد السياق.

إن التعقيب سمة بارزة وظاهرة في الأسلوب القرآني، ووجه من أوجه بلاغته، لجمعها بين المعنى، فتزيد معاني الآيات بياناً وإيضاحاً وجمالاً، لكونها تمهد للتناسب الإيقاعي في الآيات وفواصلها.

(1) _ التحرير والتنوير: الطاهر ابن عاشور، ج11، ص 244.

وينظر: _روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: الألوسي، ج11، ص160.

المبحث الثالث:

المناسبة الصوتية لسياق الكلام

وأثرها في بيان المعنى.

إن جمالية الخطاب القرآني ترجع إلى طريقة الأداء و كيفية تدبر الكلمات والألفاظ القرآنية، وإعطاء كل حرف حقه ومستحقه من الصفات والمخارج والوظائف التي تليق به، فالحرف هو المشكّل للكلمة والجمل « فمن أراد أن يقرأ القرآن بكمال التنزيل فليقرأه على منازل، فإن كان يقرأ تهديداً لفظاً به لفظاً المهتدّد، وإن كان يقرأ لفظ تعظيم لفظاً به على التعظيم»⁽¹⁾.

وهذا يعني أن لكل حرف خصائص صوتية خاصة به، يؤدي المعنى الذي يريد المتكلم، لأن الكلام لا يجري على وتيرة واحدة، بل تعزّيه تنوعات صوتية بحسب طبيعة الخطاب، والموقف الذي سيق فيه، وإذا كان هذا حال الخطاب في صورته العامة، فما حال أبلغ الخطابات، خطاب الله تعالى للبشرية جمعاء.

إن للقرآن روعة وجاذبية خاصة موجودة في نظمه، هذا النظم المتعدد الصادر من دقة الكلمات إلى روعة العبارات، مُرّراً بتناسب الأصوات في الألفاظ لتشكّل معنى إيقاعياً قائماً على التناسب بين الصوت والمعنى والغرض الذي نسجت فيه العبارة.

فالخطاب القرآني يشتد في مقام الإنذار والوعد والوعيد، وذكر العذاب وتصوير مشاهد جهنم وما فيها من أهوال، فيستعمل أصواتاً ذات جرس قوي تهمز النفوس، وما إن دُكرت الجنة ونعيمها، حتى يستعمل أصواتاً يغلب عليها اللين والضعف.

وتنقسم المناسبة الصوتية إلى قسمين:

القسم الأول: للصوت، وهذا يدفعنا للحديث عن تشكيل الحروف، ودورها في حدوث المعنى.

القسم الثاني: سيكون مخصصاً للفاصلة القرآنية، لأن الفاصلة عبارة عن حرف وصوت، يُحدث إيقاعاً متناسقاً مع المعاني.

أولاً- الأصوات:

إن القرآن الكريم يراعي ما للفظ من خصائص صوتية تتفق مع السياق الوارد فيه، وللحرف مكانته في السياق القرآني، ولا يمكن استعمال حرف مكان آخر أو حذفه، ليبرز السياق القرآني متماسكاً ومنسجماً مع معناه الدال عليه.

و لا يمكن لها أن تقوم الكلمات بالوظيفة الصوتية لكلمات أخرى في نفس السياق.

(1) البرهان في علوم القرآن: الزركشي، ج1، ص450.

وإن الغرض من المناسبة الصوتية هو بيان علاقة الحروف بالسياق، من مثل: الحروف المتصرفة بالقوة في مواقف القوة، والحروف المتصرفة بعلامات الضعف في مواقف الضعف، والحروف المتصرفة باللين في مواقف اللين، وهكذا.

وكلمة الصوت مأخوذة لغة من:

صَاتَ يَصُوتُ وَيَصَاتُ صَوْتًا وَأَصَاتَ، وَصَوَّتَ بِهِ: كَلَهُ نَادَى، وَيَقَالُ صَاتَ يَصُوتُ صَوْتًا فَهُوَ صَائِتٌ، مَعْنَاهُ صَائِحٌ، وَرَجُلٌ شَدِيدٌ صَيِّتٌ أَي شَدِيدُ الصَّوْتِ⁽¹⁾.

أما اصطلاحاً فقد عرفه إبراهيم أنيس:

« الصوت ظاهرة طبيعية ندرك أثرها قبل أن ندرك كنهها، فكل صوت مسموع يستلزم جسماً يهتز، على أن تلك الهزات قد لا تدرك بالعين في بعض الحالات»⁽²⁾.

وأما ابن سينا فيقول عن الصوت: «أظن أن الصوت سببه القريب تموج الهواء دُفعةً بسرعة وبقوة من أي سبب كان»⁽³⁾.

وعرف ابن جني الصوت تعريفاً آخر: «إن الصوت عَرَضٌ يخرج مع النفس مستطيلاً متصلاً، حتى يعرض له في الحلق والقم والشفتين مقاطع تشبه عن امتداده واستطالته، فيسمى المقطع أينما عرض له حرفاً، وتختلف أجراس الحروف بحسب اختلاف مقاطعها»⁽⁴⁾.

إن الملاحظ على تعريف الصوت عند ابن جني؛ أنه يساوي بينه وبين الحرف، والحرف تنبعث منه أجراس أو موسيقى بحسب تركيبها، فلكل حرف جرس معين، ولكل جرس صوت محدد.

(1) - لسان العرب: ابن منظور، مادة(صوت)، ج 28، ص2521.

(2) - الأصوات اللغوية: إبراهيم أنيس، د ط، مكتبة نهضة مصر، ومطبعها، مصر، د ت، ص5.

(3) -رسالة أسباب حدوث الحرف: أبو علي الحسين بن عبد الله بن سينا، تح: محمد حسان الطيان ويحي مير علم، د ط، مطبوعات مجمع اللغة العربية، بدمشق، سوريا، د ت، ص56.

وينظر أيضاً: -سر الفصاحة: أبو محمد عبد الله بن محمد بن سعيد بن سنان الخفاجي، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1402هـ- 1982م، ص15، 16.

(4) -سر صناعة الإعراب: أبو الفتح عثمان بن جني، تح: حسن هندراوي، ط2، دار القلم دمشق، سوريا، 1413هـ-1993م، ج1، ص6.

" فالصوت " (1) إذن هو تتبع الصفات التي يتميز بها كل حرف، من جهرٍ وهمسٍ وشدةٍ ورخاوة... إلخ.

هذا الإعجاز الذي يعود إلى ما في الأصوات من تناسب وحسن ائتلاف، مشكلا جمالا صوتيا لآيات الذكر الحكيم.

وللكلمة دلالة صوتية تستمدتها من طبيعة بعض الأصوات مثل كلمة: " الصراخ " و " الصرخ " وما يتفرع عنها.

فالصريخ في اللغة: المغيث والمستغيث فهو من الأضداد، وفي المثل عَبْدٌ صَرِيحُهُ أُمَّةٌ أَي ناصِرُهُ أَذَلُّ مِنْهُ وَأَضْعَفُ (2).

ومثاله قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعَدَّ الْحَقُّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُمُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [إبراهيم: 22]

الشاهد قوله تعالى: ﴿ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ ﴾، وهذا خطاب من إبليس إلى البشر يوم القيامة بتركهم الحق وإتباع الباطل.

فتضمنت كلمة " مُصْرِخِكُمْ " دلالات صوتية من شأنها أن تصور الحدث وتبرز الموقف بكل جزئياته، لما اشتملت عليه من جرس عالٍ وإيقاع عنيف يبرز الفزع والهول والخوف من مشاهد النار والعذاب.

ولا يستطيع أحد أن يغيث آخر بعدما أخلى الشيطان مسؤوليته " فلا تلووموني ولوموا أنفسكم "، فدخل أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار، واستقر بكل فريق منهم قراره، وألقى باللوم على العباد الذين اتبعوه

(1)- للتوسع في موضوع "الصوت" يراجع كتاب: علم الصوتيات: عبد العزيز أحمد علام، عبد الله ربيع محمود، د ط، مكتبة الرشد، الرياض، المملكة العربية السعودية، 1430هـ-2009م.

(2)- لسان العرب: ابن منظور، مادة (صرخ)، ج 27، ص 2426.

وتركوا الحق، ﴿ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ ﴾ ما أنا بمغيثكم، ولا أنتم بمغيثي من عذاب الله، فكان جزاؤهم العذاب؛ فالشيطان وعده وعد كذب، ووعد الله تعالى حق، وشتان بين الوعدين⁽¹⁾.

فكلمة "صرخ" دلت على أن الصراخ قد بلغ ذروته، فلا الشيطان بمغيثهم ولا هم بمغيثيه، بعدما استقر كل فريق في مكانه، ف « الإصراخ: الإغاثة أشتق من الصراخ، لأن المستغيث يصرخ بأعلى صوته، فقيل: أصرحه، إذا أجاب صراخه، كما قالوا: أعتبه، إذا قبل استعتابه، وأما عطف "وما أنتم بمصرخي" فالمقصود منه استقصاء عدم غناء أحدهما عن الآخر⁽²⁾.

إن القوة التعبيرية والدلالية للفظه " بمصرخكم " و " مصرخي " لا تظهر من معناها فقط، بل من طبيعة تشكلها الصوتي الذي عكس صوراً إيقاعية متعددة، تنسجم مع معناها، فلا ينجي أحدهما الآخر من عذاب الله، ولا يغيثه مما نزل به، فلا إنقاذ ولا خلاص، ولا حتى سماع لصوت الاستغاثة، من هول ذلك المنظر، منظر العذاب والنار.

فكلمة "الصريخ" حيثما وجدت حملت هذه المعاني في الذكر الحكيم من مثل قوله تعالى: ﴿ فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفاً يَتَرَقَّبُ فَإِذَا الَّذِي اُسْتَنْصَرُهُ بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ، قَالَ لَهُ مُوسَى إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُبِينٌ ﴾ [القصص: 18].

وقوله تعالى: ﴿ وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ يَتَذَكَّرْ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرْ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ ﴾ [فاطر: 37].

وقوله تعالى: ﴿ وَإِنْ دَشَأْنُغْرِقَهُمْ فَلَا صَرَیحَ لَهُمْ وَلَا هُمْ يُنْقَدُونَ ﴾ [يس: 43].

ومادة "صرخ" بما تحمله من صفات قوة الحرف، من جهر وإطباق واستعلاء واصمات وصفير، وهي صفات إن توفرت في الحرف منحته قوة.

ويحكم للحرف بالضعف أو القوة حسب أغلبية الصفات المتوفرة فيه، فإذا كانت الصفات القوية فيه

(1) _ ينظر: -جامع البيان عن تأويل آي القرآن(تفسير الطبري): الطبري، ج13، ص628، 629.

- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: الألوسي، ج13، ص208، 209.

(2)-التحرير والتنوير: الطاهر ابن عاشور: ج13، ص220.

أكثر كان حرفاً قويا، وإذا كانت الصفات ضعيفة⁽¹⁾ أكثر كان الحرف ضعيفا. وهذا يعني أن ثمة علاقة قوية بين الأصوات والمعنى، فكل صوت يشير إلى دلالة معينة، فأشارت إلى قوة الصراخ، وقوة العذاب فلا مغيث ولا مستغيث، ولا حتى سماع لصوت الاستغاثة، ولا ينجي أحدهما الآخر من عذاب الله عز وجل.

والمثال الثاني في قوله تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبُلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾ [الإسراء: 23].

إن كلمة ﴿أَفٍ﴾ بتشكيلها الصوتي المتكون من حرفين اثنين "الألف والفاء" دلت على أفعال كثيرة ينبذها الخالق اتجاه الوالدين عند الكبر خاصة، وهي كناية عن فعل التأفف، فما بالك بأفعال أخرى كالضرب والدفع، أو إسقاط الوالدين.

وذهب ابن خالويه في حديثه من قوله تعالى: «فَلَا تَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا» ولو علم الله تعالى أوجز منها في ترك العقوق لأتى بها، ومعناها كناية عن كل قبيح⁽²⁾.

إن إيقاع كلمة "أَفٍ" وتناغم الحرفين وتناسقهما أكسبا الكلمة جرسا موسيقيا، يتسق مع سياق الآية والجو العام لها، حتى يُحْيِلُ إليك أن السياق هو الذي استدعى هذه الكلمة دون الكلمات الأخرى. إذن فهناك علاقة بين الصوت والمعنى فالحرف في اللغة العربية له إيجاء خاص؛ فهو إن لم تكن له دلالة قاطعة على المعنى، فإن له دلالة إيجائية تثير في النفس جواً يهيئ لقبول المعنى ويوجه إليه ويوحى به⁽³⁾.

لكن السياق أحياناً ما يستدعي كلمات أخرى تكون مكررة، لأجل إضفاء معنى آخر يفيد التأكيد

(1)-الصفات التي تجعل الحرف ضعيفاً: الرخاوة، الهمس، الاستفلال، الإذلاق، اللين، للمزيد حول هذه الصفات الضعيفة والقوية، ينظر: البرهان في تجويد القرآن: محمد الصادق قمحاوي، د ط، المكتبة الثقافية، بيروت، لبنان، د ت، ص 15-18.

- أسرار الحروف: أحمد زرقعة: ط 1، دار الحصاد للنشر والتوزيع، دمشق، سوريا 1993 م، ص 90-95.

(2)-الحجة في القراءات السبع: ابن خالويه، تح: عبد العال سالم مكرم، ط 3، دار الشروق، القاهرة، مصر، 1399 هـ -1979 م، ص 215.

(3)-فقه اللغة: دراسة تحليلية مقارنة للكلمة العربية: محمد المبارك، د ط، مطبعة جامعة دمشق، سوريا، 1379 هـ -1960 م، ص 149-151.

على شيء ما والاهتمام به، في مثل قوله تعالى: ﴿إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسْئَعُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبَرَّوْا مَا عَلَلُوا تَبَرُّاً﴾ [الإسراء: 07].

الشاهد في قوله تعالى: ﴿إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ﴾.

هذه الآية خطاب من الله تعالى لعباده، تؤكد على رحمته الواسعة الغالبة على سُخْطِهِ وغضبه، بدليل أنه أعاد الإحسان مرتين " إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ "، ولما ذكر الإساءة ذكرها مرة واحدة " وَإِنْ أَسَأْتُمْ " فرحمته أوسع وأكبر من عذابه⁽¹⁾ ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الأعراف: 156].

إنّ النغم الموجود في هذه الآية الكريمة مصدره تكرار بعض الحروف، مثل "السين" و"الميم"، وقبله تكررت كلمة "أحسنتم"، الأولى فعل للشرط والثانية جوابه.

وتكرار حرف "ا لسين" المهموس الرخو⁽²⁾، ثلاث مرات، مرتين في كلمة "أحسنتم" وثالثة في كلمة "أنفسكم"، لتناسب هذا الحديث المهموس إلى النَّفْسِ، لدعواتها إلى الخير، ففعل الخير يعود للإنسان وحده، كما يعود فعل الشرّ له.

وما يلاحظ هو وجود عدد كبير من حروف "الهمس"، وما لها من جريان النَّفْسِ عند النطق بالحرف لضعف الاعتماد على المخرج.

وتكررت "الحاء" مرتين في كلمة "أحسنتم" المكررة، و"السين" ثلاث مرات، و"التاء" مرتين في كلمة "أحسنتم" المكررة، و"الفاء" مرة واحدة في كلمة "أنفسكم"، و"الكاف" أيضا مرة واحدة في نفس الكلمة، بمعنى تسع أصواتٍ مهموسة، في ثلاث كلمات، كل ذلك من أجل دفع النفس إلى عمل الخير، الذي يعود إليها، فجاء اختيار هذه الكلمات، وترتيبها ضمن الآية في موضوع يتناسب مع التعبير عن المعنى الدقيق، والتكرار الموجود فيها جعلها تنفرد بمستوى رفيع من النظم، أعجز أهل اللغة والبيان، بفضل السياق الذي يراعي المعنى في تناسق عجيب بين اللفظ والتركيب والمعنى.

(1) _ التحرير والتنوير: الطاهر ابن عاشور، ج 15، ص 33، 34.

(2) - ينظر مخرج وصفات هذا الحرف: الأصوات اللغوية: إبراهيم أنيس، ص 67.

إن نظم القرآن ينبعث من الحروف والكلمات والتراكيب، فحروفه متأخية في كلمات ذات إيقاع فريد، فالكلمة تحمل في طياتها دلالات صوتية، تصور الحدث تصويرًا دقيقًا، بما يتلاءم مع المعنى المراد في السياق، فيتنوع ويتغير المعنى بالرغم من وجود الكلمة ذاتها.

وكمثال عن الكلمات التي تحمل معاني مختلفة كلما تغير السياق الواردة فيه، نجد كلمة "خر" (1) في قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ، قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرَ إِلَيْكَ ۗ قَالَ لَنْ نَرِنِّي وَلَٰكِن نَّنظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ، فَسَوْفَ تَرِنِّي تَجَلَّىٰ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحٰنَكَ بُنْتِ الْإِيكِ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأعراف: 143].

ووردت أيضا في قوله تعالى: ﴿قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَاذَّكَ اللَّهُ بُنْتِنَهُم مِّنَ الْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ مِّنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [النحل: 26].

لقد صوّرت كلمة "خر" مشهدًا صوتيًا قويًا شديد الوقع على النفس البشرية، هذه النفس الضعيفة التي تهتز أمام قدرة الله تعالى، فهذا سيدنا موسى "يُصعق" (2) فيقع مغشيا عليه من هول ما شاهد من بعد ما طلب رؤية الله، فطلب منه النظر إلى الجبل الذي صار ترابًا عندما رأى الله تعالى، ذك على آخره، وأصبح ترابًا، ورأى موسى ما يصنع الجبل فخرَّ صعقًا من هول ما رأى (3).

وأما في الآية الثانية: فقد مثلت الكلمة هول الموقف وشدته من ضرب البنيان من الأسفل فخرَّ عليهم السقف من فوقهم، يقول في ذلك الطاهر ابن عاشور: «وهي تشبيه هيئة القوم الذين مكروا في المنعة فأخذهم الله بسرعةٍ وأزال تلك العزة؛ بهيئة قوم أقاموا بنيانًا عظيمًا ذا دعائم وآوا إليه فاستأصله الله من

(1) - "خر" بمعنى سقط سقوط يُسمع معه خرير، والخرير يقال لصوت الماء والريح وغير ذلك مما يسقط من علو، ينظر: المفردات في غريب القرآن: الراغب الأصفهاني، ج 1، ص 191، 192.

(2) - صعق الإنسان صعقًا فهو صعيق: عُثِّي عليه وذهب عقله من صوت يسمعه كالحدة الشديدة، ينظر: لسان العرب: ابن منظور، مادة (صعق)، ج 27، ص 245.

(3) - ينظر: -جامع البيان عن تأويل آي القرآن (تفسير الطبري): الطبري، ج 10، ص 418-427.

-الكشاف: الزمخشري، ج 2، ص 501-505.

قواعد فخر سقف البناء دفعة على أصحابه فهلكوا جميعاً»⁽¹⁾.

ولذكر لفظ "فوقهم" فائدة كبيرة لا توجد إذا قمنا بإسقاطها من الكلام ويظهر هذا عند تلاوة الآية، حتى يُحْيَل لك أن السقف سيسقط على أولئك المنافقين من فوقهم، وحصل في نفسك الرعب ما لا يحصل لو أسقطنا تلك اللفظة⁽²⁾.

ووجه الدلالة أن لفظ "خر" يأتي بمعنى السقوط من مكان عالٍ، بالإضافة إلى الصوت المصاحب لهذا السقوط، فالكلمة مرتبطة بالمعنى والصوت في آن واحد، ولا توجد كلمة يمكن أن تعوضها بكل حال من الأحوال، فالتشكيل الصوتي لهذه الكلمة "خر" جاء مساعداً ومناسباً للمعنى ولسياق الآية الكريمة.

إن وقع القرآن على الآذان لا يجري على نمط واحد، بل يتنوع بتنوع الموضوع والخطاب، مثل كلمة "وسوس" التي وردت في القرآن الكريم أربع مرات:

1- قوله تعالى: ﴿فَوَسَّوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْءَ تَيْهَمَا وَقَالَ مَا نَهَنَكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا مَلَائِكَةً أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ﴾ [الأعراف: 20].

2- قوله تعالى: ﴿فَوَسَّوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَا يَبْلَى﴾ [طه: 120].

3- قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعَلْنَاهُ فِئَةً مُنْقَرَةً وَرَفَعْنَا فِيهِ نُصُوبَهُ وَحَنَّا قُرْبَ إِلَيْهِ مِنْ جَبَلِ الْوَرِيدِ﴾ [ق: 16].

4- قوله تعالى: ﴿مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ﴾ [الناس: 5-4].

ونكتفي بتحليل هذه الكلمة في سورة الأعراف لأن معناها واحد، وإن اختلفت السور: « فالوسوسة حديث النفس والصوت الخفي، وبه سمي صوت الحلي وسواساً، ورجل مُوسوس بكسر الواو، ولا يفتح فإنه

(1) -التحرير والتنوير: الطاهر ابن عاشور، ج 14، ص 135.

(2) -المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر: ابن الأثير، ج 2، ص 131.

لحن، وإنما قيل له موسوس لأن نفسه توسوس إليه قال تعالى: ﴿وَنَعَلْمُ مَا تُوسُّوسُ بِهِ نَفْسُهُ﴾ [ق: 16]»⁽¹⁾.
 فيشير لفظ "وسوس" من خلال تكرار "الواو" و"السين" إلى أن الشيطان خدع آدم وحواء وغرهما،
 بأن سمى لهما تلك الشجرة بشجرة الخلد، والإنسان بطبعه ضعيف النفس، أما الشيطان فواسع الحيلة والمكر
 بوسوسته، التي لها تأثير على نفسية الإنسان⁽²⁾، لقوله تعالى: ﴿قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنِ
 أَخَّرْتَنِي إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: 62].

إن صوت الواو مجهور تظهر فيه الرنة الصوتية نتيجة تذبذب الوترين الصوتيين، أما السين فهو صوت
 مهموس تختفي فيه تلك الرنة⁽³⁾.

ف "الواو" فيه خفاء ورقة ولين، مع قرب مخرجه كونه شفويًا، فناسبه معنى الوسوسة المختفية، و"
 السين" تحمل دلالات الهمس، والرخاوة والصغير مع قرب المخرج، فهي تلي الواو مخرجًا، لكونها ما بين
 الثنايا وطرف اللسان، فالهمس هو جري النفس في الحرف بلا انقباس، فيخرج الحرف سهلا لا جهر فيه
 ليناسب الوسوسة الخفية، كما ناسبها كذلك لكونه حرفا رخوًا ليس بالشديد، وناسب صغير الحرف
 الوسوسة، لأن تكرار "الواو" و"السين" يصاحبه صغير في النطق.

وإن أي كلمة أخرى لا تسد مسدّها في دلالتها على ذلك المعنى مثل: "تتكلم"، "تحدث"،
 "تسر"، "تخفي"....

إن هذا التنوع الصوتي يتناسب مع طبيعة الشيطان، فهو في وسوسته يظهر حينًا ويختفي حينًا آخر،
 بصوت خفي لا يسمع ولا يدرك، يتسلسل إلى النفس تسلسلاً، لا يشعر به المرء، ولا يفرق بين تلك
 الوسوسة ونفسه.

ولعل قيمة الكلمة الصوتية تكمن في إشارتها إلى المعنى النفسي، عن طريق تكرار هذين الحرفين، ولو
 أعدنا النظر في تسلسل هذه الأصوات "وس وس" لتجلى لنا إعجازاً صوتياً فيها، فقد جاءت موزعة على

(1) - الضوء المنير على التفسير: على الحمد المحمد الصالحى، جمعه من كتب ابن قيم الجوزية، دط، مؤسسة النور للطباعة والتجليد، الرياض،
 المملكة العربية السعودية، دت، مج3، ص129.

(2) - جامع البيان عن تأويل آي القرآن (تفسير الطبري): الطبري، ج 10، ص106، 107.

(3) - الأصوات اللغوية: إبراهيم أنيس، ص22.

أربعة صفات صوتية من: لين وهمس وصغير ورخاوة، ما يجعلها الكلمة المناسبة في السياق المناسب؛ فكل حرف في مكانه المناسب ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ [محمد: 24].

للأصوات القرآنية إيقاع داخلي يشير إلى القوة التعبيرية لبنية النص، إذ ينقل لنا جرس صوت معين للفظة ما؛ وداخل سياق النص دلالة لا تدرك إلا لمن أوتي حسًا مرهفًا، كما سجلت كلمات القرآن الكريم قمة التناسب والانسجام بين أصواتها والمعاني المرادة لها، فالصوت يوظف لخدمة المعنى في السياق المناسب.

ثانياً- الفاصلة القرآنية:

لم تأت الفاصلة القرآنية لمجرد التكرار كما في سورة الرحمان "فَبِأَيِّ رِبْكَمَا تُكذِّبان"، أو سورة مريم التي بُيِّتَ على حروف معينة مثل: "الدال"، "الزاي"، "الألف" أو لتلوين الأسلوب والتنوع فيه، بل لتتناسب مع الغرض المقصود من الآية ومن ثمَّ السورة.

فالفاصلة مأخوذة من مادة (فصل)⁽¹⁾ و«الفاء والصاد واللام كلمة صحيحة تدلُّ على تمييز الشيء من الشيء وإبانته عنه، يقال: فَصَلْتُ الشيءَ فَصْلًا»⁽²⁾.

وقيل هي البؤن ما بين الشيئين ومنه المُفَصِّل: وهو كُلُّ مُلْتَقَى عَظْمَيْنِ مِنَ الْجَسَدِ، ومثله: الفصل: القضاء بين الحق والباطل، وبه فُسِّرَ قوله تعالى ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ فَصْلٍ﴾ [الطارق: 13]، أي حق، ومنها التفصيل والتبيين، وقيل: فاصل قاطع، والفاصلة الحُرْزَةُ التي تَفْصِلُ بَيْنَ الْحُرْزَتَيْنِ فِي النِّظَامِ⁽³⁾.

أما اصطلاحاً فاستخدمت كلمة "الفاصلة" بمعاني مختلفة، ومن ذلك:

1- عند النحويين: الفصل بمنزلة العماد كقوله تعالى: ﴿إِنْ كَانَتْ هَٰذَا هُوَ الْحَقُّ﴾ [الأنفال: 32]؛ أي هو: فصل أو عماد.

(1)-وردت مادة(فصل) ومشتقاتها في سور عديدة يراجع: معجم ألفاظ القرآن الكريم: مجمع اللغة العربية، ج2(من الهاء إلى الياء)، ص855، 856.

- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم: محمد فؤاد عبد الباقي، دط، دار الكتب المصرية، القاهرة، مصر، 1364هـ، ص520، 521.

(2)-مقاييس اللغة: ابن فارس، مادة(فصل)، ج4، ص505.

(3)-لسان العرب: ابن منظور، مادة(فصل)، ج38، ص3422.

2- في العروض: الفاصلة فاصلتان⁽¹⁾: الصغيرة ثلاثة أحرف متحركة؛ بعدها حرف ساكن(0///) نحو "عَلِمًا"، والكبيرة أربعة أحرف متحركة بعدها حرف ساكن(0////) نحو "عَلِمَتًا".

3- في علامات الترقيم: تسمى الفصلة أو الشّولة (،) وتكون بين الجمل والتراكيب الطويلة في الجملة⁽²⁾، ولها مواضع مخصوصة⁽³⁾.

4- في علوم القرآن: وُضِعَتْ لها تعريفات عديدة منها:

أ- الفواصل حروف متشاكلة في المقاطع توجب حسن إفهام المعاني⁽⁴⁾.

ب- هي الكلمة التي تكون آخر الآية كقافية الشعر وقريئة السجع⁽⁵⁾.

ج- عرفها الإمام الداني بقوله: «هي كلمة آخر الجملة»⁽⁶⁾.

فالفاصلة هي آخر كلمة في الآية أو آخر كلمة في الجملة، والتي توافق ما سبقها في المعنى، وقديماً أطلقت على نهايات الآيات القرآنية "رؤوس الآيات" تمييزاً لها عن مصطلحات الشعر والنثر، ففي الشعر نقول: صدر البيت وعجزه، وفي النثر نقول: بداية الجملة ونهايتها.

ويقودنا هذا الكلام إلى الحديث عن الخلط الذي وقع بين الفاصلة والسجع، لأن هناك من قال: فاصلة الآية كقريئة السجعة في النثر، وقافية البيت في الشعر⁽⁷⁾، وإنما سميت الفاصلة لأن آخر الآية فصل بينها وبين ما بعدها، ولا يجوز فصل رؤوس الآيات قوافي إجمالاً⁽⁸⁾.

(1)-الكافي في العروض والقوافي: الخطيب التبريزي، تح: الحساني حسن عبد الله، ط3، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، 1415هـ-1994م، ص18.

(2)-علامات الترقيم في اللغة العربية: فخر الدين قباوة، ط1، دار الملتقى للطباعة والنشر والتوزيع، حلب، سوريا، 1428هـ-2007م، ص56.

(3)-كيف تكتب بحثاً أو رسالة: أحمد شلي، ط6، مكتبة النهضة المصرية، مصر، 1968 م، ص173.

(4)-النكت في إعجاز القرآن ضمن كتاب ثلاث رسائل في إعجاز القرآن: الروماني، ص97.

(5)-البرهان في علوم القرآن: الزركشي، ج1، ص53.

(6)-المصدر نفسه: ص ن.

(7)-الإتقان في علوم القرآن: السيوطي، ج 5، ص1785.

(8)- المصدر نفسه، ج5، ص1887.

فنجم عن ذلك خلاف بين العلماء من حيث جواز إطلاق السجع على ما في القرآن من فواصل، فهناك النافون وهناك المثبتون، بحجة سمو لغة القرآن على لغة البشر.

وللوقوف على أهم الفروق بين السجع والفاصلة، تراجع الكتب المدونة في الهامش⁽¹⁾.

يقول في ذلك الروماني: «الفواصل حروف متشاكله في المقاطع توجب حسن إفهام المعاني، والفواصل بلاغة، والأسجاع عيب، وذلك أن الفواصل تابعة للمعاني، وأما الأسجاع فالمعاني تابعة لها»⁽²⁾.

إذن فللفاصلة أثر كبير في الكلام من حيث: الاستراحة في الخطاب لتحسين الكلام بها، وهي الطريقة التي يباين القرآن بها سائر الكلام⁽³⁾.

كما أن الفواصل تابعة للمعاني ومناسبة للسياق الذي جاءت فيه، لأن هناك معاني كثيرة للفظ الواحد، وبالفاصلة أيضا يوظف اللفظ الذي يحدد هذا المعنى دون غيره.

كما أن لها مزية أخرى، وخصيصة دلالية في ارتباطها بما قبلها وبما بعدها، وبالمقطع الذي جاءت فيه، لترضي العقل، وتشبع الذوق السليم والوجدان المرهف، حيث يؤدي كل عنصر دوره في السياق، يقول تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافًا كَثِيرًا﴾ [النساء: 82].

ويقول ابن عاشور موضِّحًا العلاقة بين الفاصلة والإعجاز: «واعلم أن هذه الفواصل من جملة

(1)- ينظر: -فواصل الآيات القرآنية: كمال الدين عبد الغني المرسى، ط1، المكتب الجامعي الحديث الإسكندرية، مصر، 1420هـ-1999م، ص: 15-19.

- إعجاز القرآن: الباقلاني، (ضمن فصل نفي السجع من القرآن)، ص86-100.

- سر الفصاحة: ابن سنان الخفاجي، ص171، 172.

-دراسة بلاغية في السجع والفاصلة القرآنية: عبد الجواد محمد طبق، ط1، دار الأرقم، للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، 1413هـ-1993م، ص94-106.

-المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر: ابن الأثير، ج1، ص193-246.

-الصناعتين: الكتابة والشعر: أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري، تح: على محمد البجاوي، محمد أبو الفصل إبراهيم، ط1، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، مصر، 1371هـ-1952م، ضمن "باب السجع والازدواج" ص260-265.

- بديع القرآن: ابن أبي الإصبع المصري: تح: حفي محمد شرف، د ط، نضنة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، د ت، ص89.

- الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأرزق، دراسة قرآنية لغوية بيانية: عائشة عبد الرحمان، ص253-267.

(2) - النكت في إعجاز القرآن: ضمن كتاب ثلاث رسائل في إعجاز القرآن: الروماني، ص97.

(3)- البرهان في علوم القرآن: الزركشي، ج 1، ص54.

المقصود من الإعجاز لأنها ترجع إلى محسنات الكلام، وهي من جانب فصاحة الكلام فمن الغرض البلاغي الوقوف عند الفواصل لتقع في الأسماع فتتأثر نفوس السامعين بمحاسن ذلك التماثل، كما تتأثر بالقوافي في الشعر وبالأسجاع في الكلام المسجوع⁽¹⁾ فالفاصلة بلاغة وبيان وإعجاز في النظم لا نظير له.

وقسمت الفواصل تقسيمات عديدة لاعتبارات مختلفة:

1- تقسيم علماء البديع للسجع ومثله الفواصل إلى: مُطْرَفٍ، متوازي، متوازن، مُرْصَعٍ، ومتماثل⁽²⁾.

أ- المُطْرَفُ: أن تختلف الفاصلتان في الوزن، وتتفقان في حروف السجع: ﴿مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا﴾ [نوح: 13-14].

ب- المتوازي: الاتفاق وزناً وتقفيةً، ولم يكن ما في الأول مقابلاً لما في الثانية في الوزن والقافية نحو: ﴿فِيهَا سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ﴾ [الغاشية: 13-14].

ج- المتوازن: الاتفاق في الوزن دون القافية نحو: ﴿وَنَارُ مَصْفُوفَةٌ وَزَرَائِبُ مَبْثُوثَةٌ﴾ [الغاشية: 15-16].

د- المُرْصَعُ: الاتفاق في الوزن والقافية: ﴿إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ﴾ [الغاشية: 25-26].

هـ- المُتَّمَاثِلُ: التساوي في الوزن دون القافية، وتكون أفراد الأولى مقابلةً لما في الثانية: ﴿وَأَيْنَهُمَا الْكِتَابَ الْمُسْتَتِينَ وَهَدَيْنَهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ [الصفوات: 117-118].

"الكتاب" و"الصراط" متوازنان، وكذا "المستبين" و"المستقيم" واختلفا في الحرف الأخير.

2- تقسم الفاصلة باعتبار الحروف⁽³⁾:

أ- الفواصل المتقاربة في الحروف: ﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ [الفاتحة: 3-4]، للتقارب بين

(1)-التحرير والتنوير: الطاهر ابن عاشور(المقدمة الثامنة) ج 1، ص76، 77.

(2)-الإتقان في علوم القرآن: السيوطي، ج5، ص1819، 1820.

- البرهان في علوم القرآن: الزركشي، ج 1، ص75، 76.

(3)-مباحث في علوم القرآن: مناع القطان، ص146، 147.

"الميم" و"النون" في المقطع.

ب- الفواصل المتماثلة في الحروف: ﴿فَلَا أُقِيمُ بِالْحُنَيْسِ﴾ (١٥) ﴿لَجُورِ الْكُنَيْسِ﴾ (١٦) ﴿وَالْيَلِ إِذَا عَسَّسَ﴾ (١٧) ﴿وَالصُّبْحِ إِذَا نَفَسَ﴾ (١٨) [التكوير: 15-18].

وهناك تقسيم آخر للفاصلة على النحو الآتي:

أ- وفق العلاقة بينها وبين سائر الكلام: التصدير، التوشيح، الإيغال، التتميم، التكميل، التسهيل، التمكين، ظهور العلاقة، مقدار الفاصلة من الآية، علاقتها بالمقطع، علاقتها بالسورة.

ب- وفق بنيتها: الروي، الكلمة الأخيرة.

ج- طول الفاصلة.

د- علاقة الفواصل بعضها ببعض: - المخالفة بينهما - المخالفة مع وحدة المتحدث عنه - الاتفاق مع اختلاف المتحدث عنه.

هـ- التغيير⁽¹⁾.

فكل آية تنادي فاصلتها، لتؤثر في نفوس السامعين وتزيد الكلام رونقاً، وتظهر ما فيه من فصاحة؛ هذه الفصاحة التي جعلت كلام القرآن خارجاً عن نطاق بلغاء وأساطين البيان من العرب، ولأجل إيضاح ذلك اتبعت التقسيم الآتي:

1- مشكلات الفواصل.

2- اتفاق الفواصل واختلاف الموضوع.

3- اتحاد الموضوع واختلاف الفاصلة.

4- حرف الروي.

5- الظواهر البلاغية الأسلوبية في الفواصل القرآنية.

(1)- إعجاز القرآن: الفواصل: حسين نصار، ص 1، مكتبة مصر، مصر، 1999م، ص 113-189.

1-مشكلات الفواصل:

لا يمكن إغفال دور الفاصلة في الآية لانسيابها مع نظم السورة وسياقها، وقد أطلق السيوطي على هذا النوع من الفواصل " مشكلات الفواصل " ⁽¹⁾، والمقصود منه أن تكون فاصلة الآية موافقة للمعنى الذي يسبق إلا أن العكس هو الذي يحدث، فيظن القارئ أن لا علاقة تجمع بين المعنى والفاصلة.

مثاله قوله تعالى: ﴿إِنْ تُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ عَبْدُكَ وَإِنْ تُغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [المائدة: 118]، فإن قوله: ﴿وَإِنْ تُغْفِرْ لَهُمْ﴾ يقتضي أن تكون الفاصلة " الغفور الرحيم "، يعلل ابن عاشور هذا الاختلاف في الفاصلة بقوله: « ذكر العزيز كناية عن كونه يغفر عن مقدرة، وذكر الحكيم لمناسبته للتفويض، أي المحكم للأمور العالم بما يليق بهم» ⁽²⁾.

فذكر " العزيز " لأنه الغالب في أمره إن شاء عذبهم وإن شاء غفر لهم، وذكر " الحكيم " لأنه - عز وجل - يضع الشيء في محله.

وقد نقل الزركشي قولاً للزمخشري في كشفه القديم: « لا تحسن المحافظة على الفواصل مجرداً إلا مع بقاء المعاني على سدادها؛ على النهج الذي يقتضيه حسن النظر والتثامه، كما لا يحسن تخير الألفاظ الموثقة في السمع، السلسلة على اللسان، إلا مع مجيئها منقاداً للمعاني الصحيحة المنتظمة، فأما أن تُحمّل المعاني، ويُهتَمُّ بتحسين اللفظ وحده، غير منظور إلى مؤاده على بال، فليس من البلاغة في فتيل أو نقيير» ⁽³⁾.

إذن فالقرآن يختار الفاصلة بدقة عجيبة تدل على إعجاز بياني؛ فهي من جهة الدلالة تتوافق مع مضمون الآية، ومن جهة الصوت تتوافق مع الإيقاع العام للسورة.

ومثال ذلك في قوله تعالى: ﴿قُلْ لِعِبَادِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعَ فِيهِ وَلَا خِلَالَ﴾ [إبراهيم: 31].

فللسائل أن يسأل: كيف طابق الأمر بالإنفاق ووصف اليوم بأنه " لا بيع فيه ولا خلال "؟.

(1)-الإتقان في علوم القرآن: السيوطي، ج5، ص1814.

(2) -التحرير والتنوير: الطاهر ابن عاشور، ج 7، ص117.

(3)-البرهان في علوم القرآن: الزركشي، ج1، ص72.

يخاطب الله تعالى في هذه الآية الكريمة عباده ويأمرهم بإقامة الصلاة وعبادته في السر والعلن، والإنفاق في سبيل الله المتمثل في الزكاة وإعطائها لمستحقها من الفقراء والمساكين لقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَمِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمَوْلَاةِ فَلُوهُمَّ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَرَمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأَبْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: 60]، والحث على ذلك الإنفاق قبل أن يأتي يوم القيامة الذي لا ينفع فيه بيع وشراء، ولا شفيع وصديق، يقول الرازي: «كأنه تعالى يقول: أنفقوا أموالكم في الدنيا؛ حتى تجلدوا ثواب ذلك الإنفاق في مثل هذا اليوم الذي لا تحصل فيه مبيعة ولا محالة»⁽¹⁾.

فناسبت الفاصلة: ﴿مَنْ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خِلَالٌ﴾ المعنى العام لهذه الآية، فالمعاملات بين الناس في الدنيا تكون بالتبادل والتهادي، أما في الآخرة فالإنفاق لوجه الله تعالى هو ما ينفع صاحبه.

وفي هذا يقول الزمخشري: «من قبل أن الناس يخرجون أموالهم في عقود المعاوضات، فيعطون بدلاً ليأخذوا منه، وفي المكارمات ومهاداة الأصدقاء ليستحروا بمداياهم أمثالها أو خيراً منها، وأما الإنفاق لوجه الله خالصاً فلا يفعله إلا المؤمنون الخالص، فبعثوا عليه ليأخذوا بدله في يوم لا بيع فيه ولا خلال، أي لا انتفاع فيه بمبيعة ولا بمحالة... وإنما ينتفع فيه بالإنفاق في وجه الله»⁽²⁾.

إن للفاصلة وظيفة دلالية من حيث تقوية المعنى وتحسينه وإثراء النص القرآني بدلالات أخرى، تنبعث من الكلمات ومن إيجاءاتها.

وفي قوله تعالى: ﴿وَإِنْ تَعَدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [النحل: 18].

فلماذا ذكر الله تعالى هذه النعم وبعدها ختم بقوله: ﴿لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ فهل ناسب الفاصلة معنى الآية؟.

يشير معنى الآية إلى أن الله تعالى أنعم على عباده نعماً كثيرة وقد ذكرها في السورة (من الآية 04 إلى الآية 17)، من إنزال الأمطار، وإنبات الزرع والشجر، وتسخير الليل والنهار والكواكب، وركوب البحر

(*) - محالة: المصادقة.

(1) _ التفسير الكبير ومفاتيح الغيب: فخر الدين الرازي، ج19، ص127.

(2) - الكشاف: الزمخشري، ج3، ص381.

واستغلال ما في باطنه من أسماك ومن لآلئ وجواهر، والاستعانة بالقمر والنجوم للاهتداء بها في السفر والحل والترحال ومعرفة الأشهر... وغيرها من النعم.

ولكن قد يغفل البشر أحياناً عن ذكر هذه النعم، لذلك ختم الآية بقوله: ﴿لَغُفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ حتى يعطيهم الوقت الكافي ويؤخر عنهم العذاب، حتى يعودوا إلى شكره تعالى، الذي لم يقطع عنهم هذه النعم رغم عصيانهم، فرحمته واسعة وغفرانه كبير⁽¹⁾ ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾ [غافر: 07].

وعلى الطاهر ابن عاشور خاتمة هذه الفاصلة بقوله: « " لغفور رحيم " إشارة إلى أن تلك النعم كانت سبباً لظلم الإنسان وكفره، وهي سبب لغفران الله ورحمته، والأمر في ذلك منوط بعمل الإنسان»⁽²⁾. إن المناسبة ظاهرة من خلال معنى الآية وفاصلتها؛ حيث إن هذه النعم التي من الله بها على الإنسان، لا يمكن له عدّها وإن جحدّها، ورغم هذا سيجدّه غفوراً رحيمًا قابلاً لتوبته، وهذه هي الدلالة المستفادة من فاصلة ﴿لَغُفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ فقد وردت متلائمة مع المعنى المراد من سياق الآية.

2- اتفاق الفواصل مع اختلاف الموضوع:

أي أن الفاصلة واحدة والموضوع مختلف، وفي هذا تأكيداً على أن السياق هو الذي يستدعي تلك الفاصلة دون غيرها.

فالفاصلة القرآنية لها مكانها في السياق الذي ترد فيه، وترتبط به ارتباطاً قوياً بحيث لو طُرحت لاختلّ المعنى واضطرب الفهم⁽³⁾.

ومثال ذلك فاصلة: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾، حيث جاءت في موضعين في سورة واحدة:

- في قوله تعالى: ﴿يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ

فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: 11].

(1) - جامع البيان عن تأويل آي القرآن (تفسير الطبري): الطبري، ج 14، ص 195.

(2) - التحرير والتنوير: الطاهر ابن عاشور، ج 14، ص 124.

(3) - التعبير الفني في القرآن الكريم: بكرى شيخ أمين، ط 1، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، تموز/يوليو 1994م، ص 210.

-وقوله أيضاً: ﴿ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: 69].

ذكر الله في الآية الأولى أنه منزل الماء من السماء، لينبت به الزرع والزيتون والنخيل وجميع الثمرات، وهذه دلالة على قدرته تعالى في إنزال الماء، وإخراج الثمرات والخيرات لقوم يتفكرون ويتدبرون في خلقه. فعملية الإنبات وإخراج الثمار ناسبها التفكير في خلق الله للدلالة على ربوبيته ومعجزته في الخلق⁽¹⁾.

وختِمت الآية الثانية بهذه الفاصلة ﴿لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾، لأن من تفكر في اختصاص النحل بتلك الأفعال العجيبة من الذهاب والأكل من مختلف الثمار والأزهار، وخروج هذا العسل المختلف الألوان من البطنون ذا لون أبيض وأحمر؛ فيه شفاء من كل داء.

هذه الأفعال تجزم أن لهذا النحل رباً حكيماً قادراً، ألهمها ما ألهم وأودع فيها ما أودع من خير وشفاء، فكان شأنها في ذلك عجيبة يحتاج إلى مزيد تأمل، فختتم سبحانه الآية بالتفكير، لأنه الواحد الذي ليس كمثل شئ ولا تصح الألوهية إلا له تعالى⁽²⁾.

وعلل صاحب البحر المحيط اختيار هذه الفاصلة دون غيرها: « ولما كان أمر النحل عجيبة في بنائها تلك البيوت المسدسة وفي أكلها من أنواع الأزهار والأوراق الحامض والمر والضار... وكان النظر في ذلك يحتاج إلى تأمل وزيادة تدبر، فَخْتِمَ بقوله تعالى: "إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون"⁽³⁾.

فالفاصلة واحدة رغم اختلاف الموضوع، وهذا ما يؤكد مرة أخرى على أن مهمة الفاصلة مهمة لفضية ومعنوية في آن واحد، فلا تفريط في الألفاظ على حساب المعاني، ولا تفريط في المعاني من أجل الألفاظ.

3-إتحاد الموضوع واختلاف الفواصل:

الموضوع واحد والفاصلة مختلفة، و السياق هو الذي يحدد الفاصلة الملائمة للمعنى والموضوع.

(1)-تفسير القرآن العظيم: ابن كثير، ج8، ص297، 298.

(2)-ينظر: -جامع البيان عن تأويل آي القرآن(تفسير الطبري): الطبري، ج14، ص291.

-روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: الألوسي، ج14، ص187.

(3)-البحر المحيط: أبو حيان الأندلسي ج5، ص497، 498.

ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿ أَنْظَرَكَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ ۗ وَالْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ﴾ [الإسراء: 21].

وقوله أيضاً: ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾ [الإسراء: 70].

في الآية الأولى يرزق الله المؤمنين والكافرين على السواء، ويفضل بعضهم على بعض في رزق الدنيا، أما في الآخرة فيكون التفضيل في المراتب بحسب العمل، كما أخبر عن ذلك تعالى في الفاصلة ﴿ وَالْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ﴾.

« فالمعنى كل واحد من الفريقين نمده بالعطايا العاجلة لا من ذكرنا إرادته لها فقط من الفريق الأول من عطاء ربك الواسع وما كان عطاؤه الدنيوي محظوراً من أحد ممن يريده وممن يريد غيره، انظر كيف فضلنا في ذلك العطاء بعض كل من الفريقين على بعض آخر منهما»⁽¹⁾.

وفي الآية الثانية كرم الله تعالى وفضل الإنسان على سائر المخلوقات؛ بأن سخر له البر والبحر، والطيبات من ثمار وخيرات.

يقول الأوسي في ذلك: « لا بد من فرق بين التكريم والتفضيل لئلا يلزم التكرار، والأقرب في ذلك أن يقال: إنه تعالى فضل الإنسان على سائر الحيوانات بأمر خلقية طبيعية ذاتية مثل العقل والنطق... فالأول هو التكريم، والثاني هو التفضيل فكأنه قيل فضلناهم بالتعويض لاكتساب ما فيه النجاة والزلفى بواسطة ما كرمناهم به »⁽²⁾.

ثم جاءت الفاصلة: ﴿ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾ زيادة في التأكيد على هذا التفضيل لبني آدم على كثير من الخلق، فوجب شكر الله تعالى على هذه النعم وعلى هذا التفضيل.

لقد كان لكل فاصلة قرآنية دورها في المعنى وإن « التغيرات في مبنى الفواصل من خواص القرآن الكريم، وتأتي هذه الظاهرة تنشيطاً للسامع والقارئ وللملائمة والاتساق، ومراعاة المعنى، وليس لمجرد الحلية

(1)- إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم: أبو السعود العمادي، ج 5، ص 165.

(2)- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: الألوسي، ج 15، ص 118.

اللفظية»⁽¹⁾.

و عليه فإن للفاصلة القرآنية مكانها عبر السياق الذي تستقر فيه، لترتبط به ارتباطاً قوياً، بحيث لو طُرِحَتْ أو غُيِّرَتْ لاضطرب المعنى، والمتذوق للغة يدرك مكانة الفاصلة وموقعها في الكلام.

4- حرف الروي:

وهو الحرف الأخير من الفاصلة⁽²⁾، ولا يطرد إلا في الشعر⁽³⁾، وإليه تنسب القصيدة مأخوذاً من الرواء بالكسر وهو الحبل، على أن بعضهم قد يسمي حرف الروي فاصلة⁽⁴⁾.

والحروف المستعملة في أواخر السور التسع تتنوع حسب السياق، لكن الملاحظ هو أن حرفاً "النون" و"الميم" قد استُعمِلَا بكثرة، والعملية الإحصائية الآتية تؤكد ذلك:

حروف فواصلها				عدد آياتها	السورة
اللام: 02 آية		الميم: 10 آيات	النون: 194 آية	206	الأعراف
اللام: آية واحدة (01)		الميم: 10 آيات	النون: 98 آية	109	يونس
الميم: 4 آيات	الباء: 13 آية	الراء: 11 آية	الذال: 22 آية	123	هود
الصاد: 1 آية	القاف: 1 آية	الزاي: 2 آية	الطاء: 3 آية		
			اللام: 2 آية		

(1) -جماليات الإشارة النفسية في الخطاب القرآني: صالح ملا عزيز، ص 335.

(2) -صبح الأعشى: أبو العباس أحمد القلقشندي، دط، المطبعة الأميرية القاهرة، مصر، 1331هـ - 1913م، ج 2، ص 270.

(3) -الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان: ابن قيم الجوزية، ص 345.

(4) -المصدر نفسه: ج 1، ص 196.

اللام: 1 آية	الراء: 2 آية	الميم: 15 آية	النون: 93 آية	111	يوسف
النون: 6 آية	الباء: 4 آية	الميم: 7 آيات	الراء: 11 آية	52	إبراهيم
اللام: 4 آية	الهمزة: (ء) 6 آية	الصاد: 1 آية	الزاي: 1 آية	الطاء: 1 آية	
اللام: 2 آية		الميم: 16 آية	النون: 81 آية	99	الحجر
الراء: 2 آية		الميم: 16 آية	النون: 110 آية	128	النحل
الدال: 6 آية	الباء: 2 آية	الميم: 4 آيات	اللام: 37 آية	111	الإسراء
القاف: 1 آية	الفاء: 1 آية	النون: 2 آية	الهاء: 1 آية	العين: 3 آية	
السين: 1 آية					
القاف: 6 آية	اللام: 13 آية	الدال: 22 آية	الراء: 24 آية	110	الكهف
الطاء: 2 آية	الواو: 2 آية	النون: 3 آية	الميم: 3 آية	العين: 5 آية	
الجيم: 1 آية	الطاء: 1 آية	الياء: 1 آية	الصاد: 1 آية	الزاي: 1 آية	
الفاء: 2 آية					

إذا تأملنا فواصل هذه السور وجدناها تتغير بحسب سياق كل سورة، فلكل سورة موضوع وهدف وخطاب موجه لفئة دون أخرى، فاختلقت الفواصل باختلاف المواضيع، لكن الشيء البارز هو أن هناك آيات تضمنت عددا كبيرا من الحروف وهي: " النون ": 651 آية، ثم " الراء ": 101 آية، " الميم ": 85 آية، " اللام ": 62 آية، " الدال ": 61، " الباء ": 39 آية، وهكذا.

وإن " الميم " و " الباء " حرفان شفويان، و " اللام " و " الراء " و " النون " حروف ذلقية « قُرْبُ مَخارجها تشترك في نسبة وضوحها الصوتي، وأنها من أوضح الأصوات الساكنة في السمع»⁽¹⁾. فهي حروف متقاربة المخرج، تتشابه من ناحية الصفات، ليست بالشديدة، وليست بالرخوة، بل تتوسط هاتين الصفتين.

وكمثال عن استخدام حرف الروي في سورة الكهف التي احتوت على ستة عشرة (16) حرفا، وسورة إبراهيم على عشرة أحرف (10)، وسورة الإسراء على تسعة أحرف (9)، وهذا ما يؤكد أن الفاصلة لا تلتزم حرفا واحدا، بل السياق هو من يفرض عملية الاختيار.

ومثاله في قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾ [الإسراء: 09].

وقوله تعالى: ﴿قِيمًا لِنُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا﴾ [الكهف: 02].

وُصِفَ " الأجر " في آية سورة الإسراء بأنه " كبير"، وفي آية سورة الكهف بأنه " حسن"، وسبب هذا الاختلاف صوتي، فسورة الإسراء تقوم فواصلها على المد: وكبيرا، مفعولا، نظيرا، كبيرا، أليما.

بينما فواصل آيات سورة الكهف تعتمد على قرب مخارج الحروف: " الباء"، " الميم" حروف شفوية، و " اللام" و " الراء" و " النون" حروف متقاربة المخرج، ضف إلى ذلك أنها تعتمد على الحركات القصيرة المتوالية نحو: عوجًا، أبدًا، ولدًا، أسفًا، عجبًا، جُرْزًا.

(13) - الأصوات اللغوية: إبراهيم أنيس، ص55.

وقد تخلو الآيات من فواصل متحدة، ومع ذلك يبقى إيقاع الأصوات واحداً مصاحباً وملائماً لجو الآيات، وذلك ناتج عن التلاؤم بين الحروف وبين السياق الواردة فيه، نحو قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ تَتَّبِعُوا هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ فَذُرُّوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ أَلِيمٍ﴾ [الأعراف: 73].

وقوله أيضاً: ﴿وَيَقَوْمٍ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ فَذُرُّوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ﴾ [هود: 64].

ففي سورة الأعراف ختمت الفاصلة بـ "عذاب أليم" بحرف الروي "الميم"، وفي سورة هود ختمت بـ "عذاب قريب" بحرف الروي "الباء".

والسبب في ذلك: أن سورة الأعراف تتضمن المبالغة في الوعظ والوعيد والإنذار، فناسب ذلك وصف العذاب بأنه أليم.

أما آية هود فتضمنت تحديد موعداً قريباً للعذاب في قوله تعالى: ﴿فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ذَلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ﴾ [هود: 65].

فحرف الروي ناسب الفاصلة الموجود فيها، وناسب السياق الواقع فيه « والفاصلة القرآنية عنصر أساسي من عناصر اللغة الإيقاعية، والقرآن الكريم يمتاز بحسن الإيقاع، فتأتي الفاصلة في ختام الآيات حاملة تمام المعنى، وتمام التوافق الصوتي في آن واحد»⁽¹⁾.

إن الفاصلة القرآنية وحرفها الأخير (الروي)، لا يراد بهما مراعاة الفاصلة في حد ذاتها، وإنما المراد هو المعنى، لذلك قد تأتي الفاصلة في القرآن الكريم بحرف مغاير ومتعدد في السورة الواحدة، وفي هذا دليل على الاهتمام بالمعنى، فالمعنى يراعي السياق، والسياق يراعي المعنى، ولا انفصام بينهما.

(1) - من جماليات التصوير في القرآن الكريم: محمد قطب عبد العال، د ط، طبع بمطابع رابطة العالم الإسلامي مكة المكرمة، ربيع الأول 1415هـ، العدد 147، ص52.

5- الظواهر البلاغية الأسلوبية في الفواصل القرآنية.

تتميز اللغة العربية بأساليب متعددة، ولكل من هذه الأساليب طريقة وأغراض وأدوات خاصة، كأسلوب الشرط، والتعجب، والمدح والذم وغيرها، وسأخص بالدراسة أسلوباً الاستفهام والتوكيد، لكثرة دورهما في السور المدروسة، ولصلتهما بمقتضى الحال (السياق) وحال المخاطبين والسامعين، محاولة إبراز خصائصهما الأسلوبية، ودورهما في الفواصل القرآنية من حيث القوة التعبيرية، وتميز أسلوب النص القرآني عن غيره من الأساليب.

أولاً- أسلوب الاستفهام:

وهو أحد الأساليب الإنشائية الطلبية التي تدخل في علم المعاني⁽¹⁾.

وفي اللغة هو: طلب الفهم ومعرفة الشيء المجهول، ويقال: فهمت الشيء: عقلته وعرفته وأفهمه الأمر، وفهمه إياه، جعله يفهمه، واستفهمه سأله أن يفهمه وقد استفهمني، فأفهمته وفهمته تفهيمًا.⁽²⁾

أما اصطلاحًا: هو استخبارٌ: والاستخبار هو طلب من المخاطب أن يخبر أو يفهم عن شيء لم يكن معلومًا بأداة خاصة⁽³⁾.

أو هو: طلب العلم بشيء لم يكن معلومًا من قبل بأداة مخصوصة⁽⁴⁾.

وأدوات الاستفهام كثيرة منها: هل، ما، من، أي، كم، كيف، أين، أتي، متى، أيان.

و أضاف ابن جني حرفين وهما: " أم " وله فيها موضعين:⁽⁵⁾

- الاستفهام على معنى "أي" كقولك : أزيد عندك أم عمرو؟ ومعناه: أيها عندك.

- أن تقع منقطعة على معنى "بل" كقولك : هل عندك زيد أم عمرو؟ ومعناه: بل عندك

(1) _ فصل في هذا الأسلوب كتاب كثر نذكر على سبيل المثال:

_أسلوب الاستفهام في القرآن الكريم: غرضه، إعرابه: عبد الكريم محمود يوسف، ط1، مكتبة الغزالي، دمشق، سوريا: 1421هـ-

2000م.

(2) _ لسان العرب: ابن منظور، مادة (فهم) ج 39 ، ص 348.

(3) _ دلائل الإعجاز: عبد القاهر الجرجاني، ص 140.

(4) _ مفتاح العلوم: السكاكي: ص 303.

(5) _ اللمع في العربية: ابن جني، ص 71، 72.

عمرو، تركت السؤال عن الأول وسألت عن الثاني.

والحرف الثاني: "أي حين" بمعنى "متى"⁽¹⁾.

والاستفهام في القرآن الكريم له أغراض بلاغية تُفهم وتُدرَك من خلال السياق: كالتقرير، والإنكار، الوعيد، التهديد، الإهانة، التحقير، التهكم، السخرية، الأمر، النهي، التعجب.

ويقول الجرجاني في ذلك « واعلم أنا وإن كنا نُفسِّر الاستفهام في مثل هذا بالإنكار فإن الذي هو محض المعنى: أنه ليتنبه السامع حتى يرجع إلى نفسه فيخجل ويرتدع ويعي بالجواب »⁽²⁾.

ورغم خروج الاستفهام لمعاني بلاغية أخرى: كالتعجب والإنكار أو التقرير...، فإنه يظل متضمنا معاني التنبيه وإثارة ذهن المخاطب.

ومن الأدوات التي يكثر ورودها في السور التسع المدروسة، وتؤكد دور الاستفهام في الفاصلة؛ " الهمزة " و " هل " في ما يأتي:

1- الهمزة:

يجمع المفسرون على أن الهمزة هي أم هذا الأسلوب، وقد وضعت له أصلا، يقول الأخفش في ذلك: « وإنما الاستفهام في الأصل الألف »⁽³⁾، وهي: أصل أدوات الاستفهام عند المرادي⁽⁴⁾.

وخصت بأمور لم تعرفها بقية الأدوات منها:

- تمام التصدير بتقديمها على " الفاء " و " الواو " و " ثم " في نحو: ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: 44]،

﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا﴾ [يوسف: 109]، وكان الأصل في ذلك تقديم حرف العطف على الهمزة، لأنها من الجملة المعطوفة، لكن راعوا أصالة الهمزة في استحقاق التصدير، فقدمت بخلاف "هل" وسائر أدوات

(1) _ اللمع في العربية: ابن جني 150.

وينظر: _ أسرار العربية: أبو البركات الأنباري، ص 385.

(2) _ دلائل الإعجاز: عبد القاهر الجرجاني، ص 119.

(3) _ معاني القرآن: أبو الحسن سعيد بن مسعدة الأخفش الأوسط: تح: هدى محمود قراة، ط1، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، 1411هـ-1990م، ص 08.

(4) _ الجني الداني في حروف المعاني: الحسن بن قاسم المرادي، تح: فخر الدين قباوة ومحمد ندم فاضل، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1413هـ-1992م، ص 31.

الاستفهام⁽¹⁾.

وقد ترد همزة الاستفهام لمعانٍ أُخرى، بحسب المقام من: تقرير، وإنكار، وتهديد ووعيد، وإهانة، وتحقير، وتهكم، وسخرية، وأمر، ونهي، وتعجب، وتنبيه والأصل في جميع ذلك الاستفهام⁽²⁾.

ومن الآيات التي حوت هذه الأداة قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ قَالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا﴾ [الإسراء: 61].

فكلمة "أَسْجُدُ" استفهام إنكاري غرضه التهكم وإنكار السجود لآدم عليه السلام.

وهذا حال الرسل جميعاً مع أقوامهم من الكبر والحسد على ما أوتوا من فضل الله تعالى، وهما السببان اللذان حملا إبليس على الكفر والخروج من الإيمان، وعدم طاعة الله تعالى والسجود لآدم عليه السلام عندما أمر بذلك⁽³⁾، وحجته: أنه من طين أي أسجد لمن كان في وقت خلقه طينا،⁽⁴⁾ بمعنى «أن أصلي أشرف من أصله، فوجب أن أكون أشرف منه، والأشرف لا يخدم الأدنى»⁽⁵⁾.

لقد جاء الاستفهام هنا بحرف الهمزة كما يظهر في كلمة "أَسْجُد" ففاصلة الآية: ﴿أَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا﴾ وكلمة "أَسْجُد" ناسبت المعنى، وناسبت السياق الواردة فيه، وناسبت حال إبليس وتعنته وتعجبه عندما أمر بالسجود لآدم عليه السلام.

(1) _ الجنى الداني في حروف المعاني: المرادي، ص 31.

وينظر: - مغني اللبيب عن كتب الأعراب: ابن هشام الأنصاري: ج 1، ص 83-86.

(2) _ ينظر: _ الجنى الداني في حروف المعاني: المرادي، ص 32-34.

- معاني الحروف: أبو الحسن علي بن عيسى الروماني: تح: عبد الفتاح إسماعيل شلبي، ط2، دار الشروق للنشر والتوزيع والطباعة، جدة. المملكة العربية السعودية، 1401هـ- 1981م. ص 32-34.

- رصف المباني في شرح حروف المعاني: أحمد بن عبد النور المالقي، تح: أحمد محمد الخراط، دط، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، سوريا، دت، ص 44-53.

- حروف المعاني: أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجي: تح: علي توفيق الحمد، ط2، دار الأمل، إربد، الأردن، 1406هـ- 1986م. ص 19.

(3) _ التحرير والتنوير: الطاهر ابن عاشور، ج 15، ص 149.

(4) _ الكشاف: الزمخشري، ج 3، ص 529.

(5) _ اللباب في علوم الكتاب: أبو حفص عمر بن علي ابن عادل الدمشقي الحنبلي، تح: عادل أحمد عبد الموجود، علي محمد عوض، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1419هـ- 1998م، ج 12، ص 324.

ومثاله أيضاً قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [الأعراف: 28].

الفاصلة في قوله: ﴿ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ فالهمزة للاستفهام التوبيخي في قوله : ﴿ أَتَقُولُونَ ﴾.

يدّعي الكفار في هذه الآية الكريمة بعد فعلهم «الفاحشة»⁽¹⁾، أن آبائهم يفعلون ذلك، وهم يقتدون بهم، والله أمرهم بما كانوا يقولون، ولو كره الله منهم ما يفعلوه لنقلوا عنه ذلك، لأن آبائهم كانوا يأتون تلك الفواحش⁽²⁾.

فرد الله عليهم بقوله: ﴿ قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ ﴾، فوبخهم على كذبهم ووقفهم على قولهم ما لا علم لهم به، ولا رواية لهم فيه⁽³⁾، لأن «فعل القبيح مستحيل عليه لعدم الداعي، ووجود الصارف فكيف يأمر بفعله»⁽⁴⁾.

وختمت هذه الآية بفاصلة: ﴿ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ فاصلةً تضمنت الهمزة؛ والهمزة لإنكار الواقع واستقباحه، وللإشارة إلى أن قولهم بُني على الجهل والضلال، و«توجيه الإنكار إلى قولهم عليه تعالى ما لا يعملون صدور منه عز شأنه، مع أن منهم من يقول عليه سبحانه ما يعلم عدم صدور مبالغة في إنكار تلك الصورة»⁽⁵⁾.

ف ﴿ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ استفهام غرضه التوبيخ وتقبيح قول الكفار، فالهمزة تضمنت

(1) _ الفاحشة: «وإن كان اللفظ عامًا في هذه الآية هي كشف العورة عند الطواف» المحرر الوجيز: ابن عطية الأندلسي: ج2، ص 391. أو هي: «اسم لكل فعل قبيح بلغ النهاية في القبح»: تفسير البغوي: معالم التنزيل: أبو الحسين بن مسعود البغوي، تح: محمد عبد الله النمر، وعثمان جمعة ضميمية، ط1، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض، المملكة العربية السعودية، 1409هـ - 1989م، مج3، ج8، ص 223.

(2) _ ينظر: _ الكشاف: الزمخشري ج2، ص 437.

- البحر المحيط: أبو حيان الأندلسي، ج4، ص 286.

- التحرير والتنوير: الطاهر ابن عاشور، ج8، ص 84.

(3) _ المحرر الوجيز: ابن عطية الأندلسي، ج2، ص 391.

(4) _ الكشاف: الزمخشري، ج2، ص 437.

(5) _ روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: الأوسى، ج8، ص 106.

معنى الاستفهام ومعنى التوبيخ في آن واحد، فأضافت للمعنى بعداً آخر في كيفية تعنت الكفار وكذبهم على الله.

ومثاله أيضاً قوله تعالى: ﴿مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمَى وَالْأَصْمَى وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ ۗ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا أَفَلَا نَذَكَّرُونَ﴾ [هود: 24].^ع

يضرب الله مثلاً بين فريق المشركين وفريق المؤمنين؛ حيث شبه فريق الكافرين بالأعمى والأصم، وفريق المؤمنين بالبصير والسميع «فأما الكافر فصم عن الحق فلا يسمعه، وعمى عنه فلا يبصره، وأما المؤمن فسمع الحق فانتفع به، وأبصره فرعاه وحفظه وعمل به»⁽¹⁾.

ثم يقول تعالى: هل يستوي هذان الفريقان أي «معلوم تفضيل الفريق الممثل بالسميع والبصير، على الفريق الممثل بالأعمى والأصم»⁽²⁾.

أما فاصلة الآية: ﴿أَفَلَا نَذَكَّرُونَ﴾ فالقصد منها تنبيه المشركين لما هم فيه من الضلالة، لعلهم يتداركون أمرهم، من الضلال إلى الهدى ومن الكفر إلى الإيمان⁽³⁾.

فالهزمة للاستفهام الإنكاري، ومعناها إنكار عدم التذكر واستبعاد صدوره عن المخاطبين، من أهل الكفر المشبهين بالأعم والأصم، فالأعمى لا يرى الحق، والأصم لا يسمع صوت الإيمان.

إن التحام الفاصلة، وحرف الاستفهام "الهزمة" أديا إلى وضوح المعنى، وساعدا السياق القرآني على إبراز جمالية أسلوب الاستفهام مع الفاصلة القرآنية.

2-هل: «حرف استفهام: تدخل على الأسماء والأفعال، لطلب التصديق الموجب لا غير»⁽⁴⁾.

كقولنا: هل خرج زيد، هل هنا للاستفهام وقد تخرج لأمر أخرى⁽⁵⁾.

(1) _ جامع البيان عن تأويل آي القرآن (تفسير الطبري): الطبري، ج 12، ص 377.

(2) _ التحرير والتنوير: الطاهر ابن عاشور، ج 12، ص 43.

(3) _ ينظر: - جامع البيان عن تأويل آي القرآن (تفسير الطبري): الطبري، ج 12، ص 377.

- التحرير والتنوير: الطاهر ابن عاشور، ج 12، ص 43.

- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: الألوسي، ج 12، ص 35.

(4) _ الجني الداني في حروف المعاني: المرادي، ص 341.

(5) _ فصل في معاني "هل" ابن هشام في كتابه: مغني اللبيب عن كتب الأعراب، ج 4، ص 326-345.

وينظر: _ مجالس ثعلب: أبو العباس أحمد بن يحيى ثعلب، تح: عبد السلام محمد هارون، د ط، دار المعارف، مصر، د ت، ج 12، ص 588.

وقد تكون بمعنى "قد"⁽¹⁾ نحو قوله تعالى: ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ﴾ [الإنسان: 1]، معناه: قد أتى على الإنسان.

وقال فيها سيبويه: «هل إنما تكون بمنزلة قَدْ، ولكنهم تركوا الألف إذ كانت هل لا تقع إلا في الاستفهام»⁽²⁾.

ويرى المفسرون أنها تخرج إلى معانٍ كثيرة ومختلفة، وتلتقي في كثير منها بمعاني "الهمزة"، إلا أن الأخيرة هي أم أدوات الاستفهام ثم تليها "هل".

ومن بين المعاني التي تخرج لها: النفي، التقرير، الأمر، التوبيخ، الإنكار⁽³⁾.

ومن الآيات التي حوت حرف الاستفهام "هل" نجد قوله تعالى: ﴿ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ﴾ [يونس: 52].

فاصلة الآية: ﴿هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ﴾ تضمنت الحرف "هل"، الذي أدى معنى التوبيخ.

إن خزنة جهنم يقولون لهم: ذوقوا عذاب الخلد الذي لا ينقطع، جزاء كفركم عندما «وضعوا ما نھوا عنه من الكفر والتكذيب موضع ما أمروا به من الإيمان والتصديق، أو ظلموا أنفسهم بتعريضها للهلاك والعذاب»⁽⁴⁾.

(1) ينظر: - رصف المباني في شرح حروف المعاني: المالقي، ص 407.

- معاني الحروف: الروماني، ص 102.

- الجنى الداى في حروف المعاني: المرادي، ص 344.

- معني اللبيب عن كتب الأعراب: ابن هشام الأنصاري، ج 4، ص 336.

(2) الكتاب: سيبويه ج 2، ص 189.

(3) الأدوات النحوية في كتب التفسير: محمود أحمد الصغير، ط 1، دار الفكر، دمشق، سوريا: 1422هـ - 2001م، ص 650-655.

(4) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: الألوسي، ج 11، ص 135.

وقيل: «هو الوعيد الأعظم بالخلود لأهل الظلم، الأخص الذي هو ظلم الكفر لا ظلم المعصية»⁽¹⁾. فكان جزاء الكسب من صنيع العمل لقوله تعالى: ﴿هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ﴾ في الدنيا من أصناف الكفر والمعاصي، التي من جملتها ما مر من الاستعجال⁽²⁾.

فالفاصلة: ﴿هَلْ تُجْزَوْنَ﴾ تويخ للكفار وتوضيح لهم وتأکید على أن الجزاء هو على كسب العمل. والاستفهام في: ﴿هَلْ تُجْزَوْنَ﴾ إنكارى بمعنى النفي على حد قول الطاهر ابن عاشور⁽³⁾. لكنني أرى أيضا أن الاستفهام قد تضمن معنى تويخ الكفار، وأخبرهم بالجزاء الذي ينتظرهم جراء كسبهم ﴿ذَلِكَ جَزَاءُ أعدَاءِ اللَّهِ النَّارُ هُمْ فِيهَا دَارُ الخُلْدِ جَزَاءُ بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَمْحَدُونَ﴾ [فصلت: 28]. ومن الفواصل التي اشتملت على حرف الاستفهام "هل" قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ نَحْنُ وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلَّا الْبَلْغُ الْمُبِينُ﴾ [النحل: 35].

يقول الله تعالى في هذه الآية على لسان الكفرة: بعدما جاءتهم الرسل مبلغة رسالة رهم إلى الإيمان به وعبادته وحده، وترك المعاصي، وعدم الاستخفاف وتكذيب الرسل، يعني: «أنهم أشركوا بالله وحرّموا ما أحل الله، من البحيرة والسائبة، ثم نسبوا فعلهم إلى الله وقالوا: لو شاء لم نفعل»⁽⁴⁾.

ومعنى كلامهم: أنه لو كان الله تعالى كارها لما فعلنا لأنكره علينا بالعقوبة ولما مكّنّا منه، فقال الله تعالى رادًا عليهم كذبهم وبهتانهم: ﴿فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلَّا الْبَلْغُ الْمُبِينُ﴾، في كل أمة أرسل رُسُلًا يدعون إلى عبادة الله، وينهون عن عبادة غيره، وليست وظيفتهم إلا تبليغ الرسالة تبليغًا واضحًا مُبِينًا⁽⁵⁾ بمعنى

(1) _ احرر الوجيز: ابن عطية الأندلسي، ج3، ص 125.

(2) _ إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم: أبو السعود العمادي ج4، ص 153.

وينظر: _ روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: الألوسي ج11، ص 135.

(3) _ التحرير والتنوير: الطاهر ابن عاشور، ج11، ص 195.

(4) _ الكشاف: الزمخشري، ج3، ص 434.

(5) _ ينظر: _ إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم: أبو السعود العمادي، ج5، ص 112.

- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: الألوسي، ج14، ص 135، 136.

- تفسير القرآن العظيم: ابن كثير: ج8، ص 309، 310.

«الذي يُبَيِّنُ عن معناه لِمَنْ أُبْلَغَهُ، وَيُفْهِمُهُ مَنْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ»⁽¹⁾.

وبالرجوع إلى فاصلة الآية: ﴿فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلَّا الْبَلْغُ الْمُبِينُ﴾ فقد جاء الاستفهام فيها بـ: "الأداة هل"، وهو استفهام إنكاري بمعنى النفي؛ أي نفى الله - عز وجل - عن الرسل مهمة أخرى، وأن مهمتهم الرئيسية تتمثل في تبليغ الرسالة الموكلون بها، وأما الجزء فهو من شأنه تعالى، دون غيره من المخلوقات حتى ولو كان الرسل عليهم السلام.

إذن فمعنى الاستفهام لا يكتمل دوره في القرآن الكريم إلا بالسياق والمعنى، لخروجه لمعان كثيرة، والفاصلة القرآنية كان لها الدور البارز في إيضاح الاستفهام إلى جانب المعنى، فالعلاقة بين الفاصلة والاستفهام والسياق علاقة مبنية على التكامل والانسجام.

ثانيا: أسلوب التوكيد.

من الأساليب الإنشائية التي كَثُرَ دورها في القرآن الكريم، ولقي عناية خاصة من قبل "العلماء والباحثين"⁽²⁾ على حد سواء، لما له من علاقة وطيدة بالقرآن الكريم، المعجز بألفاظه وتراكيبه ومعانيه.

والمراد به لغة: مأخوذ من الفعل أَكَّدَ، والكاف والذال ليست أصلا، لأن الهمزة مبدلة من واو، ويقال وَكَّدَهُ الْعَقْدَ⁽³⁾ أي أَكَّدَ الْعَهْدَ وَالْعَقْدَ⁽⁴⁾.

اصطلاحا: هو تمكين الشيء في النفس وتقوية أمره⁽⁵⁾.

وأطلق على التوكيد مصطلحات عديدة، فقد ذكره ابن جني مع مصطلح: "الاحتياط" الذي في

(1) _ جامع البيان عن تأويل آي القرآن (تفسير الطبري): الطبري، ج14، ص 216.

(2) _ ينظر على سبيل المثال:

- أساليب التوكيد من خلال القرآن الكريم: دراسة تحليلية لنموذجين (الاشتغال بطبيعته وإعراجه - التوكيد بـ(إن النافية): أحمد مختار البرزة، ط1، مؤسسة علوم القرآن، دمشق، سوريا، بيروت، لبنان، 1985م.

- أساليب التوكيد في القرآن الكريم: عبد الرحمن المطردي، ط1، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، مصراته، ليبيا، 1986م.

- رسالة دكتوراه بعنوان: دراسة وظيفية لأسلوب التوكيد في القرآن الكريم: عائشة عبيزة، جامع الحاج لخضر باتنة - الجزائر. 2008م - 2009م.

(3) _ معجم مقاييس اللغة: ابن فارس، ج1، ص 125.

(4) _ لسان العرب: ابن منظور، مادة (أكد)، ج2، ص 100.

(5) _ الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز: يحيى بن حمزة العلوي، ج2، ص 176.

معنى التوكيد، ومصطلح " التكرير " حيث يقول: «اعلم أن العرب إذا أرادت المعنى مكنته واحتاطت له فمن ذلك التوكيد؛ وهو على ضربين أحدهم: تكرير الأول بلفظه، وهو نحو قولك: قام زيد، قام زيد، وضربت زيداً وضربت، وقد قامت من الصلاة قد قامت من الصلاة، والله أكبر الله أكبر ... والثاني: نحو قولك: قام زيد نفسه ورأيته نفسه»⁽¹⁾.

وأطلق عليه السكاكي مصطلح "التصريح"⁽²⁾، ومصطلح "التقرير والتأكيد"⁽³⁾.

ولقد قُسم التوكيد إلى قسمين رئيسيين:

- لتقرير شمول النسبة: وهو بأن يكرر من حيث المعنى، ما فهم من المتبوع تضمنًا لا مطابقة ب: كِلا، وكلّ، وأجمع.

- وإما لتقرير أصل النسبة: وهو بتكرير لفظ الأول، أو بتكرير ما دلّ عليه المتبوع مطابقة، وذلك بالنفس والعين، وما يتصرف منهما⁽⁴⁾.

بمعنى أن التوكيد ينقسم: إلى توكيد معنوي وتوكيد لفظي⁽⁵⁾.

وفائدته إزالة الشكوك وإمطة الشبهات، ويجب مع ذلك مراعاة حال المخاطب، فإذا كان خالي الذهن فيساق الكلام في غير توكيد، ويسمى هذا النوع بالتوكيد الابتدائي، ويؤكد الكلام للمتروك الذي يشك فيه ويسمى هنا توكيدًا طلبيًا، ويضعف التوكيد للمنكر، ويسمى بالتوكيد الإنكاري⁽⁶⁾.

إذن فقد يستعمل التوكيد لتأكيد المعنى وإثارته، أو لإزالة تردد ما، لهذا وُضِعَ لأحد ثلاثة أشياء:

(1) _ الخصائص: ابن جني، ج3، ص 101- 104.

(2) _ مفتاح العلوم: السكاكي، ص 171.

(3) _ المصدر نفسه: ص 267.

(4) _ شرح الرضي على الكافية: رضي الدين الاسترابادي، ج2، ص 363.

(5) _ شرح شذوذ الذهب في معرفة كلام العرب: أبو محمد عبد الله جمال الدين ابن عبد الله ابن هشام الأنصاري، دط، دار الطلائع للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، دت، ص 436.

وينظر: _ الخصائص: ابن جني: ج2، ص 457.

(6) _ مفتاح العلوم: السكاكي، ص 170، 171. وينظر: _ البلاغة العالية: علم المعاني: عبد المتعال الصعيدي، تقديم: عبد القادر حسين، ط2، مكتبة الآداب، مصر، 1411هـ- 1991م، ص 42- 44.

«أحدهما: أن يدفع المتكلم ضَرَّ غفلة السامع عنده، وثانيهما: أن يدفع ظنه بالمتكلم الغلط، فإذا قصد المتكلم أحد هذين الأمرين؛ فلا بد أن يكرر اللفظ الذي ظنَّ غفلة السامع عنه، أو ظن أن السامع ظنَّ به الغلط فيه، تكريراً لفظياً نحو ضرب زيد زيد... والغرض الثالث: أن يدفع المتكلم عن نفسه ظن السامع به تجوزاً»⁽¹⁾.

و أدوات التوكيد كثيرة منها: إنَّ، أنَّ، ولام الابتداء، ونونا التوكيد، إنَّ، وأنَّ، كُـلَّ، أمَّا، إنمَّا. والأدوات التي تؤكد التوكيد من مثل (إنَّ) التوكيدية، ولام التوكيد لا تقع إلا بعد الجملة الاسمية لأن: «القصد منه الحمل على ما لم يقع ليصبح واقعاً، لذا لا يجوز تأكيد الماضي ولا الحاضر لئلا يلزم تحصيل الحاصل، وإنما يؤكد المستقبل»⁽²⁾.

وهناك صور للتوكيد بغير أداة:

التوكيد بالتقديم: العرب إذا خصوا شيئاً باهتمامهم قدموه ليفاجئوا المخاطب به، ليقع في نفوسهم موقعاً ثابتاً⁽³⁾ كقوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: 5] قُدِّم المفعول في الآية لقصر العبادة لله تعالى وحده.

التوكيد بالتكرار: وله طريقتان:

- إعادة اللفظ الذي يراد تشبيته نحو: ضربت زيداً زيداً.
- التوكيد بكلمات تؤدي ما يؤديه تكرار اللفظ نفسه، وذلك في توكيد الضمير المتصل، أو المستتر بالضمير المنفصل نحو: " أكرمت أنت ضيفك "، أو إيراد ألفاظ التوكيد المعروفة: النفس العين، كلا وكلتا، كل وجميع ومما في معناه، نحو: جاءني زيد نفسه، وجاءني الزيدان كلاهما⁽⁴⁾.
والمتتبع لهذا الفن الأسلوب في القرآن الكريم، يدرك حقاً كثرة وروده، وتزاحم أدواته في الآية الواحدة لتمنحها مزيداً من التوثيق والتأكيد وتبليغ المعنى وتأثيره في النفوس.

(1) _ شرح الرضي على الكافية: ج2، ص 357، 358.

(2) _ البرهان في علوم القرآن: الزركشي: ج2، ص 384.

(3) _ في النحو العربي نقد وتوجيه: مهدي المخزومي، ط2، دار الرائد العربي، بيروت، لبنان، 1406هـ - 1986م، ص 242.

(4) _ المرجع نفسه: ص 243، 244.

ومن هذه الأدوات "إنَّ" التي تُعدُّ أصل أدوات التوكيد ولها معاني تُستفاد منها غير التوكيد. وتكون على وجهين: حرف "توكيد" (1) تنصب الاسم وترفع الخبر (2) والثاني: حرف جواب بمعنى نعم (3).

ومثاله قوله تعالى: ﴿وَإِنْ كَلَّمَا لِيُؤْفِقِنَهُمْ رَبُّكَ أَعْمَلَهُمْ إِنَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [هود: 111].

ذُكر في هذه الآية سبعة أنواع من التوكيدات لقول الرازي في تفسيره: «أولها كلمة "إن" وهي للتأكيد، وثانيها: كلمة "كل" وهي أيضا للتأكيد وثالثهما: اللام الداخلة على خبر "إن" وهي تفيد التأكيد أيضا، ورابعها حرف "ما" إذا جعلناه على قول الفراء موصولا، وخامسها: القسم المضمن فإن تقدير الكلام وإن جميعهم والله ليؤفقهم، وسادسها: اللام الثانية الداخلة على جواب القسم، وسابعها: النون المؤكدة في قوله (ليؤفقهم)، فجميع هذه الألفاظ السبعة الدالة على التوكيد في هذه الكلمة الواحدة تدل على أن أمر الربوبية والعبودية، لا يتم إلا بالبعث والقيامة وأمر الحشر والنشر، ثم أردفه بقوله ﴿إِنَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ وهو من أعظم المؤكدات» (4).

وقرأت هذه الآية بقراءات كثيرة، وحاول كل مفسر تفسير حروف التوكيد الموجودة فيها من وجهة نظره الخاصة (5).

ومعنى الآية يؤكد أن الجميع مجازون بحسب أعمالهم، لا يفلت منهم أحد، فمن كان عمله صالحا

(1) _ ينظر: - رصف المباني في شرح حروف المعاني: المالقي، ص 118.

- الجنى الداني في حروف المعاني: المرادي، ص 393.

(2) _ ينظر: -معاني الحروف: الروماني، ص 110.

- مغني اللبيب عن كتب الأعراب: ابن هشام الأنصاري، ج1، ص 227.

(3) _ ينظر: - رصف المباني في شرح حروف المعاني: المالقي، ص 124.

- مغني اللبيب عن كتب الأعراب: ابن هشام الأنصاري، ج 1، ص 235.

(4) _ التفسير الكبير ومفاتيح الغيب: فخر الدين الرازي، ج18، ص 71.

(5) _ ينظر: - تفسير البغوي "معالم التنزيل": البغوي، ج4، ص 202، 203.

- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: الألوسي، ج12، ص 149- 151.

- إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم: أبو السعود العمادي، ج4، ص 244.

- التحرير والتنوير: الطاهر ابن عاشور، ج12، ص 173، 174.

- الكشاف: الزمخشري ج3، ص 240.

وجد ثوابا جزيلًا من ربه، ومن كان عمله غير ذلك كان عقابه شديدًا⁽¹⁾.

وفاصلة الآية : ﴿إِنَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ خَيْرٌ﴾ تأكيد آخر للوعد والوعيد، واستئناف وتعليل للتوفية لأن إحاطة العلم بأعمالهم مع إرادة جزائهم ؛ توجب أن يكون الجزاء مطابقاً للعمل تمام المطابقة، وحينئذ تتأتى توفية كل ذي حق حقه إن خيراً فخير وإن شراً فشر⁽²⁾.

وهذا هو المغزى من التوكيد « إذا كررت فقد قررت المؤكد، وما علق به في نفس السامع، ومكنته في قلبه، وأمطت شبهة ربما خالجت، أو توهمت غفلة، أو ذهبا عما أنت بصدهه فأزلته»⁽³⁾.

وما يستنتج هو أن أداة التوكيد " إن " قد أكدت جزاء توفية الكفار أعمالهم أولاً، وثانياً أكدت فاصلة الآية ﴿إِنَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ خَيْرٌ﴾ علمه - عز وجل - بأعمالهم، وأكدت تحقق الجزاء خيراً أو شراً كلاً حسب عمله.

ومثاله أيضا قوله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعُوا فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ﴾ [إبراهيم: 30].

فالله تعالى في هذه الآية يتحدث عن الكفار الذين جعلوا له شركاء في العبادة وكأنهم أنداد، ويظنون أن هذه الدنيا غير زائلة، وقائلا لهم: تمتعوا فيها قدر الاستطاعة، ثم يستأنف الخطاب ويقول لنبية محمد ﷺ: قل لهم يا محمد مهما تفعلوا في الدنيا فإن مرجعكم ومصيركم النار لا محالة؛ جزاء بما أشركتم وكذبتم، وجزاء لمعصية الله - عز وجل -، وعبادة غيره⁽⁴⁾ لقوله تعالى: ﴿مَتَّعٌ فِي الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ نُنذِرُهُمُ الْعَذَابَ الشَّدِيدَ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾ [يونس: 70].

(1) _ جامع البيان عن تأويل آي القرآن (تفسير الطبري): الطبري ج12، ص 598.

(2) _ ينظر: - التحرير والتنوير: الطاهر ابن عاشور، ج12، ص 175.

- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: الألوسي، ج12، ص 151.

(3) _ شرح المفصل: ابن يعيش، ج3، ص40.

(4) _ ينظر: - جامع البيان عن تأويل آي القرآن (تفسير الطبري): الطبري، ج 13، ص 678، 679.

- التحرير والتنوير: الطاهر ابن عاشور، ج13، ص 230، 231.

- البحر المحيط: أبو حيان الأندلسي، ج5، ص 414.

ومن أجل تأكيد مصيرهم استخدمت فاصلة الآية: ﴿فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ﴾؛ حرف التوكيد " إنا المشددة " تأكيدا على أن مآل الكافرين ومصيرهم هو النار، لقوله تعالى: ﴿نُمْنِعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾ [لقمان: 24].

فانظر إلى سُمُو هذا التعبير ورفعته وكيف لحرفٍ بسيطٍ " أن " أن يؤكد هذا المعنى، فالفاصلة تراعي المعنى، وتراعي السياق في استعمال الحروف والكلمات المناسبة. وثاني الأدوات " نونا التوكيد ":

ونعني بهما نون التوكيد الثقيلة المشددة المفتوحة؛ ونون التوكيد الخفيفة الساكنة غير المشددة (1).

وتزاد للتوكيد في الأفعال خفيفة وثقيلة في نحو "لتقومن" و"لتقعدن" (2) لقوله تعالى: ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ﴾ [الانشقاق: 19].

وقد اجتمعت النون الخفيفة والثقيلة في قوله تعالى: ﴿قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِينَ لُمْتُنَنِي فِيهِ وَلَقَدْ زودتُهُ عَنْ نَفْسِهِ فآسْتَعصِمَ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَا ءَامُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونَا مِنَ الصَّغِيرِينَ﴾ [يوسف: 32].

تلقي امرأة العزيز في هذه الآية اللوم على نسوة المدينة، عندما سمعن بشغفها الشديد لبعدها الكنعاني يوسف عليه السلام؛ فأعدت لهن متكئا فقطعن أيديهن بمجرد رؤيته، لما يتميز به، وكأنه القمر ليلة تمامه، ثم أقرت لهن بعد ذلك بأنها قد راودته عن نفسه؛ فاستعصم ولم يراودها فيما أرادت، ولم يطاوعها في حاجتها، فكان مصيره السجن، ليصبح من أهل الصغار والدلة، بعدما كان في مكانة مرموقة وعالية عندها وعند زوجها (3).

إن المتمعن في فاصلة الآية: ﴿لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونَا مِنَ الصَّغِيرِينَ﴾ يلحظ اجتماع نونا التوكيد الخفيفة

(1) - مع الهوامع في شرح جمع الجوامع: السيوطي، ج4، ص 397.

(2) - ينظر: -الجنى الداني في حروف المعاني: المرادي، ص 141.

- سر صناعة الإعراب: ابن جني، ص 447.

(3) - ينظر: - جامع البيان عن تأويل آي القرآن (تفسير الطبري): الطبري ج13، ص 141، 142.

- الكشف: الزمخشري: ج، ص 281.

- البحر المحيط: أبو حيان الأندلسي، ج5، ص 305، 306.

والثقيلة، لتؤكد عزم امرأة العزيز على سجنه لعدم مراودته إياها و«أكدت السجنَ بالنون الثقيلة لتحقيقه، وما بعده بالنون الخفيفة لأنه غير متحقق»⁽¹⁾ في كلمة "ليكون".

ولو قيلت هذه الكلمة " ليسجنن " دون "النون الثقيلة" لتبادر إلى الأذهان أن امرأة العزيز ربما تتراجع عن أمرها ولا تسجن يوسف عليه السلام لحبها الشديد له ﴿قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا﴾ [يوسف: 30]، ولكنها أكدت الأمر وجزمت عليه ولا مجال للرجوع فالنون «المشددة أبلغ في التأكيد من المخففة؛ لأن تكرير النون بمنزلة تكرير التأكيد»⁽²⁾.

فنونا التوكيد "الثقيلة والخفيفة" أكدتا الاضطراب الحاصل في نفسية امرأة العزيز، وأكدتا الترابط الموجود بين مفردات الآية الواحدة، وأثبتت دورهما في المعنى من خلال الفاصلة ومن خلال السياق القرآني الذي وضعت فيه.

وخاتمة القول:

إن هذا التنوع في مبنى الفواصل القرآنية، راجع إلى النظم القرآني وللملائمة والاتساق بين المعنى والسياق الواردة فيه، فالفاصلة «تَرَدُّ وهي تحمل شُحْنَتَيْنِ فِي آنٍ وَاحِدٍ: شحنة من الوقع الموسيقي، وشحنة من المعنى المتمم للآية»⁽³⁾.

ومنه فإن للفاصلة وظيفتين: وظيفة دلالية، ووظيفة صوتية، لا تختار الألفاظ على حساب المعاني، ولا تختار المعاني على حساب الألفاظ، وغالباً ما يكون الصوت منسجم مع التركيب الصوتي للكلمة بُغْيَةَ الوصول إلى المعنى.

فالأصوات تنسجم في الفواصل القرآنية لما تنسم به من قوة من حيث الجرس وحسن الإيقاع، ففي غير القرآن الكريم تُستثقل بعض الحروف عندما تجتمع في كلمة واحدة، كما ورد في قوله تعالى: ﴿لَيْسَجَنَّ وَلْيَكُونَا مِنَ الصَّغِيرِينَ﴾ [سورة يوسف: 32].

(1) _ روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: الألوسي، ج12، ص 234.

وينظر: _ التحرير والتنوير: الطاهر ابن عاشور، ج12، ص 264.

(2) _ شرح المفصل: ابن يعيش، ج9، ص 37.

(3) _ التعبير الفني في القرآن: بكري شيخ أمين، ص 209.

المبحث الأول: التفات الغيبة والخطاب.

المبحث الثاني: التفات الغيبة والتكلم.

المبحث الثالث: التفات الخطاب والتكلم.

المبحث الأول: التفات الغيبة والخطاب.

المبحث الثاني: التفات الغيبة والتكلم.

المبحث الثالث: التفات الخطاب والتكلم.

المبحث الأول: التفات الغيبة والخطاب.

المبحث الثاني: التفات الغيبة والتكلم.

المبحث الثالث: التفات الخطاب والتكلم.

المبحث الأول: التفات الغيبة والخطاب.

المبحث الثاني: التفات الغيبة والتكلم.

المبحث الثالث: التفات الخطاب والتكلم.

تمهيد:

الالتفات من الأساليب البلاغية التي يزخر بها القرآن الكريم، في الكثير من آياته، لما له من ارتباط بالإعجاز القرآني، وهو ظاهرة انتبه لها البلاغيون والمفسرون والنحاة، واختلفوا في تسميته، كما وضعوا له شروطاً مخصوصة، فمنهم من عدّه من علم المعاني، وآخرون عدّوه من علم البيان، ولعل الاختلاف في نسبة هذا الفن يدل ويبرز دوره في الخطاب والكلام.

أما عن مفاهيمه؛ فالالتفات لغة: مأخوذ من مادة (لفت): لفت وجهه عن القوم: صَرَفَهُ وَالتَّفَتَ التَّفَاتًا، وَتَلَفَّتْ إِلَى الشَّيْءِ، وَالتَّفَتَ إِلَيْهِ، صَرَفَ وَجْهَهُ إِلَيْهِ... وَالتَّفَتَ الصَّرَفَ: يُقَالُ مَا لَفْتَكَ عَنْ فُلَانٍ، أَي مَا صَرَفَكَ عَنْهُ⁽¹⁾.

وجاء في معجم مقاييس اللغة عن مادة (لفت): أنها كلمة تدل على اللَّيِّ وَصَرَفَ الشَّيْءَ عَنْ جِهَتِهِ الْمُسْتَقِيمَةِ، وَمِنْهُ لَفْتُ الشَّيْءِ: لَوَيْتُهُ، وَلَفْتُ فُلَانًا عَنْ رَأْيِهِ: صَرَفْتُهُ... وَمِنْهُ الْالتَّفَاتُ وَهُوَ أَنْ تَعْدَلَ بِوَجْهِكَ⁽²⁾.

إذن فالالتفات لغة يبدو حول معاني التحول والانصراف من جهةٍ إلى أخرى.

ولهذا جاء الالتفات البلاغي مصطلحًا بمعنى الانتقال في الكلام من أسلوب إلى أسلوب متصلًا بمعناه اللغوي⁽³⁾.

أما عند عبد الله بن المعتز، فالالتفات هو: « انصراف المتكلم من المخاطبة إلى الإخبار وفي الإخبار إلى المخاطبة، وما شبه ذلك، ومن الالتفات الانصراف عن معنى يكون فيه إلى معنى آخر⁽⁴⁾ ».

ويتقاطع مع قدامه ابن جعفر كثيرًا في تعريفه للالتفات، لكن مع فارق بسيط حيث عرفه هذا الأخير بقوله: «ومن نعوت المعاني الالتفات، وبعض الناس يسميه الاستدراك: وهو أن يكون الشاعر أخذًا في معنى، فكأنه يعترضه إما شكٌّ فيه أو ظنٌّ بأن رادًّا يردُّ عليه قوله، أو سائلًا يسأله عن سببه،

(1) _ لسان العرب: ابن منظور، مادة (لفت) ، ج45، ص 4051.

(2) _ مقاييس اللغة: ابن فارس، ج5، ص 258.

(3) _ المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر: ابن الأثير، ج2، ص 04.

(4) _ البديع: عبد الله بن المعتز، تعليق: إغناطيوس كراتشوفسكي، ط3 منقحة، دار الميسرة، بيروت، لبنان، 1402هـ-1982م،

ص58، وينظر: _ تحرير التحبير: أبو الإصبع المصري، ص 123، 124.

_ الصناعتين: الكتابة والشعر: أبو هلال العسكري، ص 392

فيعود راجعاً على ما قدمه، فإما أن يؤكد أو يذكر سببه أو يحل الشك فيه»⁽¹⁾.

والفرق هو أن ابن المعتز يجعله انصرافاً من معنى إلى غيره، أما قدامه فيؤكد على أنه رجوع على المعنى نفسه، إما لتأكيد أو ذكر السبب أو إحالة الشك فيه.

وعُرفَ أيضاً: « هو نقل الكلام من أسلوب إلى أسلوب آخر تطريةً واستنداراً للسامع، وتحديدًا لنشاطه، وصيانة لحاظه من الملل والضجر بدوام الأسلوب الواحد على سمعه»⁽²⁾.

والالتفات مصطلح دل على تغير الكلام من أسلوب إلى أسلوب بغية تجديد نشاط السامع، ودفح الملل والسأم عنه في حال كان الأسلوب على طريقة واحدة.

و للإشارة فإن مصطلح الالتفات قد سمي بتسميات متعددة منها: "المجاز"⁽³⁾ عند أبي عبيدة (ت210هـ)، "الانصراف"⁽⁴⁾ عند ابن المعتز (ت296هـ)، "الرجوع"⁽⁵⁾ عند قدامة بن جعفر (ت337هـ)، "الاعتراض"⁽⁶⁾ عند ابن رشيق القيرواني (ت456هـ)، "التلوين" عند القرطبي (ت671هـ) حينما تعرض لسورة الفاتحة بالتفسير "إياك نعبد" رجع من الغيبة إلى الخطاب على التلوين⁽⁷⁾.

وأطلق عليه أيضا مصطلح "التغاير" من قبل حازم ذنون إسماعيل السبعوي في قوله: «فالتغاير في الخطاب يعتمد على انتقال الكلام من صيغة إلى صيغة، ومن خطاب إلى غيبة، ومن غيبة إلى خطاب، إلى غير ذلك من الأنواع وهو ما يسميه البلاغيون (الالتفات)»⁽⁸⁾.

وعدّ الالتفات «مظهر من مظاهر الانزياح التركيبي»⁽⁹⁾، ويمثل بؤرة مباحث الأسلوب الدائرة

(1) _ نقد الشعر: أبو الفرج قدامة ابن جعفر، تح: كمال مصطفى، ط3، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، 1398هـ-1978م، ص146، 147.

(2) _ البرهان في علوم القرآن: الزركشي، ج3، ص314.

(3) _ مجاز القرآن: أبو عبيدة معمر بن المثنى التيمي، تعليق: محمد فؤاد سركين، د ط، مكتبة الخانجي، مصر، 1374هـ-1954م، ج1، ص10.

(4) _ البديع: ابن المعتز، ص56.

(5) _ نقد الشعر: قدامة ابن جعفر، ص147.

(6) _ العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده: ابن رشيق القيرواني، ج2، ص45.

(7) _ الجامع لأحكام القرآن: القرطبي، ج1، ص223.

(8) _ التغاير السياقي في القرآن الكريم: حازم ذنون إسماعيل السبعوي، د ط، دار الكتاب العربي، دمشق، سوريا، 2006م، ص87.

(9) _ أسلوبية الانزياح في النص القرآني: أحمد غالب الخرشنة، ط1، الأكاديميون للنشر والتوزيع، عمان، المملكة الأردنية الهاشمية، 1435هـ-2014م، ص131.

حول التركيب، لما له من أثر واضح في إثراء الدلالة في النص القرآني والكشف عن قيمه وأسراره البلاغية.

واعتبر الالتفات فن بديع من فنون القول: « يشبه تحريك آلات التصوير السينمائي بنقلها من مشهد إلى مشهد آخر في المختلفات والمتباعدات التي يُراد عرض صور منها، ومفاجأة المشاهد بلقطاتٍ منها متباعدات، لكنها تدخل في الإطار الكلي الذي يُراد عرض طائفة من مشاهد، تدل على ما يُقصد الإعلام به »⁽¹⁾.

واختلف العلماء في التعريف الاصطلاحي للالتفات، فكل له وجهة نظر خاصة، تتباين من عالم إلى آخر، ضف إلى ذلك الاختلاف في تسمية الالتفات، كما تناوله كتاب كثر بالشرح والتحليل، وإبراز مختلف القضايا والأمور الخاصة به⁽²⁾.

إن الالتفات في الخطاب القرآني له معانٍ ولطائف وأسرار بلاغية، يكشف عنها السياق، فتغير الحديث من أسلوب إلى آخر يُعطي النص حيوية، ويجعل السامع أكثر نشاطاً وأكثر تقبلاً للحديث، بحيث يبعد هذا الأسلوب السامة والملل.

قال الزمخشري عن الالتفات بأنه: «فن من فنون الكلام جزل، فيه هزُّ وتحريك من السامع»⁽³⁾.

لأن الكلام إذا نُقل من أسلوب إلى أسلوب كان ذلك أحسن للسامع، وإيقاظاً للإصغاء إليه من إجرائه على أسلوب واحد.

وباستعمال أسلوب الالتفات نتجنب الاستمرار على ضمير المتكلم أو ضمير المخاطب، والمتكلم بدوره يتلاعب بضميره، فتارة يجعله "ياء" على جهة الإخبار عن نفسه، أو يجعله "كافاً" أو "تاء" فيجعل نفسه مخاطباً، ومرة يجعله "هاء" فيقيم نفسه مقام الغائب، فالتوالي بين ضمائر المتكلم والمخاطب

(1) _ البلاغة العربية، أسسها وعلومها وفنونها: عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، ط1، دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت، 1416هـ-1996م، ج1، ص 480.

(2) _ ينظر:

_ الإعجاز البلاغي في الخطاب القرآني: "الالتفات نموذجاً": مازن موفق صديق الخيرو، ط1، دار البيان، دمشق، سوريا، 1431هـ-2010م، ص 13-32.

- أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية: حسن طيل، ط1، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، 1418هـ-1998م، ص 11-22.

- فن الالتفات في مباحث البلاغيين: جليل رشيد فالح، مجلة آداب المستنصرية، العدد9، 1404هـ-1984، العراق، ص 66-71.

(3) _ الكشف: الزمخشري، ج1، ص210.

لا يستطاب، وإنما يحسن الانتقال من بعضها إلى بعض⁽¹⁾.

ففائدة الالتفات أن يراعي أحوال المخاطب المختلفة.

وهناك علاقة تربط الالتفات بالقراءات القرآنية؛ بمعنى أنه عندما تختلف القراءة من مثل إبدال الياء تاءً، والتاء ياءً، لما له من تغيير في المعنى وفي نوعية الخطاب⁽²⁾.

ومما هو جدير بالذكر في هذا المقام، أن علماء البلاغة وعلوم القرآن، قد اختلفوا في تحديد أنواع الالتفات أو التقسيمات الخاصة به، فالزحشري يقصره على تبادل الضمائر⁽³⁾، ويتفق معه السكاكي الذي يرى أن "الحكاية" و"الخطاب" و"الغيبة" ينقل كل منها إلى الآخر⁽⁴⁾.

بينما عرف التقسيم عند ابن الأثير نوعاً من التوسع، ليشمل الالتفات إضافة إلى تبادل الضمائر، تبادل أزمنة الأفعال كالرجوع عن الفعل المستقبل إلى فعل الأمر، ومن الفعل الماضي إلى الأمر، والمضارع إلى الماضي، والإخبار عن الماضي بالمستقبل والعكس، وما يجري مجراها، كالإخبار باسم المفعول عن الفعل المستقبل، وإنما يفعل ذلك لأنه يتضمن معنى الفعل الماضي⁽⁵⁾.

وأضاف آخرون للالتفات العدد والتذكير والتأنيث، وهناك من وسع مجاله، ليتناول إضافة إلى ما سبق "الصيغ" و"الأدوات" و"البناء النحوي والمعجمي"⁽⁶⁾.

فدائرة الالتفات اتسعت لتشمل كل الضمائر (المتكلم، المخاطب، الغائب)، وزمن الفعل (الماضي، المضارع، الأمر)، والعدد (الإفراد، التثنية والجمع)، وفي التذكير والتأنيث والتعريف والتنكير، فهذه التقسيمات جعلت من الالتفات أسلوباً يتميز بالانتقال من أسلوب في الكلام إلى أسلوب آخر بغية دفع الملل والسآمة عن السامع، ولاكتساب مزية لغوية من خلال السياق الوارد فيه.

(1) _ منهاج البلغاء وسراج الأدباء: أبو الحسن حازم القرطاجني، تقديم وتحقيق: محمد الحبيب ابن الخوجة، ط3، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1986م، ص 348.

(2) _ ينظر: -التوجيه البلاغي للقراءات القرآنية: أحمد سعد محمد، ط4، مكتبة الآداب، القاهرة، مصر، 1430هـ-2009م، ص332-357.

-أثر القراءات القرآنية في الفهم اللغوي: دراسة تطبيقية في سورة البقرة: محمد مسعود علي حسن عيسى، ط1، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، 1430هـ-2009م، ص102-122.

(3) _ الكشاف: الزحشري، ج1، ص 10.

(4) _ مفتاح العلوم: السكاكي، ص 199.

(5) _ المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر: ابن الأثير، ج2، ص 4.

(6) _ أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية: حسن طبل، ص 23، 24.

والتقسيم الأنسب للخطاب القرآني هو:

- 1- الالتفات من التكلم إلى الخطاب.
- 2- الالتفات من الخطاب إلى التكلم.
- 3- الالتفات من التكلم إلى الغيبة.
- 4- الالتفات من الغيبة إلى التكلم.
- 5- الالتفات من الخطاب إلى الغيبة.
- 6- الالتفات من الغيبة إلى الخطاب.

والسبب في اختيار هذا التقسيم، يعود إلى أنه يُمثل في نظري الصورة الأصلية للالتفات، لأن الخطاب القرآني يتجلى عندما تتغير الضمائر، وهذا ما يُلفت ذهن السامع، ويجعله يبحث عن السبب الدافع إلى ذلك.

المبحث الأول:

اللتفات الغيبة والخطاب.

أولاً- الالتفات من الغيبة إلى الخطاب.

ثانياً- الالتفات من الخطاب إلى الغيبة.

التفات الغيبة والخطاب نوعان: - الالتفات من الغيبة إلى الخطاب - الالتفات من الخطاب إلى الغيبة.

أولاً - الالتفات من الغيبة إلى الخطاب:

حيث يكون الخطاب في البداية بالغيبة، ثم يلتفت إلى الخطاب لئكتة بلاغية إعجازية، وإن استعمال الغائب بدل المخاطب يُعدّ من أرقى الأساليب.

ولأجل تبيان ذلك قمت بإحصاء الآيات المتضمنة لهذا النوع من الالتفات، والتي بلغ عددها ثلاثة وعشرون آية [23] في الجدول الآتي:

السورة	الآية	الرقم	الغيبة	الخطاب
الأعراف	﴿ وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَابِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ فَخَذَهَا بِقُوَّةٍ وَأَمَرَ قَوْمَكَ بِأَخْذِهَا بِأَحْسَنِهَا سَأُورِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ ﴾	145	يَأْخُذُوا	سَأُورِيكُمْ
	﴿ فَخَلَفَ مِنْ بَعدِهِمْ خَلْفٌ وَرثُوا الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَى وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِنْ يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِثْلَهُ يَأْخُذُوهُ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِمْ مِيثَاقُ الْكِتَابِ أَنْ لَا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ وَدَرَسُوا مَا فِيهِ وَالِدَارُ الْأُخْرَى خَيْرٌ لِلَّذِينَ يُتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾	169	وَدَرَسُوا	تَعْقِلُونَ
	﴿ وَإِذْ نَفَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ وَظَنُّوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾	171	فَوْقَهُمْ	خُذُوا
	﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ ﴾	172	وَأَشْهَدَهُمْ	تَقُولُوا
	﴿ أَيْشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿١١١﴾ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَا أَنْفُسُهُمْ يَنْصُرُونَ ﴿١١٢﴾ وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لَا يَتَّبِعُوكُمْ سِوَاهُ عَلَيْكُمْ أَدْعَاؤُهُمْ أَمْ أَنْتُمْ صَامِتُونَ ﴾	193-191	أَيْشْرِكُونَ	يَتَّبِعُوكُمْ

			﴿ وَإِذَا أَدْقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً مِنْ بَعْدِ ضَرَاءٍ مَسَّتْهُمْ إِذَا لَهُمْ مَكْرٌ فِي آيَاتِنَا قُلِ اللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ ﴾	
	النَّاسَ مَسَّتْهُمْ لَهُمْ	21		
	أَنْجَهُمْ إِذَا هُمْ يَبْعُونَ	23	﴿ فَلَمَّا أَنْجَاهُمْ إِذَا هُمْ يَبْعُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ يَأْتِيهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغَيْكُمْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾	
	يَأْتِيهَا النَّاسُ يَعْلَمُونَ	57-55	﴿ أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَلَا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٥﴾ هُوَ يُجِيءُ وَيُمِيتُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٥٦﴾ يَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَ تَكْمُ مَوْعِدُهُ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءً لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهَدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾ ﴾	يونس
	إِنْ عِنْدَكُمْ مِنْ سُلْطَنِ أَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ	68	﴿ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحٰنَهُ هُوَ الْغَنِيُّ لَهُ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ إِنْ عِنْدَكُمْ مِنْ سُلْطٰنٍ بِهٰذَا أُنْقُلُونَا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾	
	أَمْرٌ يَقُولُونَ أَفْتَرْتَهُ	35	﴿ أَمْرٌ يَقُولُونَ أَفْتَرْتَهُ قُلْ إِنْ أَفْتَرَيْتُهُ فَعَلَىٰ إِجْرَامِي وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا يُجْرِمُونَ ﴾	
	وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ أَرْكَبْ	42	﴿ وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ أَرْكَبْ مَعَنَا وَلَا تَكُن مَعَ الْكَافِرِينَ ﴾	هود
	وَنَادَى نُوحٌ فَقَالَ رَبِّ	45	﴿ وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ	

	رَبِّهِ		الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَكِيمِينَ ﴿١﴾	
	فَإِنْ تَوَلَّوْا	57	﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا إِنْ رَبِّي عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيفٌ ﴿٢﴾﴾	
	يَسِيرُوا	109	﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوْحِيَ إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٣﴾﴾	يوسف
	رَبِّ اجْعَلْنِي	40-39	﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴿٣٩﴾ رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ ﴿٤٠﴾﴾	إبراهيم
	ادْخُلُوهَا	46-45	﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٤٥﴾ ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ءَامِنِينَ ﴿٤٦﴾﴾	العنبر
	تَتَوَقَّعُهُمْ	28	﴿الَّذِينَ تَوَقَّعُهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ فَأَلْقَوْا السَّكْرَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ بَلَىٰ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾﴾	
	أَوْ يَأْخُذْهُمْ	47	﴿أَوْ يَأْخُذْهُمْ عَلَىٰ تَخَوُّفٍ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿٤٧﴾﴾	
	لِيَكْفُرُوا	55	﴿لِيَكْفُرُوا بِمَا ءَانَيْنَهُمْ فَتَمْتَعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٥٥﴾﴾	النحل
	وَيَجْعَلُونَ	56	﴿وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيبًا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ تَاللَّهِ لَشَتَّانَ عَمَّا كُنْتُمْ تَفْتَرُونَ ﴿٥٦﴾﴾	
	إِنْسَانٍ	14-13	﴿وَكُلُّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَلْعَ رَأْسِهِ فِي عَقْبِهِ وَنُخْرِجُهُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴿١٣﴾﴾	الإسراء

			<p>الْقِيَمَةَ كَتَبْنَا لِفَسْهَةِ مَنْشُورًا ﴿١٣﴾ أَقْرَأَ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾</p>
جَزَاؤُهُمْ	فَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ	63-62	<p>﴿ قَالَ أَرَأَيْتَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنِ أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَمَةِ لَأُحْتَنِكَ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٣﴾ قَالَ أَذْهَبُ فَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاؤُهُمْ جَزَاءً مَوْفُورًا ﴿١٣﴾</p>
فَلَعَلَّكَ بَنَجْعُ نَفْسِكَ	عَلَىٰ عِبْدِهِ	6-1	<p>﴿ الْحَبْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا ﴿١﴾ قِيمًا لِيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِمَّنْ لَدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ﴿٢﴾ مَنْكُحِينَ فِيهِ أَبَدًا ﴿٣﴾ وَيُنذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا ﴿٤﴾ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَائِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴿٥﴾ فَلَعَلَّكَ بَنَجْعُ نَفْسِكَ عَلَيَّ ءَأَثَرِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا ﴿٦﴾</p>

وسنأخذ بعض الأمثلة لتوضيح صورة هذا الالتفات مع إبراز علاقته بالسياق:

- قوله تعالى: ﴿ فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَىٰ وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِنْ يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِثْلَهُ يَأْخُذُوهُ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِمْ مِيثَاقُ الْكِتَابِ أَنْ لَا يَقُولُوا عَلَىٰ اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ وَدَرَسُوا مَا فِيهِ وَالذَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَنْفَقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٦٩﴾ ﴾ [الأعراف: 169].

الالتفات في قوله تعالى: ﴿ وَدَرَسُوا ﴾ بصيغة الغيبة ليتحول إلى الخطاب في قوله: ﴿ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾، وكان مقتضى السياق أن يسير الخطاب على نفس المنوال الغيبة بقوله: "أفلا يعقلون" لكن الكلام التفت إلى الخطاب ﴿ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾.

فالخطاب موجه لبني إسرائيل الذين ورثوا التوراة وعرفوا ما فيه، وضيعوا العمل به، بحجة أن الله سيغفر لهم أعمالهم، مع إصرارهم على المنكرات فغفران الذنب دون توبة لا معنى له، وكل هذا ورد بصيغة الغائب.

ولكن الكلام تحوّل فجأة للخطاب ﴿ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ ليكون تهديداً لبني إسرائيل، وتوبيخاً لهم

لأنهم عرفوا محتوى الكتاب، ولم يعملوا به « أَفَلَا تَعْقِلُونَ » فتعلموا ذلك فلا تستبدلوا الأدنى المؤدي إلى العقاب بالنعيم المخلد، وفي الالتفات تشديد للتوبيخ⁽¹⁾.

وقال السمين في الدر المصون: « الخطاب يحتمل وجهين: أنه إلتفات من الغيبة إلى الخطاب، والمراد بالضمائر حينئذ شيء واحد، والثاني: أنا الخطاب لهذه الأمة أي: أفلا تعقلون أنتم حال هؤلاء، وما هم عليه وتتعجبون من حالهم، وأما الغيبة فجرى على ما تقدم من الضمائر»⁽²⁾.

فتحوّل الخطاب من الغيبة إلى الخطاب جاء بحسب السياق، الذي اقتضى توبيخ بني إسرائيل لتركهم العمل بهذا لكتاب، وهذه رسالة موجهة للأحياء منهم وعامة الأمة، لعلهم يعقلون ويتدبرون جزاء من ترك العمل بكتابه.

وفي مثال آخر قوله تعالى: ﴿وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً مِن بَعْدِ ضِرَاءٍ مَسْتَهْمٍ إِذَا لَهُم مَّكْرٌ فِي آيَاتِنَا قُلِ اللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُوبُونَ مَا تَمْكُرُونَ ﴾ [يونس: 21].

الالتفات بصيغة الغائب في قوله تعالى: ﴿النَّاسَ﴾، ﴿مَسْتَهْمٍ﴾، ﴿لَهُم﴾ باستعمال ضمير الغائب "هم" ثم تحوّل الأسلوب إلى الخطاب المباشر في قوله تعالى: ﴿تَمْكُرُونَ﴾ فما السر في هذا التحول من الغائب إلى الخطاب؟.

يخبرنا الخطاب القرآني في هذه الآية، عن عودة العبد إلى عصيان خالقه بعد زوال المحن وحلول الفرج، فيسعى إلى التكذيب بالآيات والاستهزاء بها، وعدم التصديق بالرسول ﷺ، ويحذر الناس من أن الله أسرع مكرًا، أي: «أسرع محالًا بكم واستدراجًا لكم، وعقوبة منكم، من المكر في آيات الله»⁽³⁾.

فبعد تذكير الناس بحالهم بصيغة الغائب، يعود الخطاب القرآني ليستعمل صيغة الخطاب تهيئًا من الله للمشركين، وأن الملائكة يقومون بإحصاء أعمالهم ليعرضها عليهم يوم القيامة، فالخطاب بهذه الصيغة «مبالغة لهم في الإعلام بحال مكرهم والتفاتًا لقوله: ﴿قُلِ اللَّهُ﴾ أي: قل لهم فناسب الخطاب»⁽⁴⁾.

(1) _ إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم: أبو السعود العمادي، ج3، ص 288.

وينظر أيضا: _ روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: الألوسي، ج9، ص 97.

(2) _ الدر المصون في علوم الكتاب المكنون: السمين، ج5، ص 506، 507.

(3) _ جامع البيان عن تأويل آي القرآن (تفسير الطبري): الطبري، ج12، ص 145.

(4) _ البحر المحيط: أبو حيان الأندلسي، ج5، ص 140.

ويرى الطاهر ابن عاشور أن هذه الآية لا تحتوي على الالتفات لاختلاف معادي الضميرين⁽¹⁾.

فاستدعى السياق الالتفات إلى الخطاب تأكيداً ومبالغة في مكرهم، وتكذيبهم للرسول ﷺ.

ومما جاء في الالتفات من الغيبة إلى الخطاب، قوله تعالى: ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ

إِلَيْكُمْ وَيَسْنَخِلُ رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّونَهُ شَيْئًا إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ﴾ [هود: 57].

في هذه الآية يخاطب هود قومه فيقول لهم: إن رجعتم عما جئتمكم به من عبادة الله تعالى وحده، ونبذ الأوثان والأصنام، وأقمت لذلك الحجة والبرهان، بأن بلغتكم رسالة الله - عز وجل - ومهما فعلوا من أمر، فإن الله تعالى سوف يغيركم بقوم يعبدونه وحده لا شريك له، ولن تضروه بكفرهم وجحودكم بنعمه، لأن الضر والنفع بيده وحده، فهو حفيظ يحفظ أعمال عباده ليحازي كل واحد حسب عمله، فإن شرًا فجزاؤه جهنم، وإن خيراً فالجنة بنعيمها تنتظره⁽²⁾.

يظهر الالتفات في قوله تعالى: ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا﴾ بالغيبة ثم ينتقل بصيغة الخطاب ﴿أَبْلَغْتُكُمْ﴾، ومقتضى السياق أن يسير الكلام على نحو: "قد أبلغكم" لكنه تحوّل إلى الخطاب ليقيم حجة إرسال الرسل إلى العباد هدايتهم لكنهم تولوا واستكبروا وأصروا على كفرهم: «ويحتمل أن يكون (تولوا) فعلاً ماضياً، ويجيء في الكلام رجوع من غيبة إلى خطاب: أي فعل: قد أبلغكم»⁽³⁾.

أما في سورة يوسف فيظهر الالتفات في قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِيَ إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [يوسف: 109].

تتضمن هذه الآية الرد على منكري رسالات الأنبياء، وما حلّ بهم جزاء تكذيبهم، وتبقى الآخرة خير للذين آمنوا وصدقوا بهم⁽⁴⁾.

الالتفات في قوله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا﴾ بصيغة الغيبة، ثم تحوّل إلى الخطاب ﴿أَفَلَا

(1) _التحرير والتنوير: الطاهر ابن عاشور، ج11، ص134.

(2) _ينظر: _جامع البيان عن تأويل آي القرآن (تفسير الطبري): الطبري، ج12، ص450، 451. _الكشاف: الزمخشري، ج3، ص210.

(3) _المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ابن عطية الأندلسي، ج3، ص182.

(4) _ينظر: _جامع البيان عن تأويل آي القرآن (تفسير الطبري): الطبري، ج13، ص380-382.

_تفسير القرآن العظيم: ابن كثير، ج8، ص92-95.

تَعْقِلُونَ ﴿١﴾ وكان مقتضى السياق أن يسير الكلام على صيغة الغيبة " أفلا يعقلون " .

لكن صيغة المخاطبة هي الأنسب للدعوة لعبادته تعالى «تَحذِيرًا لَهُمْ مِمَّا وَقَعَ فِيهِ أَوْلَئِكَ فَيَصِيبُهُمْ مَا أَصَابَهُمْ»^(١).

ويقول ابن عاشور أيضاً: « " أفلا تعقلون " بناء الخطاب على الالتفات، لأن المعاندين لما جرى ذكرهم وتكرر صاروا كالحاضرين فالتفت إليهم بالخطاب»^(٢).

مما سبق نستنتج أن: الالتفات من الغيبة إلى الخطاب متعلق بالوعد والوعيد، ومواجهة المشركين، ومنكري الرسالة المحمدية، ومخاطبة المتلقين بالتوبيخ والتفريع والإنكار وللدلالة على شدة الغضب، كما يدل على التفاوت بين الإخبار بالغيبة: " يأخذوا "، " مستهم "، " توالوا "، " يسيروا " والإخبار بالخطاب: " سأوريكم "، " تمكرون "، " أبلغتكم "، " تعقلون " ويعود هذا الاختلاف في الأسلوب لنكتة بلاغية تتعلق بالخطاب والسياق القرآني.

فالالتفات إذن من الغيبة إلى الخطاب لا يُجَلِّ بِمعنى الآية، ولا يُنْقِص من قيمتها اللغوية البلاغية، إنما هو دليل قوي يكشف سمو اللغة وبلاغة القرآن الكريم واتساع معانيه وثراء أساليبه.

(١) _ البحر المحيط: أبو حيان الأندلسي، ج5، ص 347.

(٢) _ التحرير والتنوير: الطاهر ابن عاشور، ج13، ص69.

ثانيا- الالتفات من الخطاب إلى الغيبة:

وهو عكس الصورة السابقة، حيث يأتي الخطاب القرآني بصيغة المخاطبة ثم يتحول إلى الغيبة لسبب يستدعيه السياق، والجدول الآتي يتضمن آيات الالتفات من الخطاب إلى الغيبة، وعددها سبعة وعشرون آية [27].

السورة	الآية	الرقم	الخطاب	الغيبة
الأعراف	﴿ يَبْنَءْ آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ لِبَاسًا يُورِي سَوَاءَ تَكْمُ وَرِدِيَّشًا وَلِبَاسَ النَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴾	26	عَلَيْكُمْ	لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ
	﴿ فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَاقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ آسَأَى عَلَى قَوْمٍ كَافِرِينَ ﴾	93	أَبْلَغْتُكُمْ	قَوْمٍ كَافِرِينَ
	﴿ وَقَطَعْنَاهُمْ أَثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرِبَهُمْ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَمَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْمَنَّاتِ وَالسَّلَوى كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾	160	كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ	كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ
﴿ ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾ وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا آتَتْ بِقَرْنٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدَّلَهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ	15-14	ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ	وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا	

			<p>تَلْقَايَ نَفْسِيَّ إِنَّ اتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٣١﴾</p>	يونس
وَجَرِينَ بِهِم	يُسِرُّكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّىٰ إِذَا كُنْتُمْ	22	<p>﴿هُوَ الَّذِي يُسِرُّكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّىٰ إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِكِ وَجَرِينَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِن أَجَبْنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾</p>	
الَّذِينَ فَسَقُوا أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ	فَذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ	33-32	<p>﴿فَذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعَدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَإِنِّي تُصْرِفُونَ ﴿٣٢﴾ كَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَاتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ فَسَقُوا أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾﴾</p>	
مَاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ الْمُجْرِمُونَ	أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَيْنَاكُمْ	50	<p>﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَيْنَاكُمْ عَذَابُهُ، بَيِّنَاتًا أَوْ نَهَارًا مَاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ الْمُجْرِمُونَ﴾</p>	
وَإِنْ تَوَلَّوْا	وَإِنْ أَسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تَوَلَّوْا إِلَيْهِ	3	<p>﴿وَإِنْ أَسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تَوَلَّوْا إِلَيْهِ يُمَنِّعْكُمْ مَنْعًا حَسَنًا إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ، وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ﴾</p>	
أَلَا إِنَّهُمْ يَتَّبِعُونَ	إِلَى اللَّهِ مَرَجِعُهُمْ	5-4	<p>﴿إِلَى اللَّهِ مَرَجِعُهُمْ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤﴾ أَلَا إِنَّهُمْ يَتَّبِعُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا مِنْهُ إِلَّا جَايَنَ يَسْتَعْشُونَ نِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُخْفُونَ وَمَا يَعْلَمُونَ إِلَهُهُ عَلَيْهِمْ يَدَاتٍ﴾</p>	هود

			الضُّور ﴿٥﴾	
لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا	إِنَّكُمْ مَبْعُوثُونَ	7	﴿ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَلَئِنْ قُلْتُمْ إِنَّكُمْ مَبْعُوثُونَ مِنْ بَعْدِ الْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴿٧﴾ ﴾	
وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ	وَلَا تُخْطِبُنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا	38-37	﴿ وَأَصْنَعُ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخْطِبُنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ ﴿٣٧﴾ وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأَ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ قَالَ إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ﴿٣٨﴾ ﴾	
وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ	أَحْمَلُ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ	40	﴿ حَتَّى إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا أَحْمَلْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٤٠﴾ ﴾	
/	/	/	لا توجد آية الالتفات من الخطاب إلى الغيبة	يوسفة
وَبَرَزُوا	يُدْهِبِكُمْ	21-19	﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنْ يَشَأْ يُدْهِبِكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٩﴾ وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿٢٠﴾ وَبَرَزُوا لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ قَالُوا لَوْ هَدَدْنَا اللَّهَ لَهْدَيْنَاكُمْ سَوَاءٌ	إبراهيم

			عَلَيْنَا أَجْرَعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِنْ مَّحِيصٍ ﴿١١﴾	
لفظ الجلالة "الله"	رَبَّنَا	38	﴿رَبَّنَا إِنَّكَ تَعَلَّمَ مَا نُخْفِي وَمَا نُعَلِّمُ وَمَا يُخْفِي عَلَيَّ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾	
صُدُّوهُمْ	أَدْخُلُوهَا	47-46	﴿أَدْخُلُوهَا بِسَلْمٍ ءَامِنِينَ ﴿٤٦﴾ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُنْقَلِبِينَ ﴿٤٧﴾﴾	العبر
عَمَّا يُشْرِكُونَ	فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ	1	﴿أَفَأَمْرٌ إِلَّا اللَّهُ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾	
وَيَا تَجْمِمْ هُمْ يَهْتَدُونَ	لَعَلَّكُمْ يَهْتَدُونَ	16-15	﴿وَأَلْفَى فِي الْأَرْضِ رَوْسِي أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٦﴾ وَتَعْلَمُونَ وَيَا تَجْمِمْ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴿١٥﴾﴾	
يَخْرُجُ	أَنْخِذِي	69-68	﴿وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنْ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿٦٨﴾ ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَنْفَكِرُونَ ﴿٦٩﴾﴾	النحل
أَفِيَابِ بَطِلٍ يُؤْمِنُونَ	جَعَلَ لَكُمْ	72	﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ بَيْنًا وَحَفْذَةً وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ أَفِيَابِ بَطِلٍ يُؤْمِنُونَ وَيَبْغَمَتِ اللَّهُ هُمْ يَكْفُرُونَ﴾	
يَرَوُا	أَخْرَجَكُمْ	79-78	﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا	

			<p>تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلْ لَكُمْ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْعِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (٧٨) أَلَمْ يَرْوُا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوِّ السَّمَاءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٧٨﴾</p>	
فَإِنْ تَوَلَّوْا	لَكُمْ	82-81	<p>﴿ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِمَّا خَلَقَ ظِلَالًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمْ الْحَرَّ وَسَرَابِيلَ تَقِيكُمْ بَأْسَكُمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ ﴿٨١﴾ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلْعُ الْمُبِينُ ﴿٨٢﴾</p>	
لِلْكَافِرِينَ	عُدَّتُمْ	08	<p>﴿ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُدْتُمْ عِدْنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا ﴿٨٢﴾</p>	
لِيَذْكُرُوا وَمَا يَزِيدُهُمْ	رَبُّكُمْ	41-40	<p>﴿ أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُم بِالْبَنِينَ وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنثًا إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِيَذَّكُرُوا وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴿٤١﴾</p>	
عَلَيْهِمْ	رَبُّكُمْ	54	<p>﴿ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ إِنْ يَشَأْ يَرْحَمَكُمْ أَوْ إِنْ يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ وَكَيْلًا ﴿٥٤﴾</p>	الإسراء
يَعِدُّهُمْ	أَذْهَبَ	64-63	<p>﴿ قَالَ أَذْهَبَ فَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاءُكُمْ جَزَاءً مَوْفُورًا ﴿٦٣﴾ وَأَسْتَفْزِرُ مِنْ أَسْطَعَتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبُ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكِهِمْ</p>	

			فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعِدَّهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا ﴿٦٤﴾	
وَكَانَ الْإِنْسَانُ كُفُورًا	مَسَكُمُ	67	﴿ وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّكُمُ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الْإِنْسَانُ كُفُورًا ﴾	
أَفَنَتَّخِذُونَهُ لَكُمْ عَدُوًّا	يَسَّ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا	50	﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَنَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا ﴾	الكهف

ومن صور هذا الالتفات في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿ رَبَّنَا إِنَّكَ تَعَلَّمْ مَا نُخْفِي وَمَا نُعَلِّمُ وَمَا يُخْفِي عَلَى اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ﴾: [إبراهيم: 38].

يظهر الالتفات في الخطاب بلفظ ﴿ رَبَّنَا إِنَّكَ ﴾، ثم عدل إلى الغيبة بلفظ الجلالة ﴿ اللَّهُ ﴾ و كان مقتضى السياق أن يكون الكلام: " وما يخفي عليك من شيء " .

فلاية عبارة عن دعاء من سيدنا إبراهيم عليه السلام إلى ربه عز وجل، يقول فيه: ربنا إنك تعلم ما نخفي وما نعلن: ﴿ تَعَلَّمْ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّمُ الْغُيُوبِ ﴾ [المائدة: 116]، تعلم ما في السموات والأرض، ولا يخفي عليك شيء، لأنك أنت خالقها، وهذا بعدما ترك أبناءه وأسكنهم بواد غير ذي زرع، لأجل إقامة الصلاة وحراسة بيتك الكريم ⁽¹⁾.

ثم استمر بالدعاء بقوله: ﴿ رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا فَاجْعَلْ أَفْعَدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴾ [إبراهيم: 37]، والآيات اللاحقة لها متضمنة للدعاء أيضا: ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴾ ﴿٣١﴾ رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ

(1) ينظر: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: الألوسي، ج13، ص240، 241.

تفسير القرآن العظيم: ابن كثير، ج8، ص228.

دُعَاءِ ﴿٤١﴾ رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ ﴿٤١﴾ [إبراهيم 39-41].

وحكى سبحانه وتعالى عن إبراهيم عليه السلام في هذا الموضوع أنه: « طلب في دعائه أموراً سبعة»⁽¹⁾.
فإبراهيم عليه السلام يناجي الله عز وجل، مستعملاً صيغة الخطاب "ربنا" لأنه « من كلام إبراهيم لاكتناف ما قبله وما بعده بكلام إبراهيم لما ذكر أنه تعالى عمم ما يخفي هو، ومن كنى عنه تم جميع الأشياء، وأنها غير خافية عنه تعالى»⁽²⁾.

وبعدها انتقل إلى صيغة الغيبة، و« الالتفات من الخطاب إلى الاسم الجليل للأشعار بعلّة الحكم؛ والإيدان بعمومه لأنه ليس بشأن يختص به أو بم يتعلق به بل شامل لجميع الأشياء، فالمناسب ذكره تعالى بعنوان مصحح لمبدئية الكل»⁽³⁾.

فبتغيير الأسلوب من الخطاب إلى الغيبة، أكد أن الله تعالى علام بالأمور، ما ظهر منها وما خفي، ولو بقي الكلام على صيغة الخطاب لما تضمن معاني عدم حدودية علمه تعالى بدليل الآيات الآتية:

﴿ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسْرُوتُ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴾ [النحل: 19].

﴿ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا ﴾ [طه: 110].

﴿ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ مِنَ الْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ ﴾ [الأنبياء: 110].

﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ [الحج: 70].

ومن صور الالتفات أيضاً قوله تعالى: ﴿ ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ءَأَمِينَ ﴿٤٦﴾ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِّنْ

غَلِيٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾ [الحجر: 46-47].

يظهر الالتفات في قوله تعالى بصيغة الخطاب: ﴿ ادْخُلُوهَا ﴾، ثم يلتفت إلى صيغة الغيبة

﴿ صُدُورِهِمْ ﴾ وأتى بصيغة الغيبة ليؤكد أن نزع الحقد والضغينة والكره من القلوب، شرط لدخول الجنة

(1) _ التفسير الكبير ومفاتيح الغيب: فخر الدين الرازي، ج19، ص 138-142.

(2) _ البحر المحيط: أبو حيان الأندلسي، ج5، ص 422.

(3) _ روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: الألوسي، ج13، ص 241.

وينظر: _ ارشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم: أبو السعود العمادي، ج5، ص 53.

_ التحرير والتنوير: الطاهر ابن عاشور، ج13، ص 243.

بسلام «أخرجنا ما في صدور هؤلاء المتقين الذين وصف صفتهم من حقد وضغينة بعضهم لبعض»⁽¹⁾.
فأكد النزع بصيغة الغيبة تأكيداً على نزع الحقد من القلوب، ولو استمر الالتفات بصيغة الخطاب لما أدى المعنى المراد منه.

ومن صورته أيضاً قوله تعالى: ﴿أَتَىٰ أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [النحل: 01].

جاء الالتفات في قوله تعالى: ﴿فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾ بصيغة الخطاب إلى تحول صيغة الغيبة ﴿عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾، ويفترض مقتضى السياق أن يتواصل الكلام بصيغة الخطاب "عما تشركون"، لكنه اختار "عما يشركون" غيبة لاستعجال الكفار قرب يوم القيامة كما جاء في سبب النزول.

قال ابن عباس: لما أنزل الله تعالى: ﴿أَقْرَبَتِ السَّاعَةُ وَأَنْشَقَّ الْقَمَرُ﴾ [القمر: 01]، قال الكفار لبعضهم البعض: إنَّ هذا يزعم أن القيامة قد قرئت، فأمسكوا عن بعض ما كنتم تعملون، حتىَّ ننظر ما هو كائن، فلما رأوا أنَّه لا ينزل شيء قالوا: منا نرى شيئاً، فأنزل الله تعالى: ﴿أَقْرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ﴾ [الأنبياء: 01] فأشفقوا وانتظروا قرب الساعة، فلما امتدت الأيام قالوا: يا محمد ما نرى شيئاً مما نخوفنا به فأنزل الله تعالى: «أتى أمر الله» فوثب النبي ﷺ ورفع الناس رؤوسهم، فنزل ﴿فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾ فاطمأنوا⁽²⁾.

ومعنى الآية كما ورد في التفسير: أتى بعض عذاب الله الذي نزل بكم وتمثل في الجذب، أما والجوع فلا تستعجلوه، فسوف ينزل بكم مستقبلاً، ولا تطلبوه قبل حينه ووقته "سبحانه وتعالى عما يشركون"، أي تنزيهه له مما يشركون به من أصنام⁽³⁾.

والاختلاف في الأسلوب من صيغة الخطاب إلى الغيبة جاء التعبير عنه بالفعل الماضي لقرب

(1) _ جامع البيان عن تأويل آي القرآن (تفسير الطبري): الطبري، ج14، ص75.

(2) _ أسباب النزول: الواحدي، ص284.

(3) _ ينظر: تفسير القاسمي: المسمى محاسن التأويل: محمد جمال الدين القاسمي: تعليق: محمد فؤاد عبد الباقي، ط1، دار إحياء

الكتب العربية، عيسى الباي الحلبي وشركاه، مصر، 1376هـ-1957م، ج10، ص3776.

_ زاد المسير في علم التفسير: أبو الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي القرشي البغدادي، ط3، المكتب

الإسلامي، بيروت، دمشق، 1404هـ-1984م، ج4، ص427.

وقوعه وتحققه⁽¹⁾.

والخطاب للكفار، ولذلك عُبر عنه بصيغة الغيبة، ولو كان للمسلمين لُعبِر عنه بصيغة الخطاب، لأن المسلم لا يستعجل قيام الساعة.

فالالتفات إلى الغيبة للإيذان باقتضاء ذكر قبائحهم للإعراض عنهم وطرحهم عن رتبة الخطاب وحكاية شنائعهم لغيرهم⁽²⁾.

وعُبر بالفعل المضارع في " يشركون " للدلالة على تجدد الشرك واستمراره من قبل المشركين، لذا جاءت صيغة الغيبة لتدل على شنيع فعلهم من الإشراك بالله تعالى.

ومن صوره في سورة الإسراء قوله تعالى: ﴿ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ إِنَّ يَشَأُ يَرْحَمَكُمْ أَوْ إِنَّ يَشَأُ يُعَذِّبْكُمْ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ وَكَيْلًا ﴾ [الإسراء: 54].

الالتفات في قوله تعالى: ﴿ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ ﴾ بصيغة الخطاب؛ لينتقل إلى صيغة الغيبة في قوله تعالى: ﴿ عَلَيْهِمْ ﴾ والسياق يفترض: "وما أرسلناه عليكم وكيلًا".

يخاطب الله تعالى نبيه محمدًا ﷺ، بأنه قد أُرسِلَ لدعوة البشرية لدين الحق ولطاعته عز وجل، ولم يُرسل وكيلًا عليهم، والله أعلم بعباده باستحقاق الرحمة أو العذاب.

هذا الخطاب الموجه لرسول ﷺ جاء بصيغة المخاطبة لقرب مكانته، ولتسليته قلبه بسبب عدم الإيمان؛ والتصديق بالرسالة التي أتى بها، ثم اتخذ الخطاب منحى غيبياً، بالضمير "عليهم" العائد على المشركين: « يقول تعالى ذكره: لهؤلاء المشركين الذين قالوا «أئذا كنا عظاما ورفاتا أننا لمبعوثون خلقا جديدا» و«ربكم» أيها القوم «أعلم بكم إن يشأ يرحمكم» فيتوب عليكم برحمته، حتى تُثيبوا عمَّا أنتم عليه من الكفر به وباليوم الآخر، «وإن يشأ يعذبكم» بأن يخذلكم عن الإيمان، فتموتوا على شرككم فيعذبكم يوم القيامة بكفركم به»⁽³⁾.

لقد أفاد تحول الخطاب إلى الغيبة بأن الرحمة والعذاب بيده تعالى، وأن النبي ﷺ غير مسؤول عن تصرفات المشركين، لأنه أُرسِلَ هادياً وداعياً، ولم يرسل لإجبارهم على الإيمان، أي أن الله تعالى قد أخلى

(1) _ البحر المحيط: أبو حيان الأندلسي، ج5، ص 459.

(2) _ إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم: أبو السعود العمادي، ج5، ص 95.

(3) _ جامع البيان عن تأويل آي القرآن (تفسير الطبري): الطبري، ج14، ص 624.

مسؤولية نبيه محمد ﷺ من مصير هؤلاء المشركين.

ومن صور هذا الالتفات أيضا قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا﴾ [الكهف: 50].

يقول سبحانه وتعالى مذكراً هؤلاء المشركين بحسد إبليس؛ وما كان منه من استكباره لعدم طاعته الله تعالى حين أمره بالسجود لآدم عليه السلام، حسداً له على مكانته عند الله تعالى ⁽¹⁾.

ثم يخاطب عز وجل العباد مستغنياً: كيف تتبعون من أخرج أباكم من الجنة، بئس البديل اتخذكم إبليس وذريته أولياء من دون الله وهم لكم عدو، وترك الله وعدم إتباع نواهيته وأوامره ⁽²⁾.

كان الأسلوب في البداية بصيغة الخطاب ﴿بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا﴾ ثم تحول إلى الغيبة ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُ - لَكُمْ عَدُوٌّ﴾ باستعمال همزة الاستفهام التي أفادت الإنكار والتوبيخ في آن واحد، باتخاذ الشيطان وذريته أولياء من دونه عز وجل « وفي الالتفات إلى الغيبة مع وضع الظالمين موضع ضمير المخاطبين من الإيذان بكمال السخط، والإشارة إلى أن ما فعلوه ظلم قبيح ما لا يخفى » ⁽³⁾.

ففي تغيير الخطاب تأكيداً على قبح إسرارهم على طاعة الشيطان، واستغراب من الاستمرار على إتباعه رغم إخبار الله تعالى عباده بحسده لآدم، وذريته إلى يوم الدين.

لقد تناولت أغلب كتب التفسير الخطاب إلى الغيبة، في سورة [يونس: 22]: ﴿هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِكِ وَجَرِينَ بِهِم بِرِيحٍ طَبَّيَّةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنِ أَنْجَيْتَنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾.

يظهر الالتفات في الخطاب: ﴿يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾ لينتقل إلى الغيبة في قوله تعالى ﴿وَجَرِينَ بِهِم﴾، والسياق يقتضي: " وجرين لكم " لأن الخطاب موجه للمسلم والكافر على حد سواء.

⁽¹⁾ _ جامع البيان عن تأويل آي القرآن (تفسير الطبري): الطبري، ج15، ص 285.

⁽²⁾ _ المصدر نفسه: ، ج15، ص 293.

⁽³⁾ _ روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: الألوسي، ج15، ص 295.

لقد أفاض المفسرون في تفسير هذه الآية واستخراج وجوه البلاغة والإعجاز منها⁽¹⁾.

وصفوة القول في الالتفات من: "الخطاب إلى الغيبة" ومن "الغيبة إلى الخطاب"، أن السياق هو الذي من يستدعي الغيبة أو الخطاب، وأن أغلب الآيات المدروسة في هذا النوع من الالتفات كانت حكاية عن صفات المشركين والتعجب من كفرهم، كما تضمنت تهديداً ووعيداً وتوبيخاً لهم بترك عبادة الله عز وجل وتكذيب الرسل والالتجاء إلى الشيطان.

(1) ينظر على سبيل المثال:

- من الإعجاز اللغوي في القرآن: دراسة لغوية أسلوبية في مناسبة اللفظ لسياق الحال: مصطفى شعبان المصري، تقديم: عبده الراجحي، ط1، المكتب الجامعي الحديث، مصر، دت، ص 370.
- المحتسب في تبين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها: ابن جني، ج1، ص 145.
- البرهان في علوم القرآن: الزركشي، ج3، ص 318.
- أسلوب الالتفات في البلاغة العربية: حسن طبل، ص 105.
- الإعجاز البلاغي في الخطاب القرآني: (الالتفات نموذجاً): مازن موفق صديق الخيرو، ص 97.
- أسلوبية الانزياح في النص القرآني: أحمد غالب الخرشنة، ص 147.
- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر: ابن الأثير، ج2، ص 12.

جامعة الأمير
عليه السلام
جامعة الأمير
عليه السلام
جامعة الأمير
عليه السلام

المبحث الثاني:

اللتفات الغيبة والتكلم.

أولاً- الالتفات من الغيبة إلى التكلم.

ثانياً- الالتفات من التكلم إلى الغيبة.

اللتفات الغيبة والتكلم قسمان: - الالتفات من الغيبة إلى التكلم - الالتفات من التكلم إلى الغيبة.

أولاً - الالتفات من الغيبة إلى التكلم:

يأتي الخطاب في هذا النوع من الالتفات بصيغة الغائب، ثم ينتقل لغرض سياقي ما إلى صيغة التكلم، وقد تم إحصاء [58 آية] في الجدول الآتي، وسأختار بعضها لأبرز دور السياق في تحوّل الخطاب من الغيبة إلى التكلم:

السورة	الآية	الرقم	الغيبة	التكلم
	﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ ۗ أُولَٰئِكَ يَنَالُهُمُ نَصِيبُهُم مِّنَ الْكُذْبِ حَيْثُ إِذَا جَاءَهُمْ رَسُولُنَا يُتَوْفَوْنَهُمْ قَالُوا إِنَّا مَا كُنْتُمْ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ قَالُوا صَلُّوا عَلَيْنَا وَشْهِدُوا عَلَيَّ أَنفُسِهِم أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ ﴿٣٧﴾﴾	37	لفظ الجلالة الله	رَسُولُنَا
	﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ۗ حَيْثُ إِذَا أَقْلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقِنَهُ لِبَلَدٍ مَّيْمَنٍ فَاَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٥٧﴾﴾	57	هو	سُقِنَهُ
الأعراف	﴿تِلْكَ الْقُرَىٰ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبِيَآئِهَا ۗ وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِن قَبْلُ ۗ كَذَٰلِكَ يَطَّعُ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ الْكَافِرِينَ ﴿١٠١﴾ وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِمْ مِّنْ عَهْدٍ وَإِن وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ ﴿١٠٢﴾﴾	101-102	كَذَٰلِكَ يَطَّعُ اللَّهُ	وَمَا وَجَدْنَا
	﴿وَأُورِثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضَعُونَ مَشْرِقَ الْأَرْضِ وَمَغْرِبَهَا الَّتِي بَنَرْنَا فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا ۗ وَدَمَّرْنَا مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ فِرْعَوْنَ وَقَوْمَهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ﴾	137	رَبِّكَ	وَدَمَّرْنَا

بحري	رهم	152	﴿ إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعَجَلَ سَيُنَاھِمُ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذَلَّةٌ فِي الْحَيَوةِ الدُّنْيَا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ ﴾	
وَقَطَّعْنَهُمْ ، وَبَلَوْنَهُمْ	وَإِذْ تَأَذَّتْ رَبُّكَ لِيَبْعَثَنَّ	168-167	﴿ وَإِذْ تَأَذَّتْ رَبُّكَ لِيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْفَيْصَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٦٧﴾ وَقَطَّعْنَهُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَّمًا مِّنْهُمْ الصَّالِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَلِكَ وَبَلَوْنَهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٦٨﴾ ﴾	
خَلَقْنَا	فَادْعُوهُ بِهَا	181-180	﴿ وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾ وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ ﴿١٨١﴾ ﴾	
لِقَاءَنَا	وَمَا خَلَقَ اللَّهُ	8-6	﴿ إِنَّ فِي اخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَّقُونَ ﴿٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَوةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنَّنُوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ ﴿٧﴾ أُولَٰئِكَ مَا لَهُمْ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٨﴾ ﴾	
فَنذَرُ	اللَّهُ	11	﴿ وَلَوْ يُعَجِّلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتَعْجَالَهُمْ بِالْخَيْرِ لَفُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجْلُهُمْ فَنذَرُ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١١﴾ ﴾	يونس
إِلَيْنَا مَرَجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُمْ	أَنْجَحَهُمْ	23	﴿ فَلَمَّا أَنْجَحَهُمْ إِذَا هُمْ يَبْعُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ يَأْتِيهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغْيِكُمْ عَلَيَّ أَنْفُسِكُمْ مَتَّعَ الْحَيَوةِ الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرَجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾	
نَحْشُرُهُمْ	مَا هُمْ مِّنَ اللَّهِ	28-27	﴿ وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذَلَّةٌ مَا هُمْ مِّنَ اللَّهِ مِّنْ عَاصِمٍ كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطْعًا مِّنْ أَيْلٍ مُّظْلِمًا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٧﴾ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكَانَكُمْ أَنْتُمْ	

			<p>وَشُرَكَاءُكُمْ فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ وَقَالَ شُرَكَاءُهُمْ مَا كُنْتُمْ إِلَّا نَا عِبَادُونَ ﴿٢٨﴾</p>	
إِلَيْنَا ، نَذِيْقُهُمْ	لفظ الجلالة "الله"	70-69	<p>﴿ قُلْ إِبْرَاهِيمَ الْذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿٦٩﴾ مَتَّعٌ فِي الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ نَذِيْقُهُمُ الْعَذَابَ الشَّدِيدَ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴿٧٠﴾ ﴾</p>	
وَجَوْرَنَا	قَالَ	90-89	<p>﴿ قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَعْوَتُكُمْ فَاَسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَانِ سَبِيلَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨٩﴾ وَجَوْرَنَا بِنَبِيِّ إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَاتَّبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدُوًّا حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْعَرَقُ قَالَ ءَأَمِنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي ءَأَمِنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٩٠﴾ ﴾</p>	
أَمْرَنَا نَجَّيْنَا	فَإِنْ تَوَلَّوْا	58-57	<p>﴿ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ ءِ إِلَيْكُمْ وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّونَهُ شَيْئًا إِنَّ رَبِّي عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ ﴿٥٧﴾ وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَالَّذِينَ ءَأَمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَنَجَّيْنَاهُمْ مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٥٨﴾ ﴾</p>	
أَمْرَنَا نَجَّيْنَا	نَاقَةُ اللَّهِ - أَرْضِ اللَّهِ	66-64	<p>﴿ وَيَنْقُورِ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ ءَايَةٌ فَذُرُّوْهَا تَأْكُلُ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمْسُوهَا سُوْءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ ﴿٦٤﴾ فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ذَلِكَ وَعَدُّ غَيْرِ مَكْدُوبٍ ﴿٦٥﴾ فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَالِحًا وَالَّذِينَ ءَأَمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَمِن خِزْيِ يَوْمِئِذٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ ﴿٦٦﴾ ﴾</p>	هود
رُسُلَنَا	جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ	77-76	<p>﴿ يَا بَرِّهِيْمُ أَعْرِضْ عَن هَذَا إِنَّهُ قَدْ جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَإِنَّهُمْ ءَانْتِهِمُ عَذَابٌ غَيْرَ مَرْدُودٍ ﴿٧٦﴾ وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ ﴿٧٧﴾ ﴾</p>	

<p>وَكَلَّا نَقْصُ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ</p>	<p>120-119</p>	<p>﴿إِلَّا مَنْ رَجِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ حَلَفُهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١١٩﴾ وَكَلَّا نَقْصُ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نَثَبْتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٠﴾﴾</p>	
<p>ءَاتَيْنَتْهُ ، عَلَى أَمْرِهِ بِجَزَى</p>	<p>22-21</p>	<p>﴿وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لِأَمْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَخْذَهُهُ وَلَدًا وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢١﴾ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ ؕ ءَاتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نُبْرِئُ الْمُحْسِنِينَ ﴿٢٢﴾﴾</p>	
<p>لِنَصْرِفَ رَبِّهِ</p>	<p>24</p>	<p>﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهٖ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ ؕ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلِصِينَ﴾</p>	<p>يوسفة</p>
<p>عَلَّمَنَّهُ لفظ الجلالة "الله"</p>	<p>68</p>	<p>﴿وَلَمَّا دَخَلُوا مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُمْ مَا كَانَ يُغْنِي عَنْهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا حَاجَةٌ فِي نَفْسٍ يَعْقُوبَ قَضَيْهَا وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ لِمَا عَلَّمَنَّهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾</p>	
<p>قُلْ لِعِبَادِيَ لفظ الجلالة "الله"</p>	<p>31-30</p>	<p>﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ أُنْدَادًا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِهِ ؕ قُلْ تَمَتَّعُوا فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ ﴿٣٠﴾ قُلْ لِعِبَادِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعَ فِيهِ وَلَا خِلَالَ ﴿٣١﴾﴾</p>	<p>إبراهيم</p>
<p>قَدَرْنَا أُرْسِلْنَا</p>	<p>60-58</p>	<p>﴿قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُجْرِمِينَ ﴿٥٨﴾ إِلَّا ءَالَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٩﴾ إِلَّا أَمْرَاتَهُ قَدَرْنَا إِنَّهَا لَمِنَ الْعَذِيبِ ﴿٦٠﴾﴾</p>	
<p>وَقَضَيْنَا تُؤْمَرُونَ</p>	<p>66-65</p>	<p>﴿فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَاتَّبِعْ أَدْبَارَهُمْ وَلَا يَلْنفِتْ</p>	

			<p>مِنْكُمْ أَحَدٌ وَأَمْضُوا حَيْثُ تُوْمَرُونَ ﴿٦٥﴾ وَفَضِينًا إِلَيْهِ ذَلِكَ الْأَمْرَ أَنْ دَابِرَ هَتُولَاءِ مَقْطُوعٍ مُصْبِحِينَ ﴿٦٦﴾</p>	العبر
ءَايَاتِنَا	إِنَّ رَبَّكَ	87-86	<p>﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْخَلْقُ الْعَلِيمُ ﴿٨٦﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْءَانَ الْعَظِيمَ ﴿٨٧﴾</p>	
إِلَّا أَنَا	يُنزِلُ	02	<p>﴿ يُنزِلُ الْمَلَكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ ﴿٢﴾</p>	
مَا كُنَّا نَعْمَلُ	تَنوَفَفَهُمْ	28	<p>﴿ الَّذِينَ تَنوَفَفَهُمُ الْمَلَكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ فَأَلْفَوْا السَّلَامَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ بَلَى إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾</p>	
لَتُبَوِّتَنَّهُمْ	وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ	41	<p>﴿ وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا لَنُبَوِّتَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَا جَزَاءَ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾</p>	
فَأِنِّي	وَقَالَ اللَّهُ	51	<p>﴿ وَقَالَ اللَّهُ لَا نَتَّخِذُ الْإِلَهِينَ اتِّبَانًا إِنَّمَا هُوَ إِلَهُهُ وَحْدَهُ فَأِنِّي فَأَرْهَبُونَ ﴿٥١﴾</p>	النحل
ءَايَاتِنَهُمْ	بَرِيحِهِمْ	55-54	<p>﴿ ثُمَّ إِذَا كُشِفَ الضُّرُّ عَنْكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْكُمْ بِرِيحِهِمْ يُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ لِيَكْفُرُوا بِمَا ءَاتَيْنَاهُمْ فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٥٥﴾</p>	
أَرْسَلْنَا	تَأَلَّه	63	<p>﴿ تَأَلَّه لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ فَرَزَيْنَهُمْ الشَّيْطَانَ أَعْمَالَهُمْ فَهُوَ وَلِيُّهُمْ الْيَوْمَ وَهُمْ عَدَابُ آيَمٍ ﴿٦٣﴾</p>	
شُقِيكُمْ	وَاللَّهُ أَنْزَلَ	66-65	<p>﴿ وَاللَّهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٦٥﴾ وَإِنْ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةٌ شُقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبْنَا خَالِصًا سَائِعًا لِلشَّارِبِينَ ﴿٦٦﴾</p>	

وَرَزَقَكُمْ	وَاللَّهُ	72	﴿ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ أزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِّنْ أزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ ؕ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَنِعْمَتِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ ﴿٧٢﴾ ﴾	
رَزَقْنَاهُ	وَاللَّهُ	75	﴿ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَّمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَمَنْ رَزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا هَلْ يَسْتَوُونَ ؕ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ ﴾	
نَبَعْتُ	نِعْمَتَ اللَّهِ	84-83	﴿ يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ ﴿٨٣﴾ وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا ثُمَّ لَا يُؤْذِنُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٨٤﴾ ﴾	
زِدْنَهُمْ	اللَّهُ "	88	﴿ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ زِدْنَهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ ﴿٨٨﴾ ﴾	
وَلَنَجْزِيَنَّهُ	عِنْدَ اللَّهِ	96	﴿ مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ وَلَنَجْزِيَنَّهُ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾	
وَعَايَتِنَاهُ	لفظ الجلالة "الله"	122-120	﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾ شَاكِرًا لِأَنْعَمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَيْنَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٢١﴾ وَعَايَتِنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٢٢﴾ ﴾	
بَنَرَكْنَا، ءَايَاتِنَا لِتُرِيدَهُ	سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى	01	﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَنَرَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ ءَايَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١﴾ ﴾	
وَجَعَلْنَا	رَبِّكُمْ	08	﴿ عَسَى رَبِّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا ﴾	الإسراء
فَصَلَّنَاهُ	رَبِّكُمْ	12	﴿ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ءَايَاتٍ لِّمَنْ حَمَلْنَا وَعَجَّلْنَا ءَايَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا فَضْلًا مِّنْ رَبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا	

			عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابِ وَكُلَّ شَيْءٍ فَضَّلْنَاهُ تَفْصِيلًا ﴿١٢﴾	
جَعَلْنَا	لَوْلِيَّهِ	33	﴿ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيَّهِ سُلْطَانًا فَلَا يَسْرِفُ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا ﴿٣٣﴾ ﴾	
صَرَفْنَا	أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُمْ	41-40	﴿ أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُم بِالْبَنِينَ وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنثًا إِنَّكُمْ لَنَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا ﴿٤١﴾ وَلَقَدْ صَرَفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِيَذْكُرُوا وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴿٤١﴾ ﴾	
أَرْسَلْنَاكَ	رَبُّكُمْ	54	﴿ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ إِنْ بَشَأَ يُرْحَمَكُم أَوْ إِنْ يَشَأُ يُعَذِّبَكُمْ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ﴿٥٤﴾ ﴾	
فَضَّلْنَا	وَرَبُّكَ	55	﴿ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ الَّذِينَ عَلَى بَعْضٍ وَأَتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا ﴿٥٥﴾ ﴾	
جَعَلْنَا	إِنَّ رَبَّكَ	60	﴿ وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ وَمَا جَعَلْنَا الرِّيَاءَ الَّذِي أَرَبَيْتَكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ وَنُحُوفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا ﴿٦٠﴾ ﴾	
عَلَيْنَا	يُعِيدِكُمْ	69	﴿ أَمْ أَمِنْتُمْ أَنْ يُعِيدَكُم فِيهِ تَارَةً أُخْرَى فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِنَ الرِّيحِ فَيُغْرِقَكُم بِمَا كَفَرْتُمْ ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ نَبِيْعًا ﴿٦٩﴾ ﴾	
وَنُحْشِرُهُمْ	لفظ الجلالة "الله"	97	﴿ وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِهِ وَنُحْشِرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى وُجُوهِهِمْ عُمِيَ وَبِكَمَا وَصَلْنَا مَا وَنَهُمْ جَهَنَّمَ كَمَا خَبَتِ زُنُورُهُمْ سَعِيرًا ﴿٩٧﴾ ﴾	
جَعَلْنَا	الْحَمْدُ لِلَّهِ	7-1	﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا ﴿١﴾ فَيَسَّارًا لِيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِمَّنْ لَدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ﴿٢﴾ مَلَائِكِينَ فِيهِ أَبَدًا ﴿٣﴾ وَيُنذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ	الكهف

			<p>اللَّهُ وَلَدًا ﴿٤﴾ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَائِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴿٥﴾ فَلَعَلَّكَ بَخِيعُ نَفْسِكَ عَلَيَّ ءَاثِرِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا ﴿٦﴾ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴿٧﴾ ﴿٧﴾</p>
وَزِدْنَهُمْ	رَبِّهِمْ	13	<p>﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُمْ بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَهُمْ هُدًى ﴿١٣﴾ ﴾ ﴿١٣﴾</p>
وَنَقَلِبُهُمْ	ذَلِكَ مِنْ ءَايَاتِ اللَّهِ	18-17	<p>﴿ وَتَرَى السَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَزُورُ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَتْ تَقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِنْهُ ذَلِكَ مِنْ ءَايَاتِ اللَّهِ مِنْ يَهْدِ اللَّهُ فِتْيَةً وَمَنْ يُضِلِّ فَلَنْ يَجِدَ لَهُ ءَلِيًّا مُرْشِدًا ﴿١٧﴾ وَتَحْسَبُهُمْ آيَافًا وَهُمْ رُفُودٌ وَنَقَلِبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ وَكَلْبُهُمْ بَسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَكَلِمَاتٍ مِنْهُمْ رُجْبًا ﴿١٨﴾ ﴾ ﴿١٨﴾</p>
أَغْفَلْنَا	يَدْعُونَ رَبَّهُمْ	28	<p>﴿ وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدْوَةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ. وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هُوَ. وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ﴿٢٨﴾ ﴾ ﴿٢٨﴾</p>
أَعْتَدْنَا	رَبِّكُمْ	29	<p>﴿ وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَعِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٢٩﴾ ﴾ ﴿٢٩﴾</p>
نُسِيرُ	رَبِّكَ	47-46	<p>﴿ أَلْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴿٤٦﴾ وَيَوْمَ نُسِيرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴿٤٧﴾ ﴾ ﴿٤٧﴾</p>

جِئْتُمُونَا - خَلَقْنَاكُمْ	رَبِّكَ	48	﴿ وَعَرَضُوا عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْتُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَجْعَلَ لَكُمْ مَوْعِدًا ﴿٤٨﴾ ﴾
قُلْنَا	وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ	50-49	﴿ وَوَضِعَ الْكُتُبَ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُسْفِينٍ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يُبْدِلْنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يَغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَيْنَاهَا وَوَجِدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَسَتَّخَذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا ﴿٥٠﴾ ﴾
جَعَلْنَا	بَيَّاتٍ رَبِّهِ	57	﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بَيَّاتٍ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا ﴿٥٧﴾ ﴾
أَهْلَكْنَا - وَجَعَلْنَا	وَرَبِّكَ - يُؤَاخِذُهُمْ	59-58	﴿ وَرَبُّكَ الْعَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُهُمْ بِمَا كَسَبُوا لَعَجَلَ لَهُمُ الْعَذَابَ بَلْ لَهُمْ مَوْعِدٌ لَنْ يَجِدُوا مِنْ دُونِهِ مَوْيلًا ﴿٥٨﴾ وَتِلْكَ الْقُرَىٰ أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَمَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِمْ مَوْعِدًا ﴿٥٩﴾ ﴾
نُفِيمٌ	رَبِّهِمْ - وَلِقَائِهِ	105	﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بَيَّاتٍ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُفِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزَنًا ﴿١٠٥﴾ ﴾

ومن أمثلة هذا النوع من الاتفات ما ورد في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجَالَ سَيئَاهُمْ

غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذَلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ ﴿١٥٢﴾ [الأعراف: 152].

يظهر الاتفات في قوله: ﴿رَبِّهِمْ﴾ بصيغة الغيبة، ثم تحول إلى التكلم في قوله: ﴿نَجْزِي﴾ وظاهر السياق يقتضي "يجزي" للمحافظة على صيغة الغيبة، لكن عُذِلَ إلى التكلم فما الداعي لذلك؟.

ضمير الغيبة "هم" في لفظة ﴿رَبِّهِمْ﴾ دل على الغضب الإلهي من العباد الذين اتخذوا عبادة العجل من دون الله تعالى، والغضب الذي نالهم هو «ما أمروا به من قتل أنفسهم، والذلة: خروجهم من ديارهم لأن ذل الغربة مثل مضروب»⁽¹⁾.

وحينما تحدث عن الجزاء استعمل كلمة "نجزي" أي: نحن نجزي المكذبين على الله، في الآخرة وبالذل في الحياة الدنيا، فجاء بصيغة التكلم لأن «كل صاحب بدعة ذليل»⁽²⁾.

ويؤكد الطاهر ابن عاشور هذا الكلام بقوله: «وكذلك نجزي المفتريين، خطاب من جانب الله في القرآن... حكاية كلام موسى فأخبر بأنه يجازي كل مفتر بمثل ما أخبر به موسى عن مفتري قومه»⁽³⁾. إن في لفظ "فنجزي" قوة تتضمن كل مفتر على الله تعالى إلى يوم القيامة⁽⁴⁾.

ولفظة "ربهم" أفادت حديثه -عز وجل- لموسى عليه السلام بما فعله قومه من عبادة العجل، ولما أراد الحديث عن الجزاء استعمل "نجزي" بصيغة التكلم ليفيد أن عذاب الله تعالى سيقع ليجزي المفتريين كما وقع لعبدة العجل.

ومنه قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿٦٩﴾ مَتَّعُ فِي الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ نَذِقُهُمُ الْعَذَابَ الشَّدِيدَ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴿٧٠﴾﴾ [يونس 70-79].

يظهر الالتفات في قوله تعالى: ﴿يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ﴾ في لفظ الجلالة "الله" بصيغة الغيبة، ثم التفت الخطاب إلى صيغة التكلم في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ نَذِقُهُمُ﴾ أي في لفظي "إلينا، نذيقهم".

وظاهر السياق يفترض الاستمرار بصيغة الغيبة: "ثم إلى الله مرجعهم ثم يذيقهم"، فلماذا تحول الخطاب إلى صيغة التكلم؟.

(1) _الكشاف: الزمخشري، ج2، ص 512.

وينظر: _تفسير القرآن العظيم: ابن كثير، ج6، ص 397.

(2) _جامع البيان عن تأويل آي القرآن (تفسير الطبري): الطبري، ج10، ص 465.

وينظر: _روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: الألوسي، ج9، ص 70.

(3) _التحرير والتنوير: الطاهر ابن عاشور، ج9، ص 119.

(4) _المحرر الوجيز في كتاب الله العزيز: ابن عطية الأندلسي، ج2، ص 458.

عندما ذكر الله تعالى، افتراءات الكافرين المتعددة بنسبة الولد إليه، فمنهم من ادعى بأن الملائكة بنات لله، ومنهم من ادعى بأن العزيز ابن لله، ومنهم من ادعى بأن المسيح ابن مريم ولد له، جاء الخطاب القرآني لينفي هذه الإدعاءات، ويؤكد عدم فلاحهم، وأنهم سيتمتعون في الحياة الدنيا متاعاً قليلاً، ثم سيرجعون إليه تعالى ليلاقوا جزاء ما كذبوا ونسبوا إليه من ولد.

يقول الألوسي واصفاً متاع الدنيا الحقيق: « هو أو ذلك متاع حقير قليل في الدنيا وليس بفوز بالمطلوب؛ ثم أشير إلى انتفاء النجاة عن المكروه... بسبب كفرهم المستمر أو بكفرهم في الدنيا فأين هم من الفلاح»⁽¹⁾.

فلما حكى الله تعالى افتراء هؤلاء القوم، ونسبة الولد له، ذكرهم بصيغة الغيبة عن طريق الحكاية لرسول الله ﷺ، فاستعمل لفظ " يفترون على الله " ليظهر بطلان قولهم، وعدم فلاحهم في الدنيا والآخرة، رغم ما يتمتعون به من حياة كريمة.

ثم لا بد من الموت، والرجوع إلى الله عز وجل، عندئذ تحول الخطاب باستعمال ضمير المتكلم في: " إينا، نذيقهم " ليؤكد على أن الجزاء من جنس العمل، وعملهم كان من أبشع الأعمال وأحقرها، فالعقاب سيكون شديداً بدلالة استعمال حرف " النون " في: " إينا، " نذيقهم "، التي أثبتت العذاب الحاصل لهم بسبب كفرهم وافتراءهم وكذبهم على الله فيما ادعوه من نسبة الولد له.

ويأخذ هذا النوع من الالتفات أغراضاً شتى ومعانٍ مختلفة كالتهديد والترهيب والتخويف والتذكير بسوء العاقبة، كما في قوله تعالى: ﴿ يَأْتِرْهِمْ أَعْرَضَ عَنْ هَذَا إِنَّهُ قَدْ جَاءَ أَمْرٌ رَبِّكَ وَإِنَّهُمْ عَنِ عَذَابٍ عِزٍّ مَرْدُودٍ ﴾^(٧٦) وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِئَاءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ ﴿٧٧﴾ [هود: 76-77].

يظهر الالتفات في هذه الآية في قوله تعالى: ﴿ جَاءَ أَمْرٌ رَبِّكَ ﴾ بصيغة الغيبة، ثم تحول إلى التكلم في قوله: ﴿ رُسُلُنَا ﴾ ولو بقي السياق بصيغة الغيبة لاقتضى أن تكون الآية على النحو الآتي: « جاءت رسل ربك ».

(1) _ روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: الألوسي، ج11، ص156، وينظر أيضاً: _التحرير والتنوير: الطاهر ابن عاشور، ج11، ص233، -البحر المحيط: أبو حيان الأندلسي، ج5، ص175، -إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن العظيم: أبو السعود العمادي، ج4، ص163.

-تفسير القرآن العظيم: ابن كثير، ج7، ص384.

فما السبب وراء هذا التحول في صيغة الخطاب؟.

ورد الخطاب في بداية الآية من الملائكة إلى سيدنا إبراهيم عليه السلام، تنهأ عن الجدل والمحاورة، لأن أمر الله قد جاء بعذاب قوم لوط؛ وهو عذاب غير مردود ⁽¹⁾. و«إنهم أتاهم» بلفظ الماضي، و«عذاب» فاعل به، عبر بالماضي عن المضارع لتحقيق وقوعه ⁽²⁾.

ولكن عندما تحول الخطاب الذي كان في بداية الآية بين إبراهيم والملائكة، ظهر في الآية الثانية [هود: 77]، حديثاً للرسول ﷺ، حيث يخبره الله عز وجل بما فعله قوم لوط، وهذا تخفيفاً عليه وحثه على تحمل الصعاب لمواجهة الكفار، لأن كل الرسل قبله، قد لقوا من أقوامهم: التكذيب والكفر والتعذيب والإساءة وسوء المعاملة؛ لهذا قال تعالى "رسلنا" بصيغة المتكلم.

فالملائكة أتوا في صورة بشر، فظنهم أناساً وخشي أن يعتدي عليهم قومه: ﴿أَيُّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ بِجَهَلُونَ﴾ [النمل: 55].

فكانوا في «أجمل صورة تكون على هيئة شبان حسان الوجوه، ابتلاء من الله وله الحكمة والحجة البالغة» ⁽³⁾.

ووصف ذلك اليوم بأنه "يوم عصيب"، لما توقعه من اعتداء قومه على ضيوفه، قبل أن يعلم أنهم ملائكة.

فاختلف السياق باختلاف المخاطب، الذي عبر عنه أولاً بالملائكة، وثانياً بالرسول ﷺ، فجاء بصيغة الغيبة تذكيراً له بما حدث لإبراهيم عليه السلام وضيوفه، ثم انتقل الخطاب إلى صيغة التكلم لتكملة بقية القصة، قصة قوم لوط والملائكة.

ومن مواضع هذا الالتفات في سورة يوسف قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا دَخَلُوا مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُمْ مَا كَانَ يُغْنِي عَنْهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا حَاجَةٌ فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَاهَا وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَاهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يوسف: 68].

ظهر الالتفات في هذا المثال بصيغة الغيبة في قوله تعالى: ﴿يُغْنِي عَنْهُمْ مِنَ اللَّهِ﴾، وهذا بضمير

⁽¹⁾ _ جامع البيان عن تأويل آي القرآن (تفسير الطبري): الطبري، ج 12، ص 494.

⁽²⁾ _ البحر المحيط: أبو حيان الأندلسي، ج 5، ص 246.

⁽³⁾ _ تفسير القرآن العظيم: ابن كثير، ج 7، ص 454.

الغيبية في لفظ الجلالة، ثم تحول إلى استعمال صيغة المتكلم في قوله: ﴿عَلَّمَنَّهُ﴾ وظاهر السياق أن تأتي الآية: "لما علمه الله".

لما دخل أولاد يعقوب عليه السلام مصر من أبواب متفرقة، كما أمرهم والدهم خشية العين عليهم، وذلك لأنهم كانوا ذوو جمال وهيئة حسنة، فخشى أن يصيبهم الناس بعيونهم⁽¹⁾.

وما كان دخولهم ليدفع عنهم الحسد، فلا رادّ لقضاء الله إن أراد أن يحاط بهم، لكن يعقوب عليه السلام كان يريد أن يعلم أولاده الأخذ بالأسباب مع التوكل على الله - عز وجل -، فعلمه الذي علمه له الله لا حدود له: «وهو ثناء على يعقوب عليه السلام بالعلم والتدبر، وأن ما أسداه من النصح لهم هو من العلم الذي أتاه الله وهو من علم النبوة»⁽²⁾.

ومما يؤكد هذا التعليل قراءة الأعمش (مما علمناه): «في تأكيد الجملة بأن واللام وتنكير (علم) وتعليله بالتعليم المسند إلى ضمير العظمة من الدلالة على جلالة شأن يعقوب عليه السلام وعلو مرتبة علمه وفخامته ما لا يخفى»⁽³⁾.

فلما كان الخطاب في أول الآية حديثاً عن يعقوب وأولاده، لمّا أمرهم أن يدخلوا من أبواب متفرقة حرصاً عليهم؛ وتعليلاً لهم بالأخذ بالأسباب مع العلم أن قضاء الله لا يرد، جاء الخطاب بصيغة الغيبية ﴿يُعْنِي عَنْهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ﴾، ولكن عندما تحول الخطاب للحديث عن الذات الإلهية التي علمت يعقوب العلم وأعطته النبوة؛ استعملت صيغة التكلم في ﴿عَلَّمَنَّهُ﴾ أي علمناه نحن العلم، هذا العلم الذي خفي عن أكثر الناس، ضف إلى ذلك هذه "النون" في ﴿عَلَّمَنَّهُ﴾ نون تدل على عظمة الله وقدرته - عز وجل - في إعطاء عباده النعم المختلفة.

ومن صور الالتفات في سورة إبراهيم قوله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعُوا فَإِن مَّصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ ﴿٣٠﴾ قُلْ لِعِبَادِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعَ فِيهِ وَلَا خِلَالٌ ﴿٣١﴾﴾ [إبراهيم: 30-31].

يظهر الالتفات في هذا المثال بصيغة الغيبية في: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا﴾، وبعد ذلك التفت

(1) - تفسير القرآن العظيم: ابن كثير، ج8، ص 57.

(2) - التحرير والتنوير: الطاهر ابن عاشور، ج13، ص 25.

(3) - روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: الألوسي، ج13، ص 21.

تعالى للتكلم في ﴿ قُلْ لِعِبَادِيَ ﴾، بضمير التكلم-الياء- والتقدير: " قل لعبادي أنا " لكن إذا استمر الخطاب على صيغة الغيبة، تصبح الآية " قل لعباد الله"، حتى تتناسق مع ما قبلها.

لكن الله تعالى « خصهم بالإضافة إليه تعالى رفقا لهم وتشريفا وتنبیها على أنهم المقيمون لوظائف العبودية الموفون بحقوقها»⁽¹⁾، وهذا بعد ما جعل له الكافرون الأنداد في العبودية؛ فتركهم يتمتعون بالحياة الدنيا، لكن مصيرهم في النهاية جهنم خالدون فيها.

ويؤكد الرازي الكلام السابق بقوله: « لما أمر الكافرين على سبيل التهديد والوعيد بالتمتع بنعم الدنيا، أمر المؤمنين في هذه الآية بترك التمتع بالدنيا والمبالغة في المجاهدة بالنفس والمال»⁽²⁾، ﴿ مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خِلَالٌ ﴾ [إبراهيم: 31].

ولما كان الحديث عن الكفار وحبهم متاع الحياة الدنيا، وجعلهم الله أندادا، تحدث عنهم المولى بصيغة الغيبة، تهديدا لهم بأن مصيرهم إلى النار، وحينما تحدث عن المؤمنين أضافهم إليه ياء التكلم " عبادي" ليشعرهم برحمته وأنهم من أصحاب الجنة لقوله تعالى: ﴿ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَٰكِن تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ٢٤ ﴾ وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبْلُ وَأَنُؤُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٥﴾ [البقرة: 24 - 25]

ومن روائع الالتفات ما ورد في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ ﴿٨٦﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْءَانَ الْعَظِيمَ ﴿٨٧﴾ ﴾ [الحجر: 86-87].

يظهر الالتفات بصيغة الغيبة في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ ﴾، وبصيغة التكلم في قوله تعالى: ﴿ ءَاتَيْنَاكَ ﴾، والسياق يقتضي الاستمرار بالغيبة على النحو: " ولقد أتاك ربك " لكن لماذا التفت إلى التكلم؟.

ورد في أسباب النزول للواحد، أن سبب نزول هذه الآية ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي ﴾

⁽¹⁾ _ روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: الألوحي، ج13، ص 220.

وينظر: _ إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم: أبو السعود العمادي، ج5، ص 46.

⁽²⁾ _ التفسير الكبير ومفاتيح الغيب: فخر الدين الرازي، ج19، ص 126، 127.

وَالْقُرْءَانَ الْعَظِيمَ ﴿ [الحجر: 87]، قول الحسين بن الفضل: « إن سبع قوافل وافت من بصرى وأذرعات ليهود قريضة والنضير في يوم واحد، فيها أنواع من البرّ، وأوعية الطيب والجواهر، وأمتعة البحر، فقال المسلمون: لو كانت هذه الأموال لنا لتقويننا بها، فأنفقناها في سبيل الله، فأنزل الله تعالى هذه الآية وقال: لقد أعطيتكم سبع آيات، هي خير لكم من هذه السبع القوافل، ويدل على صحة هذا، قوله على أثرها: ﴿ لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الحجر: 88]»⁽¹⁾.

يقول تعالى مذكرا نبيه محمد ﷺ؛ إن ربك هو الذي خلق الخلق وهو العالم بهم، وبما يأتون من أفعال وأقوال، وخلقه لا يضاويه خلق، هذا ما دلّت عليه صيغة المبالغة " الخلاق " والتي تعني الكثرة في كل شيء ومن هذه النعم التي خص بها نبيه محمد ﷺ ﴿ ءَاتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْءَانَ الْعَظِيمَ ﴾. يقول الرازي في هذه الآية: « اعلم أنه تعالى لما صبره على أذى قومه وأمره بأنه يصفح الصفح الجميل، أتبع ذلك بذكر النعم العظيمة التي خص الله تعالى محمدا ﷺ بها، لأن الإنسان إذا تذكر كثرة نعم الله عليه سهل عليه الصّبح والتجاوز»⁽²⁾.

فكلما كان الحديث عن الكفار وأعمالهم استعمل صيغة الغيبة فاختار قوله: " إن ربك " دون " إن الله " « للإشارة إلى أن الذي هو ربه ومدبر أمره لا يأمر إلا بما فيه صلاحه؛ ولا يقدر إلا ما فيه خيره»⁽³⁾.

وعندما تحدث عن عطاءه تعالى استعمل فعل " أتيناك " بصيغة التكلم، دون " أوحينا " أو " أنزلنا"، لأن في الإتيان دلالة على العطاء الوفير، والله عز وجل أعطاه ﴿ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي ﴾⁽⁴⁾

(1) _ أسباب النزول: الواحدي، ص 283.

(2) _ التفسير الكبير ومفاتيح الغيب: فخر الدين الرازي، ج19، ص 211.

(3) _ التحرير والتنوير: الطاهر ابن عاشور، ج14، ص 79.

(4) _ اختلف في "السبع المثاني" والرأي الراجح: أنها سبع آيات من سورة الفاتحة.

ينظر: _ التفسير الكبير ومفاتيح الغيب: فخر الدين الرازي، ج11، ص 211.

-روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: الألوسي، ج14، ص 78.

-تفسير القرآن العظيم: ابن كثير، ج8، ص 274.

-جامع البيان عن تأويل آي القرآن (تفسير الطبري): الطبري، ج14، ص 107.

-التحرير والتنوير: الطاهر ابن عاشور، ج14، ص 80.

﴿وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ﴾.

ومن أمثلة الالتفات في سورة النحل، قوله تعالى: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَمَنْ رَزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا هَلْ يَسْتَوُونَ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (٧٥) [النحل: 75].

ومما ذكر في سبب نزولها: «عن عكرمة ابن عباس قال نزلت هذه الآية ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ﴾ في هشام بن عمرو، وهو الذي يُنْفِقُ ماله سِرًّا وَجَهْرًا، ومولاه أبو الجوزاء الذي كان ينهاه»⁽¹⁾.

يظهر الالتفات في قوله تعالى ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا﴾ التي أتت بصيغة الغيبة، ثم انتقل إلى صيغة التكلم في قوله ﴿رَزَقْنَاهُ مِنَّا﴾ وظاهر السياق يقتضي "يرزقه رزقًا" فما سر الالتفات من خطاب الغيبة إلى التكلم؟.

ضرب الله تعالى لنا مثالاً بين الكافر والمؤمن؛ فالكافر لا يطيع الله، ولا ينفق من ماله شيئاً في سبيله، وأما المؤمن الصالح التقي فيأتمر بأوامره، ويتجنب نواهيه، وينفق في سبيله سرا وعلانية، فهل يستويان: «فإذا كان هذان لا يستويان عندكم مع كونهما من جنس واحد، ومشتركين في الإنسانية فكيف تشركون بالله وتسوون به من هو مخلوق له مقهور بقدرته من آدمي وغيره مع تباين الأوصاف»⁽²⁾.

في ضرب المثل بين العبد المؤمن المنفق في سبيل الله، استعملت صيغة التكلم، وأما العبد الكافر العاصي الغير المنفق في سبيل الله، فاستعملت صيغة الغيبة «والالتفات إلى التكلم للإشعار باختلاف حال ضرب المثل والرزق»⁽³⁾.

فرزق الله غير محدود ولا معدود، فأنسب صيغة للحديث عنه التكلم؛ وفي اختيار ضمير العظمة تعظيم لأمر ذلك الرزق، ويزيده قوة عند قوله تعالى: ﴿مِنَّا﴾ أي «من جنابنا الكبير المتعالي»⁽⁴⁾.

(1) _ أسباب النزول: الواحدي، ص 286.

(2) _ البحر المحيط: أبو حيان التوحيدي، ج 5، ص 503.

(3) _ إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم: أبو السعود العمادي، ج 5، ص 129.

(4) _ روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: الألوسي، ج 14، ص 195.

لقد وضّح السياق في هذه الآية سبب تغير الخطاب من الغيبة إلى التكلم، ففي ضرب المثل والإخبار عن الكافر العاصي كان حديثه بصيغة الغيبة، وعندما تحول الخطاب إلى التكلم ليرز لهذا المؤمن أن ما تنفق من شيء في سبيل الله فهو من فضله ورزقه.

وفي قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ وَمَا جَعَلْنَا الرُّءْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ وَنُحُوفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا﴾ [الإسراء: 60].

مما ورد في سبب نزول هذه الآية قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ وَمَا جَعَلْنَا الرُّءْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ﴾، أن: «عن أم هانئ: أنه ﷺ لما أسري به، أصبح يحدث نفرًا من قريش وهم يستهزؤون به، فطلبوا منه آية، فوصف لهم بيت المقدس، وذكر لهم قصة العير، فقال الوليد بن المغيرة: هذا ساحر، فأنزل الله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا الرُّءْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ﴾⁽¹⁾.

وأما سبب نزول قوله تعالى: ﴿وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ وَنُحُوفُهُمْ﴾ «عن عكرمة عن ابن عباس أنه قال: لما ذكر الله تعالى الزقوم في القرآن خوّف به هذا الحي من قريش فقال أبو جهل: هل تدرون ما هذا الزقوم الذي يخوّفكم به محمد؟ قالوا: لا، قال: الثريد بالزبد، أما والله لئن أمكننا منها لنتزقمنه تزقما، فأنزل الله تبارك وتعالى ﴿وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ﴾ يقول: المدمومة ﴿وَنُحُوفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا﴾⁽²⁾.

ويظهر الالتفات في قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ﴾ بصيغة الغيبة، ثم الانتقال إلى صيغة المتكلم في قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا﴾، وظاهر السياق يفترض "وما جعل ربك".

يقول تعالى مخاطبا نبيه محمد: إن ربك أحاط بالناس قدرة، فهم في قبضته ولن يستطيعوا فعل شيء لك، لأنك محمي من قبل الله، وهذا بسبب حزن الرسول ﷺ، جزاء تكذيب قومه له، وأن الله سوف ينصره لا محالة، لهذا: «عبّر بصيغة المضى للتنبيه على تحقيق وقوع إحاطة الله بالناس في المستقبل القريب»⁽³⁾.

ثم تغير الخطاب باستعمال صيغة التكلم ﴿جَعَلْنَا﴾ الرؤيا التي رآها النبي ﷺ «من مصرع أعداء

(1) _ لباب النقول في أسباب النزول: بهامش تفسير الجلالين،: السيوطي، ص 281.

(2) _ أسباب النزول: الواحدي، ص 296.

(3) _ التحرير والتنوير: الطاهر ابن عاشور، ج 15، ص 146.

الله من القرشيين في يوم بدر الكبرى»⁽¹⁾، وقيل في ما رآه النبي ﷺ رؤيا العين في السماء ليلة أسري به⁽²⁾.

لقد أفاد الانتقال من الغيبة إلى التكلم الترهيب والتخويف تذكيرا بجهنم، وما جعلنا هذه الرؤيا التي رآها الرسول ﷺ والشجرة الملعونة في القرآن، إلا فتنة للناس حتى يأخذوا العبرة، إلا أن هذا التخويف زادهم طغياناً وكفراً.

فكان الالتفات بصيغة الغيبة "ريك" عندما أخطر الله - عز وجل - نبيه محمد ﷺ بأعمال قومه وأنه سينصره لا محالة، وعند الحديث عن الجزاء وجهنم والشجرة الملعونة استعمل صيغة التكلم، و"نون العظمة" في "جعلنا" التي أكدت قدرة الله تعالى على الخلق والجزاء والعقاب.

وفي قوله تعالى: ﴿وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ، وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدَ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ [الكهف: 28]

يظهر الالتفات في قوله تعالى: ﴿يَدْعُونَ رَبَّهُمْ﴾ بصيغة الغيبة، ثم ينتقل الخطاب ليستعمل صيغة التكلم في قوله: ﴿أَغْفَلْنَا﴾ فما مردّ هذا الالتفات؟.

ذكر سبب الواحدي سبب نزول هذه الآية قائلاً: «جاءت المؤلفة قلوبهم، فقالوا يا رسول الله، إنك لو جلست في صدر المجلس ونحيت عنا هؤلاء وأزواج جبابهم وفقراء المسلمين، وكانت عليهم جباب الصوف ولم يكن عليهم غيرها؛ جلسنا إليك وحادثناك وأخذنا عنك فأنزل الله تعالى: ﴿وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾... فقام النبي يلمسهم حتى إذا أصابهم في مؤخر المسجد يذكرون الله، قال: الحمد لله الذي لم يُمتني حتى أمرني أن أصبر نفسي مع رجال من أمتي، معكم الحيا، ومعكم الممات»⁽³⁾.

فكفار قريش يطلبون من محمد ﷺ أن يبعد عن نفسه الفقراء من المسلمين وهم يعنون "عمارا"

(1) _ الكشاف: الزمخشري، ج3، ص 527.

(2) _ ينظر: _ تفسير القرآن العظيم: ابن كثير، ج9، ص 37.

_ روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: الألوسي، ج15، ص 105.

(3) _ أسباب النزول: الو احدي، ص 305، 306.

و"صهيبا" و"سلمان" و"ابن مسعود" و"بلال"⁽¹⁾ حتى لا يجالسوه ويصاحبوه.

أما أغنياء قريش وكبار القوم ووجهاءهم، فكانوا يهتمون بالمال وكثرة الإبل ورفعة المكانة والمظهر الحسن، عكس فقراء المسلمين الذين كان همهم ذكر الله وإقامة الصلوات، فعبر عن ذلك كله بصيغة الغيبة.

وعندما تحول الخطاب إلى الرسول ﷺ استعملت صيغة التكلم في قوله تعالى: ﴿وَلَا تُطَع مَنَ أَغْفَلْنَا﴾، من جعلنا قلبه غافلاً عن الذكر والتفكير، وهذه الغفلة تقود للإشراك بالله - عز وجل - يقول في ذلك الطاهر ابن عاشور: « والمراد بإغفال القلب جعله غافلاً عن التفكير في الوجدانية حتى راج فيه الإشراك، فإن ذلك ناشئ عن خلقة عقول ضيقة التبصر مسوقة بالهوى والإلف»⁽²⁾.

إن الملاحظ على الأمثلة السابقة، هو وجود حرف " النون " في الكلمات الآتية: "نجزي"، "إلينا"، "نذيقهم"، "رسلنا"، "علمناه"، "آتيناك"، "رزقناه"، "جعلنا"، "أغفلنا".

هذه "النون" التي أطلق عليها "نون العظمة"، والدالة على قدرته وعلمه الواسع.

(1) _ البحر المحيط: أبو حيان الأندلسي، ج6، ص 113.

(2) _ التحرير والتنوير: الطاهر ابن عاشور، ج15، ص 306.

وينظر: -الكشاف: الزمخشري، ج، ص 582.

ثانيا- الالتفات من التكلم إلى الغيبة:

هذا النوع من الالتفات ورد في [56 آية]، كما سيوضح في الجدول، وسأورد بعض الأمثلة التي وضحت العلاقة بين الالتفات والسياق، وخاصة الآيات التي ذكر فيها سبب النزول:

السورة	الآية	الرقم	التكلم	الغيبة
الأعراف	﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَكِئِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ ﴿١١﴾ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ ﴿١٢﴾﴾	11-12	خَلَقْنَاكُمْ	قَالَ
	﴿يَبْنَئِ عَادَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ لِبَاسًا يُورِي سَوَاءَ بَعْضِكُمْ وَرِدِيًّا وَلِبَاسُ الْفَقْرَى ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿٦٦﴾﴾	26	أَنْزَلْنَا	اللَّهُ
	﴿أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَن يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيِّنًا وَهُمْ نَائِمُونَ ﴿٩٧﴾ أَوْ آمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَن يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يُلْعَبُونَ ﴿٩٨﴾ أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٩٩﴾﴾	97-99	بَأْسُنَا	مَكْرَ اللَّهِ
	﴿تِلْكَ الْقُرَىٰ نَقِصُ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبِيَآهَا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِن قَبْلُ كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ الْكَافِرِينَ ﴿١٠١﴾﴾	101	نَقِصُ	اللَّهُ
	﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِاللِّسَانِ وَنَقِصَ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣٠﴾ فَإِذَا جَاءَتْهُمْ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَىٰ وَمَنْ مَعَهُ ۗ إِلَّا إِنَّمَا طَّيَّرَهُمْ عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣١﴾﴾	130-131	أَخَذْنَا	عِنْدَ اللَّهِ
	﴿وَأَوْزَنَّا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضَفُونَ	137	وَأَوْزَنَّا	رَبِّكَ

			<p>مَشْكِرَ الْأَرْضِ وَمَعْرِبَهَا الَّتِي بَرَكْنَا فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا وَدَمَرْنَا مَا كَانَتْ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ ﴿١٣٧﴾</p>
رَبِّكُمْ	أُنجيتكم	141	<p>﴿ وَإِذْ أُنجَيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُقْتُلُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ فِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿١٤١﴾</p>
رَبِّهِ	وَوعدنا، وَأْتَمَمْنَاهَا	142	<p>﴿ وَوَعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتَمَمْنَاهَا بِعَشْرِ فِتْمَ مِيقَتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ أَخْلِفْ فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ ﴿١٤٢﴾</p>
رَبُّهُ	لِمِيقَاتِنَا	143	<p>﴿ وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ نَرِنِي وَلَكِنْ أَنْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ نَرِنِي فَلَمَّا جَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ بُتُّ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٤٣﴾</p>
وَرَسُولِهِ	إِنِّي	158	<p>﴿ قُلْ يَتَّيِّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَتَآمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الَّذِي الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾</p>
أَخَذَ رَبُّكَ	نَنقَنَّا، مَا ءَاتَيْنَاكُمْ	171-172	<p>﴿ وَإِذْ نَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ وَظَنُوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ</p>

			<p>لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧٦﴾ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ ﴿١٧٧﴾ ﴿١٧٦﴾</p>	
يَهْدِي اللَّهُ	بَيَّأَيْنَنَا	178-177	<p>﴿ سَاءَ مَثَلًا الْقَوْمُ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَأَنفُسُهُمْ كَانُوا يَظْلِمُونَ ﴿١٧٧﴾ مِنْ يَهْدِي اللَّهُ فَمَا لَهُ مَهْتَدَىٰ وَمَنْ يَضِلَّ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿١٧٨﴾ ﴾</p>	
رَبِّهِمْ	أَوْحَيْنَا	02	<p>﴿ أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ رَجُلٍ مِنْهُمْ أَنْ أَنْذِرِ النَّاسَ وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ قَالَ الْكَافِرُونَ إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ مُبِينٌ ﴿٢﴾ ﴾</p>	
رَبِّهِمْ	لِقَاءَنَا ، ءَايَاتِنَا	9-7	<p>﴿ إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنَّنُوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ ءَايَاتِنَا غَافِلُونَ ﴿٧﴾ أُولَٰئِكَ مَا لَهُمْ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ تَجْرَىٰ مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿٩﴾ ﴾</p>	يونس
يَدْعُوا ، وَيَهْدِي	أَنْزَلْنَاهُ ، أَمْرُنَا فَجَعَلْنَاهَا نَفْصِلُ	25-24	<p>﴿ إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَدِرُونَ عَلَيْهَا أَتْنَاهَا أَمْرًا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَنْ لَمْ تَغْرُبِ بِالْأَمْسِ كَذَٰلِكَ نَفْصِلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾ وَاللَّهُ يَدْعُوا إِلَىٰ دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٢٥﴾ ﴾</p>	

46	فَالَيْتَنَا ، رَبِّتَكَ	اللَّهِ	﴿ وَإِنَّمَا رَبُّنَا الَّذِي نَعْبُدُهُمْ أَوْ نَتُوفِّيكَ فَايْتَنَا مَرَّجِعُهُمْ ثُمَّ اللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ ﴿٤٦﴾ ﴾	
61	كُنَّا	رَبِّكَ	﴿ وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ نُقِضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴿٦١﴾ ﴾	
93	بَوَّأْنَا ، وَرَزَقْنَاهُمْ	رَبِّكَ	﴿ وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مُوسَىٰ صِدْقٍ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ فَمَا اخْتَلَفُوا حَتَّىٰ جَاءَهُمُ الْعِلْمُ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٩٣﴾ ﴾	
94	أَنْزَلْنَا	رَبِّكَ	﴿ فَإِن كُنْتَ فِي شَكٍّ مِّمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَسْئَلِ الَّذِينَ يَقْرَءُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿٩٤﴾ ﴾	
97-99	كَشَفْنَا	رَبِّكَ	﴿ وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّىٰ يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴿٩٧﴾ فَلَوْلَا كَانَتْ قَرِينَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلَّا قَوْمَ يُوسُفَ لَمَّا ءَامَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخَرْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَنَتَقْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٩٨﴾ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مِنَ فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرَهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴿٩٩﴾ ﴾	
66	بَجَّعْنَا	رَبِّكَ	﴿ فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا بَجَّعْنَا صَالِحًا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَمِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ ﴿٦٦﴾ ﴾	هود
82-83	جَعَلْنَا	رَبِّكَ	﴿ فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَلَيْهَا سَابِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ مَنضُودٍ ﴿٨٢﴾ مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴿٨٣﴾ ﴾	

﴿ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ لَمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتَابُعٍ ﴾ (١٠١)	101	ظَلَمْنَاهُمْ	دُونِ اللَّهِ
﴿ وَمَا نُؤَخِّرُهُ إِلَّا لِأَجَلٍ مُعَدَّدٍ ﴿١٠٤﴾ يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ ﴿١٠٥﴾ ﴾	105-104	نُؤَخِّرُهُ	إِلَّا بِإِذْنِهِ
﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَاخْتَلَفَ فِيهِ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَفُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِمَّنْ مَرِيءٍ ﴾ (١١٠)	110	آتَيْنَا	رَبِّكَ
﴿ فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُوا بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ ﴾ (١١٦) وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلِهَا مُصْلِحُونَ ﴿١١٧﴾ ﴾	117-116	أَنْجَيْنَا	رَبُّكَ لِيُهْلِكَ
﴿ وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢١﴾ ﴾	21	مَكَّنَّا لِيُوسُفَ	غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ
﴿ فَبَدَأَ بِأَوْعِيَّتِهِمْ قَبْلَ وَعَاءِ أَخِيهِ ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِنْ وَعَاءِ أَخِيهِ كَذَلِكَ كَدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَن نَّشَاءُ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴿٧٦﴾ ﴾	76	كَدْنَا	يَشَاءَ اللَّهُ
﴿ الرَّ كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ	01	أَنْزَلْنَاهُ	رَبِّهِمْ

يوسف

إبراهيم

			الظلمت إلى النور بإذن ربهم إلى صراط العزیز الحمید ﴿١﴾	
فیضلاً، یشاءً، ویهدی، وهو	أرسلنا	04	﴿ وما أرسلنا من رسولٍ إلا بلسان قومیه لیبیک لهم فیضلاً الله من یشاء ویهدی من یشاء وهو العزیز الحکیم ﴿٤﴾ ﴾	
بآیة الله	أرسلنا	05	﴿ ولقد أرسلنا موسىٰ بآیةنا أن أخرج قومک من الظلمت إلى النور وذكرهم بآیة الله أن فی ذلك لآیة لكل صبارٍ شكورٍ ﴿٥﴾ ﴾	
الله	فعلنا، وضربنا	46-45	﴿ وسکنتم فی مسکن الذین ظلموا أنفسهم وبتین لکم کیف فعلنا بهم وضربناکم الأمثال ﴿٤٥﴾ وقد مکروا مکرهم وعند الله مکرهم وإن کانت مکرهم لتزول منه الجبال ﴿٤٦﴾ ﴾	
ربک	علمنا	25-24	﴿ ولقد علمنا المستقدمین منکم ولقد علمنا المستخرین ﴿٤٤﴾ وإن ربک هو بحشرهم إنه حکیم علیم ﴿٤٥﴾ ﴾	
ربک	خلقنا	86-85	﴿ وما خلقنا السموات والأرض وما بینهما إلا بالحق وإن الساعة لآیة فاصفح الصفح الجمیل ﴿٨٥﴾ إن ربک هو الخلق العلیم ﴿٨٦﴾ ﴾	العبر
مع الله	کفینک	96-95	﴿ إنا کفینک المستزیرین ﴿٩٥﴾ الذین یجعلون مع الله إلهاء آخر فسوف یعلمون ﴿٩٦﴾ ﴾	
ربک	نعلم	98-97	﴿ ولقد نعلم أنك یضیق صدرك بما یقولون ﴿٩٧﴾ ﴾	

			﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ ﴿١٨﴾ ﴾	
	بَعَثْنَا	36	﴿ وَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَّنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فسيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكذِّبِينَ ﴾	
وَلَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ	فَإِنِّي	52-51	﴿ وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا لِلنَّهْيِ أَتَيْنَ إِنَّمَا هُوَ إِلَهُ وَاحِدٌ فَإِنِّي فَارِهِون ﴿٥١﴾ وَلَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَهُ الدِّينُ وَأَصْبَأُ أَفْعَرَ اللَّهُ نُنْقُونَ ﴿٥٢﴾ ﴾	
تَاللَّهِ	رَزَقْنَهُمْ	56	﴿ وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيبًا مِّمَّا رَزَقْنَهُمْ تَاللَّهِ لَشَتَّىٰ عَمَّا كُنتُمْ تَفْتَرُونَ ﴿٥٦﴾ ﴾	
وَاللَّهُ أَنْزَلَ	أَنْزَلْنَا	65-64	﴿ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٦٤﴾ وَاللَّهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْبَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾	النحل
وَيَوْمَ نَبِّئُهُمْ	وَيَوْمَ نَبِّئُهُمْ، وَجِئْنَا، وَنَزَّلْنَا	90-89	﴿ وَيَوْمَ نَبِّئُهُمْ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِّنْ أَنفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَؤُلَاءِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَبْيِينًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾ ﴾	
وَاللَّهُ	بَدَّلْنَا	101	﴿ وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَّكَانَ آيَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾ ﴾	
إِنَّهُ هُوَ	بَنَرْنَا،	01	﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ	الإسراء

	لِنُرِيَهُ		أَلْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَنَيْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١﴾
رَبِّكُمْ	وَجَعَلْنَا	12	﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَاتٍ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ وَكُلُّ شَيْءٍ فَضْلَانُهُ تَفْصِيلًا ﴿١٢﴾﴾
رَبِّكَ	أَهْلَكْنَا	17	﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ مِنْ بَعْدِ نُوحٍ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِدُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ﴿١٧﴾﴾
رَبِّكَ	نُمِدُّ	20	﴿كَلَّا نُمِدُّ هَتُولَاءِ وَهَتُولَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْطُورًا ﴿٢٠﴾﴾
يَزِيدُهُمْ	قُلْنَا	60	﴿وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ وَمَا جَعَلْنَا الرُّءْيَا الَّتِي آرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ وَنُحُوفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا ﴿٦٠﴾﴾
أَذْهَبَ	قُلْنَا	63-61	﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ قَالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ﴿٦١﴾ قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٢﴾ قَالَ أَذْهَبَ فَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاءُكُمْ جَزَاءً مَوْفُورًا ﴿٦٣﴾﴾
وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ	إِنَّ عِبَادِي	65	﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا ﴿٦٥﴾﴾
رَبِّكَ	شِئْنَا	87-86	﴿وَلَئِنْ شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ثُمَّ لَا يَجِدُ لَكَ بِهِ عَلَيْنَا وَكِيلًا ﴿٨٦﴾ إِلَّا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ إِنَّ فَضْلَهُ كَانَتْ عَلَيْكَ كَبِيرًا ﴿٨٧﴾﴾

			﴿وَكَذَلِكَ أَعْتَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا إِذْ يَتَنَزَّعُونَ مِنْ بَيْنِهِمْ أَمْرَهُمْ فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِم بُنْيَانًا رَبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَىٰ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَسْجِدًا ﴿١١﴾﴾	
الله	أَعْتَرْنَا	21		
			﴿وَأَضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا كَمَا أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِرًا ﴿٤٥﴾﴾	
الله	أَنْزَلْنَاهُ	45		
			﴿وَيَوْمَ نُسِرُّ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴿٤٧﴾ وَعَرَضُوا عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَقَدْ حِشَّمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّنْ نَجْعَلَ لَكُمْ مَوْعِدًا ﴿٤٨﴾﴾	
ربك	نُسِرُّ الْجِبَالَ	48-47		
			﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَسَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا ﴿٥٠﴾﴾	الكهف
ربه	قُلْنَا	50		
			﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَر شَيْءٍ جَدَلًا ﴿٥٤﴾ وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ وَيَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ الْأُولِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ قُبُلًا ﴿٥٥﴾﴾	
ربهم	صَرَّفْنَا	55-54		
			﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسَىٰ مَا قَدَّمَتْ يَدَاؤُهُ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا ﴿٥٧﴾ وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ لَوْ	
تدعهم	جَعَلْنَا	58-57		

			يُؤَاخِذُهُمْ بِمَا كَسَبُوا لَعَجَلَهُمْ الْعَذَابَ بَلْ لَهُمْ مَوْعِدٌ لَنْ يَجِدُوا مِنْ دُونِهِ مَوْيلاً ﴿٥٨﴾
--	--	--	--

ومن أمثلة هذا النوع من الالتفات ما ورد في سورة الأعراف، قوله تعالى: ﴿يَبْنِيْءَ آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُؤَرِّى سَوْءَ تِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَكَّرُونَ﴾ [الأعراف: 26].

ففي هذه الآية انتقل الله تعالى من صيغة التكلم ﴿أَنْزَلْنَا﴾ إلى صيغة الغيبة ﴿آيَاتِ اللَّهِ﴾ وكان مقتضى السياق أن يكون "آياتنا" فلماذا التفت إلى صيغة الغيبة؟.

يقول سبحانه وتعالى مخاطبا عباده: «ذلك الذي ذكرته لكم أني أنزلته إليكم أيها الناس من اللباس والرياش من حجج الله وأدلته؛ التي يعلم بها من كفر صحة التوحيد؛ وخطأ ما هم عليه مقيمون من الضلالة»⁽¹⁾، ﴿لَعَلَّهُمْ يَذَكَّرُونَ﴾ فيعرفوا عظيم النعمة فيه⁽²⁾.

ولعظمة هذه الآيات لما تحمله من نعم لعباد الله، أسندها تعالى لنفسه الشريفة، ليجب شكرها على عباده أجمعين، ولهذا ناسب قوله تعالى ﴿لَعَلَّهُمْ يَذَكَّرُونَ﴾ بصيغة الغيبة أيضاً، بعد أن بدأت الآية بمخاطبتهم وتذكيرهم بآياته.

ومن الأمثلة أيضا قوله تعالى: ﴿أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنْذِرِ النَّاسَ وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمٌ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ قَالَ الْكٰفِرُونَ إِنَّ هَذَا لَسَجْرٌ مُّبِينٌ ﴿٢﴾﴾ [يونس: 02].

ورد الالتفات في قوله تعالى ﴿أَوْحَيْنَا﴾ بصيغة التكلم، ثم تحول إلى صيغة الغيبة ﴿عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ في قوله تعالى، وظاهر السياق يقتضي: "عندنا ربهم".

وقد قيل في سبب نزول هذه الآية: «قال ابن عباس: لما بعث الله تعالى محمدا ﷺ رسولا أنكرت عليه الكفار وقالوا: الله أعظم من أن يكون رسوله بشرا مثل محمد، فأنزل الله تعالى هذه الآية الكريمة»⁽³⁾.

(1) _ جامع البيان عن تأويل آي القرآن (تفسير الطبري): الطبري ج10، ص 129.

(2) _ تفسير النسفي المسمى: بمدارك التنزيل وحقائق التأويل: أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي، تح: سيد زكريا، د ط، مكتبة نزار مصطفى الباز، مصر، دت، ج2، ص 351.

(3) _ أسباب النزول: الواحدي، ص 270.

فسبب النزول وضح سبب تعجب الكفار من إرسال الله عز وجل بشراً رسولاً.

وزاد هذا التعجب قوة عندما دخل عليه حرف الاستفهام (الهمزة)، التي أفادت إنكار وقوع العجب من الإيحاء إلى البشر؛ ولا عجب في ذلك لأنها عادة الله في الأمم السابقة، حيث أرسل لكل قوم رسولاً يبشرهم ويهديهم، وينذرهم عقاب الآخرة.

ولا عجب كذلك من رسول الله محمد ﷺ الذي عرفه قومه منذ الصغر وعرفوا صدقه وطهارته وأمانته، قبل أن يبعث نبياً، فلا داعي للتعجب من هذا الإيحاء الذي «أحدث وتقرر فيهم التعجب من وحيناً، لأن فعل الكون يشعر بالاستقرار والتمكن فإذا عبر به أشعر بأن هذا غير متوقع حصوله»⁽¹⁾.

فلفظة ﴿أَوْحَيْنَا﴾ المستعملة بصيغة التكلم أعطت كل هذه المعاني، وأن تغير الخطاب إلى الغيبة في ﴿رَبِّهِمْ﴾ هو الأنسب للسياق.

ودلت لفظة ﴿رَبِّهِمْ﴾ على معاني الرحمة والخير والجزاء أي «لهم جزاء موفور، وثواب مدخور عند ربهم بما قدموه وأسلفوه من الأعمال الصالحة الصادقة»⁽²⁾.

أما لفظة ﴿قَدَمَ﴾⁽³⁾ بما تحمله من معاني الأعمال الصالحة عندما أضيفت إلى كلمة ﴿رَبِّهِمْ﴾ أصبح لديها معنى أبلغ، وأكدت قرب هؤلاء القوم المؤمنون من الله -عز وجل-، وما كان لهذا المعنى أن يظهر لو بقي الخطاب على صيغة التكلم.

ومن الأمثلة أيضاً قوله تعالى في سورة الحجر: ﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ ﴿٩٥﴾ الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٩٦﴾﴾ [الحجر: 95-96].

وعن سبب نزول هذه الآية يقول الواحدي: «وعن أنس بن مالك قال: مرّ النبي ﷺ على أناس

(1) _ التحرير والتنوير: الطاهر: ابن عاشور، ج 11، ص 83.

(2) _ تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تح: عبد الرحمن بن معلا اللويحي، ط 1، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، 1423هـ-2002م، ص 357.

(3) _ ينظر -البحر المحيط: أبو حيان الأندلسي، ج 5، ص 127.

-جامع البيان عن تأويل آي القرآن(تفسير الطبري): الطبري، ج 12، ص 108، 109.

-الكشاف: الرمخشري، ج 3، ص 114.

-فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير: الشوكاني، ج 11، ص 610.

-روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: الألوسي، ج 11، ص 62.

بمكة، فجعلوا يغمزون في قفاه ويقولون: هذا الذي يزعم أنه نبي، ومعه جبريل، فغمز جبريل بأصبعه فوق مثل الظفر في أجسادهم فصارت قروحًا حتى نتنوا، فلم يستطع أحد أن يدنو منهم فأنزل الله تعالى: ﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ﴾⁽¹⁾.

ورد الالتفات في قوله: ﴿كَفَيْنَاكَ﴾ بصيغة التكلم، ثم إلى صيغة الغيبة ﴿مَعَ اللَّهِ﴾ ولو جاء الكلام على نسق واحد لقال "معنا".

لقد أوحى صيغة التكلم إلى أن الله - عز وجل - هو الذي سيكفي محمدًا ﷺ بالرد على المستهزئين به، الذين كانوا يسخرون منه وهم « الوليد بن المغيرة، والعاص بن وائل، والحارث بن الطلائع، والأسود بن عبد يغوث والأسود بن المطلب»⁽²⁾، الذين لحق بهم أشد العذاب من الله - عز وجل -⁽³⁾.

ولم يتجرأ هؤلاء القوم عليه فقط ﷺ بل افتروا على الله أيضًا وجعلوا له آلهة، وفي هذا الرد تسليية للرسول الكريم؛ فاستعمل صيغة الغيبة ﴿مَعَ اللَّهِ﴾ لما تحمله من معاني الافتراء.

وهذه الآية التي يقول فيها تعالى لرسوله: «إنا كفيناك يا محمد الساخرين منك، الجاعلين مع الله شريكًا في عبادته فسوف يعلمون، ما يلقون من عذاب الله عند مصيرهم إليه في القيامة، وما يحل بهم من البلاء»⁽⁴⁾، وسوف يعلمون عاقبة ما يأتون من أعمال جزاء لهم على إيذاء الرسول ﷺ والافتراء عليه سبحانه وتعالى، بأن جعلوا له شريك في العبادة.

فالالتفات إلى الغيبة بلفظ الجلالة ﴿مَعَ اللَّهِ﴾ أظهر كل المعاني السابقة.

ومن الأمثلة أيضًا قوله تعالى في سورة النحل: ﴿وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيبًا مِّمَّا رَزَقْنَاهُمْ تَاللَّهِ لَشَاعِلُونَ عَمَّا كُتِبَ لَهُمْ لَا يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: 56].

في هذه الآية يظهر الإعجاز البلاغي في الانتقال من أسلوب إلى أسلوب؛ حيث نجد نوعين من الالتفات، فكيف للسياق القرآني أن يفرق بينهما؟.

(1) - لباب النقول في أسباب النزول: السيوطي، ص 259.

(2) - إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم: أبو السعود العمادي، ج 5، ص 92.

(3) - روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: الألوسي، ج 14، ص 86.

(4) - جامع البيان عن تأويل آي القرآن (تفسير الطبري): الطبري، ج 14، ص 153، 154.

يكمن الالتفات الأول في قوله تعالى: ﴿مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ﴾ بصيغة التكلم، ثم يتحول إلى صيغة الغيبة في قوله ﴿تَأَلَّه﴾؛ وهذا النوع من الالتفات عبارة عن سؤال فيه تفرغ وتوبيخ للكفار الذين جعلوا مما رزقهم الله من خيرات نصيباً للأصنام يتقربون بها إليه، وكل هذا بصيغة التكلم، وعندما انتقل إلى صيغة الغيبة قال: ﴿تَأَلَّه﴾ فأقسم الله تعالى بنفسه أن يسألهم، تهديداً منه تعالى لهؤلاء الذين جعلوا للأصنام نصيباً مما رزقهم الله.

ويكمن الالتفات الثاني في قوله تعالى: ﴿وَيَجْعَلُونَ﴾ بصيغة الغيبة، ثم يتحول إلى صيغة الخطاب في قوله ﴿لَسْتُمْ﴾، وقد سبق بالقسم وتلاه سؤال توبيخ وتفرغ « وفي تصدير الجملة بالقسم وصرف الكلام من الغيبة إلى الخطاب المنبئ عن كمال الغضب من شدة الوعيد ما لا يخفى»⁽¹⁾.

فتصدير الآية بقوله ﴿وَيَجْعَلُونَ﴾ يوحي على تجدد ذلك الإنفاق والاستمرار عليه، حيث جعل لهؤلاء الأصنام حقا من أموالهم، ومما رزقهم الله من نعيم، فعبر عنه بصيغة الغيبة.

وحيثما أراد الحديث عن العقاب انتقل إلى صيغة الخطاب ﴿لَسْتُمْ﴾ عما كذبوا على الله باتخاذ الشركاء له من الأصنام، واعتبارها آلهة حقيقية تستطيع نفعهم وضرهم.

لقد أدى السياق في آية واحدة دوراً مهماً في إبراز العلاقة بينه وبين الالتفات، الذي يكون أحيانا من " التكلم إلى الغيبة " وأحيانا من " الغيبة إلى الخطاب " وهذا ما لا يقع كثيراً في القرآن الكريم.

وفي مثال آخر على هذا النوع من الالتفات، الذي يظهر في قوله تعالى: ﴿وَأَضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَا أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴿٤٥﴾﴾ [الكهف: 45].

يظهر الالتفات في قوله تعالى: ﴿أَنْزَلْنَاهُ﴾ بصيغة التكلم، وبعد ذلك ينتقل إلى صيغة الغيبة في قوله تعالى: ﴿وَكَانَ اللَّهُ﴾، وظاهر السياق يفترض الاستمرار بصيغة التكلم في " كنا الله " بدل من ﴿وَكَانَ اللَّهُ﴾، فما السر في هذا التحول من التكلم إلى الغيبة؟.

في هذه الآية الكريمة يخاطب الله تعالى نبيه محمد ﷺ « اضرب للناس مثل الحياة الدنيا ليتصوروها

(1) _ ينظر- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: الألوسي، ج14، ص 127.

-إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم: أبو السعود العمادي، ج5، ص 121.

حق التصور، ويعرفوا ظاهرها وباطنها، فيقيسوا بينها وبين الدار الباقية، ويؤثروا أيهما أولى بالإيثار»⁽¹⁾؛ هذه الحياة الدنيا «كمطر أنزلناه من السماء إلى الأرض فاختلطت نبات الأرض... فأصبح نبات الأرض يابسًا متفتتًا تذروه الرياح تطيره وتفرقه»⁽²⁾.

فالله عز وجل يعرض لعباده حال هذا النبات وحال الحياة، أو مدة الحياة التي سوف يعيشها الإنسان، فهي كمثلية حياة هذا النبات الذي ينزل عليه الماء ويختلط بالأرض، فلا ينمو، ولا ينضج، ولا يظهر للعيان؛ ولكنه يصبح مفتتًا تنقله الرياح من مكان إلى آخر.

فحياة الإنسان شبيهة بالنبات: الذي ينزل عليه الماء ثم لا ينمو، ثم يتفتت بفعل الرياح، «وما بين ثلاث جمل قصار ينتهي شريط الحياة... فما أقصرها وما أهنؤها حياة»⁽³⁾.

وفي مقابل ضرب هذا المثل يتغير الخطاب ليصبح إلى الغيبة في قوله تعالى: ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا﴾ لتظهر قدرة الله عز وجل؛ وكماله على الإعطاء من نعمه التي لا تغيب ولا تتلاشى ولا تذروها الرياح رياح الدنيا الفانية، فما من شيء في هذا الوجود إلا والله -عز وجل- قادر عليه «ومن جملة الإنشاء والإفناء»⁽⁴⁾.

ولهذا عدل إلى لفظ الجلالة ﴿وَكَانَ اللَّهُ﴾ حتى تظهر قوته وقدرته عز وجل؛ في كل ما يتعلق بحياة الإنسان في الدنيا والآخرة.

إن هذا النوع من الالتفات يبرهن على القدرة الإلهية، ويسلي الرسول ﷺ، ويبين حال الكفار في الدارين.

ولا يعتمد الأسلوب القرآني إلى جهة دون أخرى سواء "التكلم" أو "الغيبة" إلا لتحقيق دلالة معينة اقتضاها السياق القرآني.

ومن خلال الأمثلة السابقة يمكن استخلاص مجموعة من الأغراض البلاغية التي من أجلها سيق هذا النوع من الالتفات:

(1) - تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: السعدي، ج15، ص 478.

(2) - جامع البيان عن تأويل آي القرآن (تفسير الطبري)، الطبري، ج15، ص 272.

(3) - في ظلال القرآن: سيد قطب، مج4، ج15، ص 2271.

(4) - ينظر: -روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: الألوسي، ج15، ص 286.

-إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم: أبو السعود العمادي، ج5، ص 255.

- التنبية على قدرته سبحانه وتعالى، وأنه المتصرف والمتحكم في تسيير الأمور.
- إلقاء الرهبة والخوف في قلوب الكافرين.
- إظهار نعمه على العباد وتشويقهم للجنة ونعيمها.
- إظهار قدرته على الخلق والإبداع والتنويع.

جمهورية الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبحث الثالث:

الفتحات الخطابية والتكلم.

أولاً-الفتحات من التكلم إلى الخطاب.

ثانياً-الفتحات من الخطاب إلى التكلم.

وينقسم هذا النوع من الالتفات إلى: - الالتفات من التكلم إلى الخطاب - الالتفات من الخطاب إلى التكلم.

أولاً - الالتفات من التكلم إلى الخطاب:

هذا النوع من الالتفات في الخطاب فيه حثٌ للسامع، وبعثه على الاستماع حيث أقبل المتكلم عليه، إذ يعطيه فضل عناية تختص بالمواجهة⁽¹⁾.

والحقيقة أن هذا النوع من الالتفات مما يندُرُ تحققه في الكلام، وذلك للتوازي التام، أو للتباين بين موقفَي "الخطاب" و"التكلم"، ففي السياق الواحد لا يُتصور أن يكون الشخص الواحد إلا متكلمًا أو مخاطبًا، أو مرسلًا ومستقبلًا في آنٍ واحدٍ.

واختلف العلماء في هذا النوع من الالتفات اختلافاً كبيراً، فهناك من يقول إنه قد وقع في القرآن مرة واحدة، في قوله تعالى: ﴿ أَتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْئَلُكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُهْتَدُونَ ﴾ (٢١) وَمَا لِي لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ (٢٢) [يس 21-22]، ومن هؤلاء السيوطي⁽²⁾، والزركشي⁽³⁾.

حيث يظهر التكلم في قوله تعالى: ﴿ وَمَا لِي لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي ﴾؛ والخطاب في قوله تعالى: ﴿ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ لإخراج الكلام في معرض مناصحته لنفسه، وهو يريد نصح قومه تلطفاً، لأنه يريد لقومه ما يريد لنفسه.

لقد استشهد كلاً من "السيوطي" و"الزركشي" بهذه الآية، وبعد ذلك قالوا إن فيها نظراً: أن هذه الآية لا تُعد من الالتفات، وذلك لعدم اتحاد المعنى أو الجهة بين الخطاب والتكلم، إذ أن المتكلم هو الرجل المؤمن، والخطاب لقومه لا له بدليل إسناد فعل الرجوع إلى ضمير الجمع⁽⁴⁾.

والحقيقة أن في الآية التفات من التكلم إلى الخطاب، إذ أنّ الضميرين هما للمتكلم؛ ولكنه عبّر بالثاني عن الذات المتكلمة بضمير المخاطبين؛ للتنبيه إلى أنهم صائرون إلى الله وراجعون إليه، فمقتضى

(1) _ البرهان في علوم القرآن: الزركشي، ج3، ص 315.

(2) _ الإتيان في علوم القرآن: السيوطي، ج5، ص 1731.

(3) _ البرهان في علوم القرآن: الزركشي، ج3، ص 315.

(4) _ ينظر: - الإتيان في علوم القرآن: السيوطي، ج5، ص 1731، 1732.

- البرهان في علوم القرآن: الزركشي، ج3، ص 315، 316.

السياق يفرض و«إليه أرجع»⁽¹⁾.

ومما تجدر الإشارة إليه في هذا المقام؛ أن بعض علماء القرآن قد مثلوا للالتفات في هذه الصورة بين التكلم والخطاب، بمواضع عديدة في القرآن الكريم.

فمثل له الزركشي بقوله تعالى: ﴿وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِّنَ رَبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا﴾ [الكهف: 82]، حيث عدل عن قوله "رحمة منا" إلى قوله ﴿رَحْمَةً مِّنَ رَبِّكَ﴾ لما فيه من الإشعار بأن ربوبيته تقتضي رحمته، وأنه رحيم بعبده⁽²⁾.

ومثل له أيضا بقوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكِنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَأَشْكُرُوا لَهُ، بَلَدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبُّ غَفُورٌ﴾ [سبأ: 15].

- وقوله تعالى: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يَحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ [الأعراف: 55].

- وقوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَرْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَأَفْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الحج: 77].

- وقوله تعالى: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ﴿١﴾ لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ﴿٢﴾﴾ [الفتح: 01-02].

وقوله تعالى: ﴿وَيَنْصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيمًا﴾ [الفتح: 03].

ولقد علق حسن طبل عن هذه الآيات، قائلاً في آية الفتح: «الالتفات فيها ليس عن التكلم

إلى الخطاب بل عن التكلم في ﴿إِنَّا فَتَحْنَا﴾ إلى الغيبة في ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ﴾»⁽³⁾.

(1) _ الإيضاح في علوم البلاغة: الخطيب القزويني، ج2، ص 87.

وينظر: -مفتاح العلوم: السكاكي: ص 245.

- خصائص التراكيب، دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني: محمد محمد أبو موسى، ص 251.

(2) _ البرهان علوم القرآن: الزركشي، ج3، ص 316.

(3) _ أسلوب الالتفات في البلاغة العربية: حسن طبل، ص 119.

وينظر: -التغاير السياقي في القرآن الكريم: حازم ذنون إسماعيل السبعوي، ص 96.

وأما بقية الآيات فليس فيها التفات أصلاً، فضمير الخطاب في ﴿رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ﴾ لا يعود على الخالق سبحانه، حتى يمكن القول بأن هذا التفسير هو التفات من التكلم "رحمة منا"؛ بالإضافة إلى أن الآيات الأخرى لا التفات فيها، لأنها لم تسبق بسياق جار على طريق التكلم، يتسنى معه القول بأن ثمة التفاتاً عنه⁽¹⁾.

فهذا النوع من الالتفات لاقى اختلافاً كبيراً من العلماء والدارسين، حيث ذهب: الهيشري الشاذلي إلى أن القرآن الكريم حالٍ تماماً من هذا الضرب من الالتفات؛ والسبب راجع- في رأيه- إلى أن المقابلة بين التكلم والخطاب مقابلة ثانوية، إذ لا يمكن للمتكلم أن يصبح مخاطباً، كما لا يمكن العكس، إلا بتأويل شديد وليس عادياً⁽²⁾.

وعندي أن هذا الضرب من الالتفات موجود في القرآن الكريم، وذهب إلى ذلك أيضاً أحمد غالب الخرشة، إلا أنه لم يرد إلا في سورة يس في قوله تعالى: ﴿أَتَّبِعُوا مَن لَّا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُّهْتَدُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا لِي لَّا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [يس 21-22].

«هذه الآية يظهر فيها الالتفات من التكلم إلى الخطاب بصورة جلية، إذ إن الضميرين هما للمتكلم، ولكنه عبر في المرة الثانية عن الذات المتكلمة بضمير المخاطبين ﴿تُرْجَعُونَ﴾ وكان الأصل أن يقول "وإليه أرجع"...أضف إلى ذلك أن ضمير المخاطب ﴿تُرْجَعُونَ﴾ يتضمن المتكلم في ﴿فَطَرَنِي﴾ على أساس أن هذا الرجل (المتكلم) جزء من قومه (المخاطبين)»⁽³⁾.

أما صاحب كتاب: الإعجاز البلاغي في الخطاب القرآني، فقد هذا النوع من الخطاب نادر الوقوع، ولم يقع إلا في مثال واحد⁽⁴⁾ في سورة الأنعام في قوله تعالى: ﴿قُلْ أَدْعُوا مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا اللَّهُ كَالَّذِي أَسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانًا لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَىٰ أَتَيْنَا قُلُوبًا هُدَىٰ اللَّهُ هُوَ الْهُدَىٰ وَأْمُرْنَا لِنُسَلِّمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٧١﴾ وَأَنْ أَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَهُوَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٧٢﴾﴾ [الأنعام: 71-72].

(1) _ أسلوب الالتفات في البلاغة العربية: حسن طبل، ص 119.

(2) _ الالتفات في القرآن الكريم: الهيشري الشاذلي حوليات الجماعة التونسية، جامعة تونس، العدد: 1991، 2م، ص 154-156.

(3) _ أسلوبية الانزياح في النص القرآني: أحمد غالب الخرشة، ص 138، 139.

(4) _ الإعجاز البلاغي في الخطاب القرآني "الالتفات أنموذجاً": مازن موفق صديق الخيرو، ص 171-173.

يوجد الالتفات التكلم في قوله تعالى: ﴿وَأْمُرْنَا لِنُسَلِّمَ﴾ ويتمثل الخطاب في قوله تعالى: ﴿وَأَنْ أَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾.

في خضم تبيان آراء العلماء حول هذا النوع من الالتفات (التكلم / الخطاب) بين وروده من عدمه في القرآن الكريم، حاولت أن أبدي رأبي في هذا النوع من الالتفات؛ فهو موجود في القرآن الكريم، وإن كانت أمثلته قليلة، فحاولت إيجاد بعض الأمثلة، مع الاستعانة بكتب التفسير لإظهار هذه الصورة الالتفاتية على أحسن وجه.

قال تعالى: ﴿ وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَابِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ فَخَذَهَا بِقُوَّةٍ وَأَمَرَ قَوْمَكِ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا سَأُورِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ ﴾ [الأعراف: 145].

يظهر الالتفات التكلم في قوله تعالى: ﴿ وَكَتَبْنَا ﴾، ثم انتقل إلى الخطاب في قوله ﴿ فَخَذَهَا ﴾ وظاهر السياق يقتضي "فقلنا له خذها"، فما سبب التحول من التكلم إلى الخطاب؟.

فكتب الله تعالى لموسى عليه السلام في هذه الألواح، كل شيء يحتاجه من التذكير والتنبه على عظمته -عز وجل-، والأخذ بأوامره ونواهيه، من حلال وحرام، وهذه الألواح لم تترك شيئاً إلا ووضحته لموسى، وهو بدوره نقل هذا لقومه، فتغيرت طريقه الكلام من التكلم إلى الخطاب في قوله: يا موسى إلى قومك، واذكر لهم ما كتبت في هذه الألواح: «يقول تعالى ذكره وقلنا لموسى إذ كتبنا له في الألواح من كل شيء موعظة وتفصيلاً لكل شيء خذ الألواح بقوة»⁽¹⁾.

وقال ابن كثير: ﴿ فَخَذَهَا بِقُوَّةٍ ﴾ بعزم على الطاعة⁽²⁾ وتبليغها إلى قومك فالله عز وجل أسند لنفسه الشريفة فعل الكتابة (كتبنا) فجاءت على صيغة التكلم، ولكن عندما أمر عبده ورسوله موسى عليه السلام، بنقل ما كتب في الألواح إلى قومه لكي يعتبروا ويفوزوا بالجنة تحول الكلام إلى صيغة الخطاب بتبليغ ما كتب في الألواح.

وفي ذلك يقول الطاهر ابن عاشور: ﴿ فَخَذَهَا ﴾ يتعين أن الفاء دالة على شيء من معنى ما خطاب الله به موسى، ولما لم يقع فيها وليته ما يصلح لأن يتفرع عنه الأمر بأخذها بقوة... وعلى هذا

(1) _ جامع البيان عن تأويل آي القرآن (تفسير الطبري): الطبري، ج10، ص 439.

(2) _ تفسير القرآن العظيم: ابن كثير، ج6، ص 391.

الوجه يكون نظم حكاية الخطاب لموسى على هذا الأسلوب من نظم القرآن»⁽¹⁾.

لما تغير سياق الكلام بتوجه الأمر إلى موسى عليه السلام، تغير الالتفات إلى الخطاب على صيغة الأمر، بعدما كان على صيغة التكلم، التي أسندها الله - عز وجل - إلى نفسه الشريفة في قوله ﴿ وَكَتَبْنَا ﴾. ومن هذا النوع من الالتفات قوله تعالى: ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِّن دِينِي فَلَا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَلَكِن أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي تَوَفَّقَكُمْ وَأَمَرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [يونس: 104].

يظهر الالتفات في قوله تعالى: ﴿ أَعْبُدْ ﴾ بصيغة التكلم، ثم تحول إلى صيغة الخطاب في قوله تعالى: ﴿ تَوَفَّقَكُمْ ﴾ ومقتضى السياق يفترض الاستمرار على صيغة التكلم ليصبح: " ولكن أعبد الله الذي يتوفاني " بدل قوله تعالى: ﴿ تَوَفَّقَكُمْ ﴾ فلماذا جاءت صيغة الخطاب في هذه الآية بدلا من صيغة التكلم؟.

يقول عز وجل لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد لهؤلاء المشركين الكفار من قومك، إن كنتم في شك من ديني الذي أدعوكم إليه، فلا ينبغي لكم أن تشكوا فيه، لأنه دين الحق، والأحرى بكم أن تشكوا في الذي تعبدونه أنتم من دون الله، تعبدون الأصنام التي لا تعمل شيئا، ولا تنفع ولا تضر، فأما ديني فهو دين الحق، ولا ينبغي لكم أن تشكوا فيه لأني أعبد الله الذي يقبض الخلق فيوميتهم إذا شاء وينفعهم ويضرهم إذا شاء، وقت ما يشاء⁽²⁾.

عندما كان الحديث موجها من الله لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قال: ﴿ أَعْبُدْ ﴾ بصيغة التكلم، فمحمد يخير قومه الكافرون بعبادة الله الواحد، وعندما أراد أن يبين لهم قوة وعظمة هذا المعبود، انتقل إلى صيغة الخطاب إظهارا لقوته على الإحياء والإماتة « واختيار صلة التوفي هنا في نعت اسم الجلالة لما فيها من الدلالة على كمال التصرف في المخلوق فإن المشركين لم يبلغ بهم الإشراك إلى ادعاء أن الأصنام تحيي وتميت، واختيار ذلك من بين الصفات الخاصة بالله تعالى تعويض بتذكيرهم بأنهم معرضون للموت فيقصرون من طغيانهم »⁽³⁾.

(1) _ التحرير والتنوير: الطاهر ابن عاشور، ج9، ص 98، 99.

(2) _ جامع البيان عن تأويل آي القرآن (تفسير الطبري): الطبري، ج12، ص 303.

(3) _ التحرير والتنوير: الطاهر ابن عاشور، ج11، ص 301.

وينظر: - روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: الألوسي، ج 11، ص 197.

وحلل الرازي هذه الآية قائلاً: «فإن قيل: ما لحكمة في ذكر المعبود الحق في المقام بهذه الصفة وهي قوله: ﴿الَّذِي يَتَوَفَّكُمُ﴾ قلنا: فيه وجوه: الأول: يحتمل أن يكون المراد أني أعبد الله الذي خلقكم أولاً ثم يتوفاكم ثانياً ثم يعيدكم ثالثاً... والثاني: أن الموت أشد الأشياء مهابة، فخص هذا الوصف بالذكر في هذا المقام، ليكون أقوى في الزجر والرد عن الثالث: أنهم لما استعجلوا نزول العذاب قال تعالى: ﴿فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا مِثْلَ أَيَّامِ الَّذِينَ حَلَوْا مِنْ قَبْلِهِمْ قُلْ فَانظُرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ﴾ [يونس: 102]، فهذه الآية تدل على أنه تعالى يهلك أولئك الكفار ويبقى المؤمنين ويقوي دولتهم، فلما كان قريب العهد بذكر هذا الكلام لا جرم قال ههنا «ولكن أعبد الله الذي يتوفاكم» وهو إشارة إلى ما قرره وبينه تلك الآية كأن يقول: أعبد ذلك الذي وعدني بإهلاكهم وبإبائتي»⁽¹⁾.

فالله - عز وجل - ذكر لهؤلاء الكفار قدرته على الإحياء والإماتة على سبيل التهديد والوعيد، لعلهم يرجعون إلى صوابهم ويدركون قوة الخالق، وهذا ما أدى بالأسلوب أن يغيّر مجراه من التكلم في قوله تعالى ﴿اعْبُدْ﴾ إلى الخطاب في قوله تعالى ﴿يَتَوَفَّكُمُ﴾.

وصفوة القول في هذا النوع من الالتفات: رغم وروده في أمثلة قليلة من القرآن الكريم، إلا أنه موجود في: (سور الأعراف [145]، سورة يونس [104])، أظهر قوة الله - عز وجل - وقدرته على الإعطاء والمنح والإحياء والإماتة، وكل هذا بحسب السياق الذي يتغير من "تكلم" إلى "خطاب" لحاجة المعنى لذلك.

ثانياً - الالتفات من الخطاب إلى التكلم:

إن هذا النوع من الالتفات لا يختلف من حيث قلة أمثلته عن سابقه، وفيه يتحول الكلام من الخطاب إلى التكلم لقصد ولغرض استدعاه السياق.

ومن أمثلته القليلة قوله تعالى: ﴿وَإِذَا أذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً مِنْ بَعْدِ ضَرَاءٍ مَسَّتْهُمْ إِذَا لَهُمْ مَكْرٌ فِي آيَاتِنَا قُلْ اللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ﴾ [يونس: 21].

الالتفات في هذه الآية في قوله تعالى "قل" بصيغة الخطاب ثم تحوّل إلى صيغة التكلم في قوله تعالى: "رسلنا" وهذه الآية مما استشهد بها الزركشي على هذا النوع من الالتفات: «على أنه سبحانه

(1) _ التفسير الكبير ومفاتيح الغيب: فخر الدين الرازي، ج 17، ص 179، 180.

نزل نفسه منزلة المخاطب»⁽¹⁾.

فالله تعالى يخاطب الرسول ﷺ ويبين له أنه أسرع مكرًا من المشركين والمستهزئين من حججنا وأدلتنا، أي «أسرع محالا بكم واستدراجا لكم وعقوبة منكم، من المكر في آيات الله»⁽²⁾.

وفي هذا الالتفات تخصيص للنبي ﷺ، فهو المبلغ والمنذر من عند الله عز وجل للناس جميعا، وفيه: «تنبيه على أنه تعالى يزيل عنهم النعم ويجعلهم منقادين للرسول طائعين له، تاركين لهذه الاعتراضات الفاسدة»⁽³⁾.

لأن الله تعالى ذكره «أعجل عقوبة: أي عذابه أسرع وصولا إليكم، مما يأتي منكم في دفع الحق وتسمية العقوبة بالمكر لوقوعها في مقابلة مكرهم وجودا أو ذكرا»⁽⁴⁾.

وفي استعمال كلمة "أسرع" دلالة على أن مكرهم كان سريعا، ولكن مكر الله أسرع ﴿أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [الأعراف: 99].

أما في استعمال "إذ الفجائية" فيستفاد منه السرعة؛ إذ المعنى: أوقعوه - المكر - على جهة الفجاءة والسرعة⁽⁵⁾، وفي ذكر لفظ "رسلنا" الذي أسنده الله إليهم فيه دلالة على انه لا يخفى على الله شيء مما يمكرون، وفي هذا وعيد شديد لأن مكرهم إذا كان ظاهرا لا يخفى فعقوبة الله كائنة لا محالة⁽⁶⁾.

ويتضح أن الكلام متضمن لمعنى الإنذار، حيث أمر الله - عز وجل - رسله، بأن يخبرهم ويعظهم قبل فوات الأوان، فالله أسرع من مكرهم بآيات الله تعالى⁽⁷⁾.

ومما يلفت الانتباه أن حسن طبل اعتبر هذه الآية من باب التفات الغيبة إلى التكلم، لا من الخطاب إلى التكلم: «فيها التفات مائل في التعبير عن الذات العلية بضمير التكلم "إن رسلنا" بعد التعبير عنها بلفظ الجلالة "قل الله"»⁽⁸⁾.

(1) _ البرهان في علوم القرآن: الزركشي، ج3، ص 317.

(2) _ جامع البيان عن تأويل آي القرآن (تفسير الطبري): الطبري، ج12، ص 145.

(3) _ التفسير الكبير ومفاتيح الغيب: فخر الدين الرازي، ج17، ص 69.

(4) _ إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم: أبو السعود العمادي، ج04، ص 133.

(5) _ فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير: الشوكاني، ج11، ص 617.

(6) _ المصدر نفسه، ص ن.

(7) _ التحرير والتنوير: الطاهر ابن عاشور، ج11، ص 133.

(8) _ أسلوب الالتفات في البلاغة العربية: حسن طبل، ص 118.

ويظهر أن في هذه الآية أنه التفات من صيغة الخطاب في "قل": المراد بها الرسول ﷺ، إلى صيغة التكلم في قوله "رسلنا" المراد بهم الملائكة للدلالة على أن الملائكة هم الموكلون بكتابة الأعمال، الخيرة والشريرة وليس الرسول ﷺ، فلذلك تغير أسلوب الكلام حتى لا يختلط على الناس عمل الملائكة (كتابة الأعمال)، وما يقوم به الرسل من الإبلاغ والإنذار.

وما يؤكد هذا أيضا استعمال الأفعال المضارعة "يكتبون"، "تمكرون"، للدلالة على التكرار، أي تكرر الكتابة كلما تكرر المكر على يد هؤلاء الملائكة، لا على يد الرسول ﷺ.

ومن صور هذا الالتفات قوله تعالى على لسان نبيه صالحا ﷺ مخاطبا قومه: ﴿وَالْإِنَّمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَقَوْمِ أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تَوْبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ﴾ [هود: 61].

﴿وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تَوْبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ﴾ [هود: 90].

في الآية الأولى الالتفات في قوله تعالى: ﴿فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تَوْبُوا إِلَيْهِ﴾ بصيغة الخطاب، ثم انتقل إلى صيغة التكلم في قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبِّي﴾ ومقتضى المطابقة مع السياق أن يكون "إن ربكم قريب مجيب".

وفي الآية الثانية قوله تعالى: ﴿وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تَوْبُوا إِلَيْهِ﴾ بصيغة الخطاب، ثم انتقل إلى صيغة التكلم في قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبِّي﴾ ومقتضى المطابقة مع السياق أن يكون: "إن ربكم رحيم ودود"؛ فلماذا عدل الالتفات إلى التكلم بعد الخطاب وما المناسبة الداعية لذلك؟.

من بلاغة هذا الالتفات في الآيتين أن شعيبًا وصالحًا لما دعيا قومهما إلى عبادة الله، أرادا تبيين شدة قرب الله ولطفه بعباده، فهو يغفر للمؤمنين، ويحب الصالحين التوابين منهم، وهذا تعليل للأمر بالاستغفار والتوبة والحث عليهما، لذلك جاء التحول لبيان قرب العائد من الذنب، قابل التوبة من عباده: «إن سبق الكفر والمعصية منهم لا ينبغي أن يمنعهم من الإيمان والطاعة لأنه تعالى رحيم ودود يقبل الإيمان والتوبة من الكافر والفاسق لأن رحمته لعباده وحبه لهم، يوجب ذلك»⁽¹⁾، فهو قريب من عباده الذين يخلصون له العبادة، مجيب لهم إذ دعوه.

(1) _ التفسير الكبير ومفاتيح الغيب: فخر الدين الرازي، ج18، ص49، وينظر: -روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: الألوسي، ج12، ص89.

وهذا التغير في الالتفات إلى التكلم يدل على عظمة المولى -عز وجل-، ورحمته وإجابته من دعاه، واختصاصه سبحانه وتعالى بتلك الصفات: "القريب"، "المجيب"، "الرحيم"، "الودود"، يدفع توهم انصرافهم إلى آلهتهم فيما لو قيل: « إن ربكم قريب مجيب » و« إن ربكم رحيم ودود » ولا يظهر وعد الله بعقابهم في حالة رفض الدعوة، بل يبين لهم أسباب الرجوع إلى ربهم والتوبة إليه ﴿ فَقُلْتُ أَسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴾ [نوح: 10] ﴿ إِنَّ اللَّهَ هُوَ النَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾ [التوبة: 118].

وفي الختام تجدر الإشارة إلى ما ذكره أبو لأصبع المصري إلى وجود نوع غريب من الالتفات، قد ذكر في القرآن الكريم، حيث قال عنه: « وجاء في الكتاب العزيز من الالتفات قسم غريب جدًا، لم أظفر في الشعر له بمثال وهو أن: يقدم المتكلم في كلامه مذكورين مرتين ثم يخبر عن الأول منهما، وينصرف عن الإخبار عنه إلى الإخبار عن الثاني ثم يعود فينصرف عن الإخبار عن الثاني إلى الإخبار عن الأول كقوله تعالى: ﴿ إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ ﴿٦﴾ وَإِنَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ﴿٧﴾ ﴾ [العاديات: 06-07] انصرف عن الإخبار عن الإنسان إلى الإخبار عن ربه تبارك وتعالى، ثم قال منصرفاً عن الإخبار عز وجل إلى الإخبار عن الإنسان ﴿ وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ﴾ [العاديات: 08]، وهذا يحسن أن يسمى التفات الضمائر والله أعلم⁽¹⁾.

وصفوة القول في هذا الفن البلاغي الذي يغاير فيه الأسلوب: من التكلم إلى الخطاب، بحسب ما يقتضيه السياق، ومع ملاحظة الأمثلة السابقة التي تضمنت عظمة وقوة الله تعالى، وتضمنت الحديث عن المشركين والكفار وإيذائهم للرسول والأنبياء، والمصير الذي سيؤولون إليه، مع تذكيرهم بمصير المؤمنين والنعيم الذي ينتظرهم في جنة الخلد.

ضف إلى ما سبق أن الالتفات يختلف وقوعه من نوع إلى آخر في السور التسع [168 آية]، على النحو الآتي:

__ الالتفات من الغيبة إلى التكلم: الأكثر وروداً بثمان وخمسين [58] آية.

__ الالتفات من التكلم إلى الغيبة: بستة وخمسين [56] آية.

__ الالتفات من الخطاب إلى لغبية: بسبعة وعشرين [27] آية.

__ الالتفات من الغيبة إلى الخطاب: بثلاثة وعشرين [23] آية.

(1) _ بدیع القرآن: أبو الأصبغ المصري، ص 45.

_ الالتفات من الخطاب إلى التكلم: آيتان [02].

_ الالتفات من التكلم إلى الخطاب: آيتان [02].

والسبب في كثرة الالتفات من الغيبة إلى التكلم، ومن التكلم إلى الغيبة، هو إثبات لعظمة الله تعالى وقدرته، وتبيان لمصير الكفار والمشركين.

وقد خرج الالتفات في الأنواع الستة المذكورة إلى أغراض مختلفة: كالتوبيخ، التهديد الوعيد، التذكير، الحث على عبادة الله، الدعوة إلى دين الحق ونبذ الأصنام والأوثان.

وخلاصة القول: إن الالتفات لون من ألوان الصياغة البلاغية يقتضي مخالفة الأصل، لكن بحسب السياق الذي يبرز مواطن الجمال، في توصيل الغرض الديني الذي يُعد من أهم مقاصد الخطاب القرآني.

الخلاصة

جامعة الأمير
عبدالمبارك
للعلوم الإسلامية

حاول هذا البحث أن يكشف أهمية اللفظ في تركيب الخطاب القرآني، فكل لفظ وُضِع ليؤدي وظيفة معينة لا يؤديها لفظ آخر، وللسياق مهما كان نوعه دور أساس في تعيين هذا اللفظ، ولا يمكن الفصل بينهما في الخطاب القرآني، الذي أسس للمنجز اللغوي العربي وامتداداته وآلياته وظواهره، وقد أسفرت معالجة الموضوع عن النتائج الآتية:

- يمتد السياق في أعماق التراث اللغوي، فقد عرفه علماء اللغة والنحو والبلاغة والتفسير وإن لم يشيروا إليه أحياناً بهذا المصطلح، إلا أنهم كانوا على وعي به، حيث تجلّى ذلك في مختلف النصوص اللغوية التي كانت مصدراً في مدارسهم للغة وأغراضها.

- كان علماء البلاغة أكثر وعياً بالسياق، وعلى وجه الخصوص السياق القرآني، حيث تجلّى ذلك في إيضاحهم لقاعدة أن "لكل مقام مقال"، أما علماء التفسير فقد عدّوا السياق أهم وسيلة للكشف عن دلالات الألفاظ في القرآن الكريم.

- المتفق عليه هو أن النص القرآني نزل متفرقاً على مدار ثلاث وعشرين عاماً، حيث كانت كل آية أو مجموعة آيات تنزل لتتعلق بواقعة معينة، أو بجواب من الرسول ﷺ على سؤال ورد من المسلمين أو الكفار، فالطريق الصحيح لتفسير النصوص القرآنية هو بإعادة ربطها بأسباب النزول وفهمها في ضوء ما نزلت فيه.

- تعد أسباب النزول من أهم عناصر السياق وخاصة في فهم النص القرآني، فهي أعم من أن تكون أقوالاً منقولة من كتب السنة أو كتب أسباب النزول، فيدخل فيها كل ما يتصل بنزول الآيات من قضايا وحوادث، سواء في ذلك قضايا المكان أم حوادث الزمان التي صاحبت ورود النص القرآني، وتبرز خاصة عندما يخلو النص من القرائن اللغوية.

- أدى المستوى النحوي المتمثل في: التقديم والتأخير، والحذف، وتنوع الحمل بين الاسمية والفعلية إلى إبراز دور السياق في الخطاب القرآني، وأن أسلوب التقديم والتأخير أكثر دوراً في الأساليب القرآنية، لأثره في إيضاح علاقته بالتصوير عن طريق إبراز المعنى المعنوي عن طريق الألفاظ، في صورة تجعل خيال القارئ يتصور الأحداث ويتمثل معناها من خلال السياق الوارد فيه.

- الألفاظ القرآنية لها دلالتها في سياق الجملة فلا يمكن أن يرادف لفظاً لفظاً آخر فيتساوى معه في المعنى، بل إن الكلمة ذاتها تتكرر في أكثر من سياق لتدلّ على معنى آخر مغاير، فإذا نظرنا إلى دلالة الكلمة المختارة في ظل تقديمها أو تأخيرها أدّى ذلك إلى إبراز وإيضاح المعنى.

- يأتي الحذف عامة للإيجاز والاختصار، لأن دلالات الألفاظ تختلف باختلاف السياق الذي وردت فيه.

- يكثر الحذف في القرآن الكريم الذي يشتمل على حذف الحرف والكلمة والجملة، وقد وقف البحث على كثرة الحذف الذي حضى به النداء في القرآن الكريم دون غيره، وتحديدًا الحرف "يا" الذي حُذف كثيراً مع لفظ "الرب" للدلالة على تعظيمه وتنزيهه وقربه من العباد، وذلك لاتساع دلالات هذا الحرف، ومحيي الاسم المنادى به مضافاً إلى ما بعده، ليؤكد خاصية التخاطب.

- يوظف القرآن الكريم لفظاً معيناً ليؤدي معنى خاصاً به، وفي الآية نفسها يختار لفظاً آخر ليؤدي معنى ثانياً، مع أن الموضوع واحد من مثل لفظة "أَنْظُرْ" و"تَرَنِّبِي" الواردة في سورة [الأعراف: 143]، وفي هذا دلالة على أن السياق هو المتحكم في المعنى، فهو الذي يختار الألفاظ المناسبة بحسب الظروف والمواقف والأحداث التي ورد فيها النص القرآني.

- تتعدد معاني الصيغة الصرفية في الخطاب القرآني، إذ إن الصيغة وما تحمله من معان عديدة كانت من الطرائق التي اعتمدها في توسيع دلالة الكثير من الألفاظ القرآنية، فالسياق القرآني يوظف الصيغ بحسب المقام، وبحسب الزمن الذي وضعت فيه كالماضي والمضارع والأمر، أو بحسب موقعها من الجملة اسماً كانت أم فعلاً، فيتسع الخطاب لتأويلات متعددة بتعدد تلك المعاني، لما تحمله من دلالات دقيقة وأسرار تعبيرية مقصودة.

- لا يمكن أن تُسبر أغوار القرآن الكريم إلا بمراعاة المناسبة بين السور وبين الآيات؛ وهذا لا يتأتى إلا بمراعاة السياق، خصوصاً في الآيات التي تتحد في الموضوع وتختلف في الفاصلة، لتقوية الارتباط بين سور القرآن، وتحديد نشاط المتلقي للنص القرآني.

- تشتمل الفواصل القرآنية على أساليب بلاغية كالاستفهام والتوكيد، مما كان له الأثر في إبراز جمال الفاصلة، وهذا من الإعجاز البياني.

- الالتفات ظاهرة بلاغية وأسلوبية أدت دوراً فاعلاً في إضفاء المعنى البلاغي والجمالي على الخطاب القرآني.

- الغرض من العملية الإحصائية هو تحديد المساحة التي شغلها الالتفات في السور التسع المدروسة؛ إذ تتفاوت أنماط الالتفات في درجة الورد، فالالتفات من الغيبة إلى التكلم، والالتفات من التكلم إلى الغيبة أكثر وروداً لاشتغالها على العديد من الموضوعات المتعلقة بقدرة الله تعالى، والموضوعات

المتعلقة بالمؤمنين والمشركين، والجزاء المنتظر لكل فريق.

-للالتفات وظائف عديدة ومتنوعة في الخطاب القرآني، أهمها الوظيفة الدينية التي تنحصر في تبيان قدرته تعالى في الإنسان والكون على حد سواء.

وهناك وظائف بلاغية أخرى متعلقة بأنواع الالتفات، من تهديد وتقريع، وتوبيخ وزجر وغيرها من الأغراض البلاغية.

وفي الأخير أتمنى أن يكون هذا البحث المتشعب فاتحة لبحوث أخرى متواصلة ، لأن كل عنصر فيه بحاجة إلى بحث مستقل.

الفهارس

أولاً- فهرس الآيات القرآنية.

ثانياً- فهرس الأبيات الشعرية.

ثالثاً- قائمة المصادر والمراجع.

رابعاً- فهرس الموضوعات.

أولا- فهرس الآيات القرآنية:

الصفحة	الرقم	الآية
سورة الفاتحة		
188-168	4-3	﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ...﴾
سورة البقرة		
232	25-24	﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا...﴾
180	44-40	﴿يَبْنِي إِسْرَائِيلَ أَذْكَرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ...﴾
10	53	﴿وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى... نَهْتَدُونَ﴾
38	102	﴿وَيَنْعَلُونَ مَا يَصُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ... يَعْلَمُونَ﴾
95	104	﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا... عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾
09	114	﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسْجِدَ اللَّهِ﴾
10	126	﴿قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا﴾
13	158	﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ... فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾
22	197	﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَةٌ﴾
09	198	﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ﴾
14	219	﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ... تَفْعِهِمَا﴾
124	256	﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾
132	285	﴿ءَامِنَ الرُّسُولِ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ... وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾
سورة النساء		
143	06	﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَنْ يَكْبُرُوا﴾
14	43	﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا... مَا نَقُولُونَ﴾
167-135-132	82	﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْءَانَ... كَثِيرًا﴾
90	86	﴿وَإِذَا حُجِّبْتُمْ بِنَجِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنِ مِمَّا أوردوها﴾
111	103	﴿إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا﴾
سورة المائدة		
16	20	﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ... مِنَ الْعَالَمِينَ﴾

38	76	﴿ قُلْ أَعْبُدُوا مِن دُونِ اللَّهِ... السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾
14	90	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا... تُفْلِحُونَ ﴾
212	116	﴿ تَعَلَّمُوا مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعَلَّمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّمُ الْغُيُوبِ ﴾
170	118	﴿ إِنَّ تَعَدِّيهِمْ فَأَتَمُّ عِبَادِكَ... أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾
سورة الأنعام		
146	38	﴿ مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ ﴾
256	71	﴿ قُلْ أَدْعُوا مِن دُونِ اللَّهِ... مُحْشَرُونَ ﴾
07	82	﴿ وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ ﴾
135	103	﴿ لَا تَدْرِكُهُ ءَلْبَصْرٌ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾
سورة الأعراف		
238	12-11	﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ... مِن طِينٍ ﴾
163	20	﴿ فَوَسَّوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ... مِنَ الْخَلِيلَيْنِ ﴾
66	23	﴿ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا... لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾
247-238-207	26	﴿ يَبْنَئُ ءَادَمُ قَدْ أَنزَلْنَا... لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴾
182	28	﴿ وَإِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً... مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾
219	37	﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ... كَانُوا كَافِرِينَ ﴾
66	38	﴿ قَالَ أَدْخُلُوا فِي أُمَمٍ... ضِعْفٌ وَلَكِن لَا تَعْلَمُونَ ﴾
75	44	﴿ وَنَادَىٰ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ... عَلَى الظَّالِمِينَ ﴾
66	47	﴿ وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ... مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾
255	55	﴿ ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴾
219	57	﴿ وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ... لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾
90	60	﴿ قَالَ أَمَلًا مِّن قَوْمِهِ... إِنَّا لَنرَبُّكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾
90	62	﴿ أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي... مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾
91	66	﴿ قَالَ أَمَلًا الَّذِينَ... مِنَ الْكَذِبِينَ ﴾
90	68	﴿ أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴾

178	73	﴿وإِلَىٰ تَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا... عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾
108	77	﴿فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَعَتَوْا... مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾
107	78	﴿فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جِثِيمِينَ﴾
66	89	﴿قَدْ أَفْتَرْنَا عَلَى اللَّهِ... وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ﴾
107	91	﴿فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جِثِيمِينَ﴾
207	93	﴿فَنَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ... عَلَىٰ قَوْمٍ كَافِرِينَ﴾
260-238	99-97	﴿أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ... إِلَّا الْقَوْمَ الْخَاسِرُونَ﴾
76-238	101	﴿تِلْكَ الْأَقْرَىٰ نَقُصُّ عَلَيْكَ... عَلَىٰ قُلُوبِ الْكَافِرِينَ﴾
238-219	102-101	﴿تِلْكَ الْأَقْرَىٰ نَقُصُّ... أَكْثَرَهُمْ لَفْسِقِينَ﴾
48	103	﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمُ... الْمُفْسِدِينَ﴾
101	110-109	﴿قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمٍ... فَمَاذَا تَأْمُرُونَ﴾
102	112-111	﴿قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ... سَاحِرٍ عَلِيمٍ﴾
70	113	﴿وَجَاءَ السَّحَرَةُ... تَحْنُ الْغَالِيِينَ﴾
77	114-113	﴿وَجَاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ... لِمَنِ الْمَقْرَبِينَ﴾
149	117	﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ... مَا يَأْتِيكَونَ﴾
67	126	﴿وَمَا نَنْقِمُ مِنْآ إِلَّا أَنْ ءَامَنَّا... صَبْرًا وَتَوْفَنَّا﴾
238	131-130	﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ... لَا يَعْلَمُونَ﴾
116	131	﴿فَإِذَا جَاءَتْهُمُ الْحَسَنَةُ... لَا يَعْلَمُونَ﴾
48	133	﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ... وَكَانُوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ﴾
238-219	137	﴿وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ... وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ﴾
239	141	﴿وَإِذْ أَجْمَعْنَاكَ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ... مِنْ رَبِّكَ عَظِيمٌ﴾
239	142	﴿وَوَعَدْنَا مُوسَىٰ... سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ﴾
-162-117-64 239	143	﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ... وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾
257-200	145	﴿وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَانِ... دَارَ الْفَاسِقِينَ﴾
69	148	﴿وَأَخَذَ قَوْمَ مُوسَىٰ... وَكَانُوا ظَالِمِينَ﴾

69	150	﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى... الظَّالِمِينَ﴾
64	151	﴿قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي... الرَّاحِمِينَ﴾
227-219	152	﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ... نَجْرَى الْمُفْتَرِينَ﴾
52	154	﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى... لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ﴾
64-62	155	﴿وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ... وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ﴾
94	156	﴿وَرَحِمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾
239	158	﴿قُلْ يَتَّيِبُهَا النَّاسُ... تَهْتَدُونَ﴾
110	167-166	﴿فَلَمَّا عَتَوْا عَنْ مَا نُهُوا... لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾
220	168-167	﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ... لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾
203-200-92	169	﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ... أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾
109	170	﴿وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ... الْمُصْلِحِينَ﴾
239-200	171	﴿وَإِذْ نَقَعْنَا الْجَبَلَ... لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾
200	172	﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ... عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾
240-39	178-177	﴿سَاءَ مَثَلًا الْقَوْمُ... هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾
43	179	﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ... هُمُ الْغَافِلُونَ﴾
220	181-180	﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى... يَعْدِلُونَ﴾
37	188-187	﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ... لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾
39-38-37	188	﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾
200-88	193-191	﴿أَيُّشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ... أَمْ أَنَسَّ صَمِيمُونَ﴾
70	195	﴿قُلْ أَدْعُوا شُرَكَاءَكُمْ... ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنظِرُونِ﴾
سورة الأنفال		
165	32	﴿إِنْ كَانَتْ هَذَاهُوَ الْحَقُّ﴾
سورة التوبة		
171	60	﴿إِنَّمَا الصَّدَقَتُ لِلْفُقَرَاءِ... عَلَيْهِمْ حَكِيمٌ﴾
262	118	﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾
سورة يونس		

247-240	02	﴿ أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا... لَسَجِرٌ مُّبِينٌ ﴾
220	8-6	﴿ إِنَّ فِي أُخْتِ الْفِيلِ... كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾
240	9-7	﴿ إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ... جَنَّتِ النَّعِيمِ ﴾
220	11	﴿ وَلَوْ يَعْلَمُ اللَّهُ لِلنَّاسِ... يَعْمَهُونَ ﴾
207	15-14	﴿ ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ... عَظِيمِ ﴾
38	18	﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ... عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾
259-204-200	21	﴿ وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ... مَا تَمَكَّرُونَ ﴾
216-208	22	﴿ هُوَ الَّذِي يُسَبِّحُكُمْ... مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴾
220-201	23	﴿ فَلَمَّا أَجْتَهُمْ إِذَا هُمْ... بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾
240-121	25-24	﴿ إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا... لِقَوْمٍ يَنْفَكُونَ ﴾
220	28-27	﴿ وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ... تَعْبُدُونَ ﴾
42	31	﴿ قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ... فَقُلْ أَفَلَا نَنْقُونَ ﴾
208	32	﴿ فَذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ الْحَقُّ... فَمَاذَا بَعَدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّى ﴾
208	33-32	﴿ فَذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ... لَا يُؤْمِنُونَ ﴾
241-37	46	﴿ وَإِنَّمَا زُيِّنَاكَ بَعْضَ... مَا يَفْعَلُونَ ﴾
39	47	﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولٌ... وَهُمْ لَا يظْلَمُونَ ﴾
37	49	﴿ قُلْ لَا أَمْلِكُ... وَلَا يَسْتَفِيدُونَ ﴾
208	50	﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ... مِنْهُ الْمُجْرِمُونَ ﴾
184	52	﴿ ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ... تَكْسِبُونَ ﴾
241	61	﴿ وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ... فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴾
201	68	﴿ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ... مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾
228-221	70-69	﴿ قُلْ إِنَّ الَّذِينَ... كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴾
191	70	﴿ مَتَّعٌ فِي الدُّنْيَا... يَكْفُرُونَ ﴾
153	73	﴿ فَكَذَّبُوهُ فَجَبْنَاهُ... النَّادِرِينَ ﴾
48	75	﴿ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ... قَوْمًا مُجْرِمِينَ ﴾

67	85	﴿ فَقَالُوا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا...فِتْنَةَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾
67	88	﴿ وَقَالَ مُوسَى رَبَّنَا إِنَّكَ...حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴾
221	90-89	﴿ قَالَ قَدْ أُجِيبَت...وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾
241	93	﴿ وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ...فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾
241	94	﴿ فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ...مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾
241	99-97	﴿ وَلَوْ جَاءَتْهُمْ...مُؤْمِنِينَ ﴾
259	102	﴿ فَهَلْ يَنْظُرُونَ...الْمُنْتَظِرِينَ ﴾
258	104	﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ...مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾
سورة هود		
208	03	﴿ وَأَنْ أَسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ...يَوْمٍ كَبِيرٍ ﴾
208	5-4	﴿ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ...يَذَاتِ الصُّدُورِ ﴾
209	07	﴿ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ...سِحْرٌ مُبِينٌ ﴾
93	10-9	﴿ وَلَئِنْ أَدْقْنَا الْإِنْسَانَ...لَفَرِحَ فَخُورٌ ﴾
70	17	﴿ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ...لَا يُؤْمِنُونَ ﴾
42	20	﴿ أُولَئِكَ لَمْ يَكُونُوا...كَانُوا يُبْصِرُونَ ﴾
183	24	﴿ مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ...أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾
201	35	﴿ أَمْ يَقُولُونَ...مِمَّا تَجْحَرُونَ ﴾
209	38-37	﴿ وَأَصْنَعُ الْفُلْكَ...كَمَا تَسْخَرُونَ ﴾
209	40	﴿ حَتَّى إِذَا جَاءَ...إِلَّا قَلِيلٌ ﴾
201-74	42	﴿ وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ...مَعَ الْكَافِرِينَ ﴾
74	43	﴿ لَا عَاصِمَ الْيَوْمِ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ ﴾
201-65-64	45	﴿ وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ...الْحَاكِمِينَ ﴾
64	47	﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي...أَعُوذُ...أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾
116	53	﴿ قَالُوا يَا هُوْدُ...بِمُؤْمِنِينَ ﴾
116	54	﴿ إِنْ نَقُولُ إِلَّا...مِمَّا تَشْرِكُونَ ﴾
205-202	57	﴿ فَإِنْ تَوَلَّوْا...حَفِيفٌ ﴾

221	58-57	﴿ فَإِن تَوَلَّوْا...عَذَابٌ غَلِيظٌ ﴾
261	61	﴿ وَإِلَىٰ نُمُودٍ أَهْلَهُمْ... قَرِيبٌ مُّجِيبٌ ﴾
221	64-63	﴿ قَالَ يَنْفَقُونَ... عَذَابٌ قَرِيبٌ ﴾
221-178	66-64	﴿ وَيَنْفَقُونَ هَذِهِ نَافَةٌ اللَّهُ... الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ ﴾
178	65	﴿ فَعَقَرُوهَا... غَيْرٌ مَّكْدُوبٍ ﴾
241	66	﴿ فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا... الْعَزِيزُ ﴾
107	67	﴿ وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا... جَنَّتِمْ ﴾
89	69	﴿ وَلَقَدْ جَاءَتْ... حَنِيدٍ ﴾
116	74	﴿ فَلَمَّا ذَهَبَ... قَوْمٌ لُّوطٍ ﴾
229-221	77-76	﴿ يَأْتِيهِمْ أُعْرَضٌ... يَوْمَ عَصِيبٍ ﴾
50	77	﴿ سَيِّءٌ يَوْمَ وَضَّاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَذَا يَوْمَ عَصِيبٍ ﴾
50	78	﴿ وَجَاءَهُ قَوْمُهُ... رَجُلٌ رَّشِيدٌ ﴾
241	83-82	﴿ فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا... الظَّالِمِينَ بَعِيدٍ ﴾
77	88	﴿ قَالَ يَنْفَقُونَ أَرْءَ يَشْمُ... وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾
261	90	﴿ وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ ﴾
107	94	﴿ وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا... جَنَّتِمْ ﴾
111	98-96	﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ... الْوَرْدُ الْمَوْرُودُ ﴾
242	101	﴿ وَمَا ظَلَمْنَهُمْ... غَيْرَ تَنْبِيءٍ ﴾
74	102	﴿ وَكَذَلِكَ أَخَذَ... أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴾
242	105-104	﴿ وَمَا تَوْخَرُوهُ... وَسَعِيدٌ ﴾
242	110	﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ... مِنْهُ مُرِيبٌ ﴾
189	111	﴿ وَإِن كُلا لَمَّا لِيُوقِنَهُمْ رَبُّكَ أَعْمَلَهُمْ إِنَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾
20	114	﴿ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ... لِلذَّكْرِينَ ﴾
242	117-116	﴿ فَلَوْلَا كَانَ... وَأَهْلُهَا مُصَلِحُونَ ﴾
221	120-119	﴿ إِلَّا مَنْ رَّحِمَ رَبُّكَ... وَذَكَرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾
سورة يوسف		

120-71	18	﴿ وَجَاءُوا عَلَى قَيْصِهِ... مَا نَصِفُونَ ﴾
242	21	﴿ وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ... لَا يَعْلَمُونَ ﴾
222	22-21	﴿ وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ... نَجَزَى الْمُحْسِنِينَ ﴾
222	24	﴿ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ... الْمُخَلَّصِينَ ﴾
68	29	﴿ يُوسُفُ أَعْرَضَ... مِنَ الْخَاطِئِينَ ﴾
192	30	﴿ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا ﴾
193-191	32	﴿ قَالَتْ فَذَلِكُنَّ... مِنَ الصَّغِيرِينَ ﴾
64	33	﴿ قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ... وَأَكُنُّ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴾
81	42	﴿ وَقَالَ لِلَّذِي... بِضَعَ سِنِينَ ﴾
80	46-45	﴿ وَقَالَ الَّذِي نَجَا... لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾
121-81	50	﴿ وَقَالَ الْمَلِكُ أَتُؤْمِنُ بِهِ... بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ ﴾
81	56-54	﴿ وَقَالَ الْمَلِكُ... أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴾
230-222	68	﴿ وَلَمَّا دَخَلُوا مِنْ حَيْثُ... لَا يَعْلَمُونَ ﴾
120	72	﴿ قَالُوا نَفَقْدُ صُوعَ الْمَلِكِ... زَعِيمٌ ﴾
242	76	﴿ فَبَدَأَ بِأَوْعِيَّتِهِمْ... عِلْمٍ عَلَيْهِ ﴾
59	82	﴿ وَسئِلِ الْقَرْيَةَ ﴾
141	85	﴿ قَالُوا تَاللَّهِ... مِنَ الْهَالِكِينَ ﴾
65	101	﴿ رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ... بِالصَّالِحِينَ ﴾
-201-180-91 202	109	﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ... نَعْقِلُونَ ﴾
سورة إبراهيم		
242	01	﴿ الرَّكِيذُ أَنْزَلْنَاهُ... الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴾
243-149	04	﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ... الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴾
243-105	05	﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا... شَكُورٍ ﴾
147	17-15	﴿ وَأَسْتَفْتَحُوا وَخَابَ... عَذَابٌ غَلِيظٌ ﴾
209	21-19	﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ... مِنْ مَّحْيِصٍ ﴾

158	22	﴿ وَقَالَ الشَّيْطَانُ ... مِنْ قَبْلُ ﴾
104-103	34-28	﴿ أَلَمْ تَر إِلَى الَّذِينَ ... لَطَلُومٌ كَفَّارٌ ﴾
190	30	﴿ وَجَعَلُوا لِلَّهِ ... إِلَى النَّارِ ﴾
231-222	31-30	﴿ وَجَعَلُوا لِلَّهِ أَدَادًا ... وَلَا خِلَلٌ ﴾
232-170	31	﴿ قُلْ لِعِبَادِيَ الَّذِينَ ... وَلَا خِلَلٌ ﴾
103	34	﴿ وَءَاتَاكُمْ مِنْ كُلِّ ... لَطَلُومٌ كَفَّارٌ ﴾
65	36-35	﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ ... عَصَايَ فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾
212-67	37	﴿ فَاجْعَلْ أَفْتِدَاءَ ... لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴾
212-210-67	38	﴿ رَبَّنَا إِنَّكَ تَعَلَّمُ ... وَلَا فِي السَّمَاءِ ﴾
-202-67-65 213	40-39	﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ ... وَتَقَبَّلْ دُعَاءَ ﴾
67	44	﴿ وَأَنْذِرِ النَّاسَ يَوْمَ يَا نَبِيَّهُمْ ... مِنْ زَوَالٍ ﴾
243	46-45	﴿ وَسَكَنتُمْ فِي مَسْكَانٍ ... مِنْهُ الْجِبَالُ ﴾
سورة العنكبوت		
-37-34-28 127	09	﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾
116	11-10	﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا ... يَسْنَهُزُهُونَ ﴾
53	20-16	﴿ وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ ... وَمَنْ لَسْتُمْ لَهُ بِرِزْقِينَ ﴾
42	18	﴿ إِلَّا مِنْ أَسْرَفٍ أَسْمَعُ فَاتَّبِعْنَاهُ ... شِهَابٌ مُبِينٌ ﴾
32	24	﴿ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنْكُمْ ... وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ ﴾
243	25-24	﴿ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ ... حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴾
65	36	﴿ قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمٍ يُبْعَثُونَ ﴾
65	39	﴿ قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي ... وَلَا أَغْوَيْتَنِي مِنْ أَجْمَعِينَ ﴾
202	46-45	﴿ إِنَّتِ الْمُتَّقِينَ ... ءَامِنِينَ ﴾
213-210	47-46	﴿ ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ... مُنْقَلِبِينَ ﴾
222	60-58	﴿ قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا ... لِمَنْ الْغَابِرِينَ ﴾

49	61	﴿ فَلَمَّا جَاءَ آلَ لُوطٍ الْمُرْسَلُونَ ﴾
119-50	64-63	﴿ قَالُوا بَلْ جِئْنَاكَ... وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴾
222	66-65	﴿ فَأَسْرِبْ بِأَهْلِكَ... مُصْبِحِينَ ﴾
243	86-85	﴿ وَمَا خَلَقْنَا... الْخَالِقُ الْعَلِيمُ ﴾
232-222	87-86	﴿ إِنَّ رَبَّكَ... وَالْقُرْءَانَ الْعَظِيمَ ﴾
232-146	88-87	﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ... لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾
232-55	88	﴿ لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ... لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾
144	94	﴿ فَأَصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﴾
248-243	96-95	﴿ إِنَّا كَفَيْنَاكَ... يَعْلَمُونَ ﴾
243	98-97	﴿ وَلَقَدْ نَعَلْنَا... السَّجِدِينَ ﴾
سورة النحل		
214-210-120	01	﴿ آتَىٰ أَمْرُ اللَّهِ... عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾
222	02	﴿ يُزِيلُ الْمَلَايِكَةَ... فَاتَّقُونَ ﴾
114	8-3	﴿ خَلَقَ السَّمَوَاتِ... مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾
144	7-5	﴿ وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا... لِرءُوفٍ رَّحِيمٍ ﴾
151	10	﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ... فِيهِ تُسِيمُونَ ﴾
172-151	11	﴿ يُنَبِّئُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ... لِقَوْمٍ يَنْفَكِرُونَ ﴾
151	14-11	﴿ يُنَبِّئُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ... وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾
210	16-15	﴿ وَالْقَىٰ فِي الْأَرْضِ... هُمْ يَهْتَدُونَ ﴾
171	18	﴿ وَإِنْ نَعُدُّوْا... اللَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾
213	19	﴿ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسْرُوتُ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴾
162	26	﴿ قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ... لَا يَشْعُرُونَ ﴾
223-202-113	28	﴿ الَّذِينَ تَتَوَقَّعُهُمْ... تَعْمَلُونَ ﴾
185	35	﴿ وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا... أَلْبَلَعُ الْمِصِينُ ﴾
244	36	﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا... عَقِيبَةَ الْمُكَدِّبِينَ ﴾
223	41	﴿ وَالَّذِينَ هَاجَرُوا... كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾

116	42	﴿ الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾
116	43	﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا ... لَا تَعْمُونَ ﴾
202	47	﴿ أَوْ يَأْخُذْهُمْ عَلَىٰ تَخَوُّفٍ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾
223	51	﴿ وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا ... فَأَرْهَبُونَ ﴾
244	52-51	﴿ وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا ... اللَّهُ نُنْقَوْنَ ﴾
223	55-54	﴿ ثُمَّ إِذَا كُشِفَ ... تَعْلَمُونَ ﴾
202	55	﴿ لِيَكْفُرُوا بِمَا ءَانَيْنَهُمْ ^{٥٤} فَتَمَتَّعُوا ^{٥٥} فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾
249-244-202	56	﴿ وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا ... كُنتُمْ تَفْتَرُونَ ﴾
223	63	﴿ تَأْتِيهِمْ لَقْدَأَرْسَلْنَا ... وَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾
244	65-64	﴿ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ ... يَسْمَعُونَ ﴾
223	66-65	﴿ وَاللَّهُ أَنْزَلَ ... لِلشَّرِيبِينَ ﴾
210	69-68	﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ ... يَنْفَكُونَ ﴾
173	69	﴿ ثُمَّ كَلَّمِي ... يَنْفَكُونَ ﴾
223-210	72	﴿ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ ... هُمْ يَكْفُرُونَ ﴾
234-223	75	﴿ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا ... لَا يَعْلَمُونَ ﴾
42	77	﴿ وَاللَّهُ غَيْبُ السَّمَوَاتِ ... شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾
42	78	﴿ وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ ... تَشْكُرُونَ ﴾
210	79-78	﴿ وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ ... لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾
210	81	﴿ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ ... لَعَلَّكُمْ تَسْلِمُونَ ﴾
210	82-81	﴿ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ ... أَلْبَلِغُ الْمَعِينِ ﴾
223	84-83	﴿ يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ... وَلَا هُمْ يَسْتَعْنُونَ ﴾
67	86	﴿ وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ أَشْرَكُوا ... إِنَّكُمْ لَكَذِبُونَ ﴾
224	88	﴿ الَّذِينَ كَفَرُوا ... يُفْسِدُونَ ﴾
146-113	89	﴿ وَيَوْمَ نَبْعَثُ ... وَبَشَرًا لِّلْمُسْلِمِينَ ﴾
244	90-89	﴿ وَيَوْمَ نَبْعَثُ ... لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾
116	99	﴿ إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾

244	101	﴿ وَإِذَا بَدَلْنَا آيَةً... لَا يَعْلَمُونَ ﴾
224	122-120	﴿ إِنَّ إِيْرَاهِيْمَ كَانَ... الصّٰلِحِيْنَ ﴾
70	127	﴿ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُفِ فِي صَبَقِ مِمَّا يَمْكُرُونَ ﴾
سورة الإسراء		
244-224-41	1	﴿ سُبْحٰنَ الَّذِيْ اَسْرٰى... البصير ﴾
161	7	﴿ اِنْ اَحْسَنْتُمْ... مَا عَلَوْا تَبِيْرًا ﴾
224-211	8	﴿ عَسٰى رُبُّكُمْ... حَصِيْرًا ﴾
177	9	﴿ اِنْ هٰذَا الْقُرْءَانُ... كِبٰرًا ﴾
245-224	12	﴿ وَجَعَلْنَا الْاَيْلَ... تَفْصِيْلًا ﴾
202	14-13	﴿ وَكَلَّ اِنْسٰنٍ اَلْمَظْنٰنَ... حَسِيْبًا ﴾
245	17	﴿ وَكَمْ اَهْلَكْنَا... خَيْرًا بَصِيْرًا ﴾
245	20	﴿ كَلَّا نُمَدُّ... رَبِّكَ مَحْطُوْرًا ﴾
174	21	﴿ اَنْظُرْ كَيْفَ... تَفْصِيْلًا ﴾
160	23	﴿ وَقَضٰى رَبُّكَ... قَوْلًا كَرِيْمًا ﴾
65-54	24	﴿ وَاخْفِضْ لِهٰمًا جَنَاحَ الْاُدْلِ... كَا رَبِّيْنِيْ صَغِيْرًا ﴾
224	33	﴿ وَلَا تَقْتُلُوا الْاَنْفُسَ... مَنْصُوْرًا ﴾
42	36	﴿ وَلَا تَقْفُ... مَسْئُوْلًا ﴾
-211-143-39 224	41-40	﴿ اَفَاَصْفٰكُمْ رَبُّكُمْ... اِلَّا نُوْرًا ﴾
143	51	﴿ اَوْ خَلْقًا... يَكُوْنُ قَرِيْبًا ﴾
225-215-211	54	﴿ رَبُّكُمْ اَعْلَمُ... عَلَيْهِمْ وَكِيْلًا ﴾
225	55	﴿ وَرَبُّكَ اَعْلَمُ... زُبُوْرًا ﴾
245-235-225	60	﴿ وَاِذْ قُلْنَا لَكَ... كِبٰرًا ﴾
181	61	﴿ وَاِذْ قُلْنَا لِلْمَلٰٓئِكَةِ... طِيْنًا ﴾
245	63-61	﴿ وَاِذْ قُلْنَا لِلْمَلٰٓئِكَةِ... جَزَآءَ مَوْفُوْرًا ﴾
203-164	63-62	﴿ قَالَ اَرۡءَيْتَ... مَوْفُوْرًا ﴾

211	64-63	﴿ قَالَ أَذْهَبَ ... إِلَّا غُرُورًا ﴾
245	65	﴿ إِنَّ عِبَادِي ... وَكَيْلًا ﴾
212	67	﴿ وَإِذَا مَسَّكُمْ ... الْإِنْسَانُ كُفُورًا ﴾
225	69	﴿ أَمْرًا مَنِتُمْ ... بِهِءَ نَبِيْعًا ﴾
174	70	﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا ... تَفْضِيلًا ﴾
65	80	﴿ وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ ... لِدُنْكَ سُلْطَانًا نَّصِيرًا ﴾
245	87-86	﴿ وَلَيْنَ سُنَّتْنَا ... كَبِيرًا ﴾
78	94	﴿ وَمَا مَنَعَ النَّاسَ ... رُسُولًا ﴾
225	97	﴿ وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ ... سَعِيرًا ﴾
سورة الكهف		
-143-142-41 225-203-177	7-1	﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ ... أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾
67	10	﴿ إِذْ أَوْى الْقَيْتَبُ إِلَى الْكَهْفِ ... لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴾
225	13	﴿ نَحْنُ نَقُصُّ ... هُدًى ﴾
225	18-17	﴿ وَتَرَى السَّمْسَ ... رُجْبًا ﴾
246	21	﴿ وَكَذَلِكَ ... مَسْجِدًا ﴾
72	22	﴿ سَيَقُولُونَ ... مِنْهُمْ أَحَدًا ﴾
236-226	28	﴿ وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ ... أَمْرَهُ فُرْطًا ﴾
226	29	﴿ وَقُلِ الْحَقُّ ... مَرْتَفَقًا ﴾
70	39	﴿ إِنْ تَرَنِ أَنَا أَقَلَّ مِنْكَ مَالًا وَوَلَدًا ﴾
70	40	﴿ فَعَسَى رَبِّي ... زَلْقًا ﴾
250-246	45	﴿ وَأَضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا ... شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴾
226	47-46	﴿ أَلْمَالُ وَالْبَنُونَ ... مِنْهُمْ أَحَدًا ﴾
246-226-112	48-47	﴿ وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ... لَكُمْ مَوْعِدًا ﴾
226	49	﴿ وَوَضِعَ الْكِتَابِ ... رَبُّكَ أَحَدًا ﴾
226-216-212	50	﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ ... بَدَلًا ﴾

40-39	54-52	﴿ وَيَوْمَ يَقُولُ... شَيْءٌ جَدَلًا ﴾
246-78	55-54	﴿ وَلَقَدْ صَرَفْنَا... الْعَذَابَ قُبَلًا ﴾
113	56	﴿ وَمَا تُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ... أَنْذِرُوا هُرُورًا ﴾
246-227	58-57	﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن... مَوْيلًا ﴾
227	59-58	﴿ وَرَبِّكَ الْغَفُورُ... مَوْيلًا ﴾
123	71	﴿ فَأَنْطَلَقًا... إِمْرًا ﴾
123	74	﴿ فَأَنْطَلَقًا حَتَّى... نُكْرًا ﴾
123	77	﴿ فَأَنْطَلَقًا... عَلَيْهِ أَجْرًا ﴾
122	78	﴿ قَالَ هَذَا... صَبْرًا ﴾
264-123	82-79	﴿ أَمَا السِّفِينَةُ... صَبْرًا ﴾
121	97	﴿ فَمَا اسْتَطَعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَعُوا لَهُ نَقْبًا ﴾
227	105	﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا... الْقَيْمَةَ وَزَنًا ﴾
82	109	﴿ قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ... مَدَدًا ﴾
سورة طه		
38	89	﴿ أَفَلَا يَرَوْنَ... ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ﴾
76	99	﴿ كَذَلِكَ نَقُصُّ... ذِكْرًا ﴾
213	110	﴿ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا ﴾
163	120	﴿ فَوْسَوْسَ... وَمَلِكٍ لَا يَبْلَى ﴾
سورة الأنبياء		
214	01	﴿ اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ﴾
151	30	﴿ وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴾
213	110	﴿ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ مِنَ الْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ ﴾
سورة الحج		
38	13-12	﴿ يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ... وَلَيْسَ الْعَشِيرُ ﴾
213	70	﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ... عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴾
255	77	﴿ يَتَّبِعُهَا الَّذِينَ... أَعْلَمَكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾

سورة المؤمنون		
49	47	﴿فَقَالُوا أَتُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَدِيدُونَ﴾
42	78	﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾
سورة النور		
20	10-6	﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ... تَوَّابٌ حَكِيمٌ﴾
150	46	﴿لَقَدْ أَنْزَلْنَا آيَاتٍ مُبِينَاتٍ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾
سورة الفرقان		
38	03	﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ... وَلَا تَشُورُوا﴾
85	32	﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا... وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا﴾
سورة الشعراء		
102	37	﴿يَأْتُواكَ بِكُلِّ سِحْرٍ عَلِيمٍ﴾
57	195-192	﴿وَأَنبَهُ لِنَزِيلِ... عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾
42	212	﴿إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمْعَزُولُونَ﴾
42	223	﴿يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْتُرُهُمْ كِذْبُونَ﴾
سورة النمل		
230	55	﴿أَيُّكُمْ لِنَاتُوْنَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ يَّجْهَلُونَ﴾
سورة القصص		
105	04	﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ... مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾
159	18	﴿فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ... مُبِينٌ﴾
09	43	﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى... يَتَذَكَّرُونَ﴾
سورة العنكبوت		
110	45	﴿أَتَلُّ مَا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ... مَا تَصْنَعُونَ﴾
سورة الروم		
145	43	﴿يَوْمَئِذٍ يَصَّدَعُونَ﴾
سورة لقمان		
8	13	﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَنُ لِابْنِهِ... لَظَلَمَ عَظِيمٌ﴾
191	24	﴿نُمِيعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾

سورة السجدة		
42	09	﴿ تُمْسَوْنَهُ... مَا تَشْكُرُونَ ﴾
38	16	﴿ نَتَجَافَى جُنُوبَهُمْ... يَنْفِقُونَ ﴾
سورة سبأ		
255	15	﴿ لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ... وَرَبِّ عَفُورٍ ﴾
سورة فاطر		
106	02	﴿ مَا يَفْتَحُ اللَّهُ... وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾
159	37	﴿ وَهُمْ يَصْطَرِحُونَ... مِنْ نَصِيرٍ ﴾
سورة يس		
256-254	22-21	﴿ اتَّبِعُوا... وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾
159	43	﴿ وَإِنْ تَشَاءُ نُنْقِزْهُمْ فَلَا يَصْرِخُ لَهُمْ وَلَا هُمْ يُقَدُّونَ ﴾
سورة الصافات		
168	118-117	﴿ وَءَايَاتِنَاهُمَا الْكُتُبَ... الْمُسْتَقِيمَ ﴾
سورة الزمر		
112	68	﴿ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ... يَنْظُرُونَ ﴾
سورة مائدة		
172	07	﴿ الَّذِينَ يَجْمَلُونَ... عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴾
سورة فصلت		
28	03	﴿ كَذَّبَ فَصَلَّتْ آيَاتُهُ، فَرَأَى أَنَا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾
185	28	﴿ ذَلِكَ جَزَاءُ... يَجْحَدُونَ ﴾
124	42	﴿ لَا يَأْتِيهِ الْبَطْلُ... حَمِيدٍ ﴾
سورة الشورى		
94	48	﴿ وَإِنَّا إِذَا أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ... كُفُورًا ﴾
سورة الزمر		
152	12	﴿ اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ... تَشْكُرُونَ ﴾
سورة الأحقاف		
09	10	﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ... عَلَىٰ مِثْلِهِ ﴾

سورة محمد		
165	24	﴿ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْفُرْعَانَ أَمْرًا عَلَى قُلُوبٍ أَفْأَلُهَا ﴾
سورة الفتح		
255	2-1	﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ... مُسْتَقِيمًا ﴾
255	03	﴿ وَيَبْصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيمًا ﴾
38	11	﴿ سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلْفُونَ... خَيْرًا ﴾
سورة الجبراة		
141-95	14	﴿ قَالَتِ الْأَعْرَابُ... إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾
سورة ق		
164-163	16	﴿ وَنَعْلَمُ مَا تُوسِسُ بِهِ نَفْسُهُ ﴾
42	37	﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ... وَهُوَ شَهِيدٌ ﴾
سورة النجم		
43	17	﴿ مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى ﴾
40	21	﴿ أَلَمْ تَذْكُرْ لَهُ الْآتِنَى ﴾
سورة القمر		
214	01	﴿ اقْرَبَتِ السَّاعَةُ وَأَنْشَقَّ الْقَمَرُ ﴾
سورة الواقعة		
135	29-28	﴿ فِي سِدْرٍ... مَنْضُورٍ ﴾
112	50-49	﴿ قُلْ إِنَّا لِلَّهِ وَأُولَئِكَ... يَوْمَ مَعْلُومٍ ﴾
سورة الحشر		
07	07	﴿ وَمَاءَ أَنْتُمْ الرَّسُولُ... الْعَقَابِ ﴾
سورة الصف		
143	03	﴿ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾
سورة الملك		
43	03	﴿ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ... فُطُورٍ ﴾
43	04	﴿ ثُمَّ أُنجِجَ الْبَصَرَ كَرَيْنَيْنِ بِنَقْلِ الْبَصَرِ حَاسِتًا وَهُوَ حَسِيرٌ ﴾
42	23	﴿ قُلْ هُوَ الَّذِي... مَا تَشْكُرُونَ ﴾

سورة نوح		
91	05	﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا﴾
262	10	﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا﴾
168	14-13	﴿مَالِكُمْ...أَطْوَارًا﴾
سورة القيامة		
43	07	﴿فَإِذَا رَفِئَتِ الْبَصُرُ﴾
02	30	﴿إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ﴾
سورة الإنسان		
184	01	﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا﴾
سورة النبأ		
152	11	﴿وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا﴾
سورة التكويد		
169	18-15	﴿فَلَا أُقْسِمُ بِالْخَنَسِ... وَالصُّبْحِ إِذَا نَفَسَ﴾
سورة الانشقاق		
191	19	﴿لَتَرَكُنَّ بَطِيحًا عَن طَبَقِ﴾
سورة الطارق		
165	13	﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ فَصْلٍ﴾
سورة الغاشية		
168	14-13	﴿فِيهَا سُرٌّ مَّرْفُوعَةٌ وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ﴾
168	16-15	﴿وَمَنَارِقٌ مَّصْفُوفَةٌ ﴿١٥﴾ وَرِزَابِي مَبْنُوتَةٌ ﴿١٦﴾﴾
168	26-25	﴿إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ ﴿٥٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ ﴿٥٦﴾﴾
سورة الزلزلة		
108	2-1	﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ﴿١﴾ وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ﴿٢﴾﴾
سورة العاديات		
262	7-6	﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ... لَشَهِيدٌ﴾
262	08	﴿وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾
سورة التكاثر		

136	6-5	﴿كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ... الْجَحِيمَ﴾
سورة الإخلاص		
143	4-1	﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ... كُفُّوا أَحَدًا﴾
سورة الناس		
163	5-4	﴿مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ... صُدُورِ النَّاسِ﴾

ثانياً - فهرس الأبيات الشعرية:

الصفحة	القائل	الوزن	البيت الشعري
32	ليبيد بن أبي ربيعة	الكامل	فمضى وَقَدَّمَهَا وَكَانَتْ عَادَةً منه إِذَا هِيَ عَرَّكَتْ إِقْدَامُهَا
58	امرؤ القيس	الكامل	لَهَا جَبْهَةٌ كَسْرَاةٍ الْمِجَنِّ حَذَفَةُ الصَّانِعِ الْمُقْتَدِرِ
63	ذي الرمة	الطويل	أَلَا رَبِّ مَنْ قَلْبِي لَهُ لِلَّهِ نَاصِحٌ وَمَنْ قَلْبُهُ لِي فِي الظُّبَاءِ السَّوَانِحِ

ثالثاً_ قائمة المصادر والمراجع:

-القرآن الكريم برواية حفص.

1_ المصادر والمراجع:

1. الإتيان في علوم القرآن: أبو الفضل جلال الدين عبد الرحمن ابن أبي بكر السيوطي، تح: مركز الدراسات القرآنية ، دط، المملكة العربية السعودية، دت.
2. أحسن القصص: تاريخ الإسلام كما ورد من المصدر. مع ترتيب السور حسب النزول: ابن قرناس، ط1، منشورات الجمل، بيروت لبنان، 2010م.
3. أدب الكاتب: أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة، تح: محمد الدالي، دط، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، دت.
4. الأدوات النحوية في كتب التفسير: محمود أحمد الصغير، ط1، دار الفكر، دمشق، سوريا، 1422هـ-2001م.
5. إرشاد الرحمن لأسباب النزول والناسخ والمنسوخ والمتشابه وتجويد القرآن: عطية بن عطية الأجهوري، اعنتى به: أبو الفضل الدمياطي، أحمد بن علي، ط1، مركز التراث الثقافي المغربي المغرب، ودار ابن حزم، بيروت، لبنان، 1430هـ-2009م.
6. أساليب التوكيد في القرآن الكريم: عبد الرحمن المطردي، ط1، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، مصراتة، ليبيا، 1986م.
7. أساليب التوكيد من خلال القرآن الكريم: دراسة تحليلية لنموذجين (الاشتغال طبيعته وإعراجه- التوكيد ب (إن النافية): أحمد مختار البرزة، ط1، مؤسسة علوم القرآن، دمشق، بيروت، 1985م.
8. الأساليب النحوية: عرض وتطبيق: محسن علي عطية، ط1، دار المناهج للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 1428هـ-2007م.
9. أسباب النزول: أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري وبهامشه الناسخ والمنسوخ: أبو القاسم هبة الله ابن سلامة أبي النصر، دط، عالم الكتب، بيروت، لبنان، دت.

10. أسباب النزول: بسام الحمل، ط1، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، 2005م.
11. أسرار التشابه الأسلوبي في القرآن الكريم: شلتاغ عبود، ط1، دار المحجة البيضاء، بيروت، لبنان، 1424هـ-2003م.
12. أسرار التقديم والتأخير في لغة القرآن الكريم: محمد السيد شيخون، ط1، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، مصر، 1403هـ-1983م.
13. أسرار الحروف: أحمد زرقعة، ط1، دار الحصاد للنشر والتوزيع، دمشق، سوريا، 1993م.
14. أسرار العربية: أبو البركات عبد الرحمن بن محمد بن سعيد الأنباري، تح: محمد بهجت البيطار، دط، مطبوعات الجمع العلمي العربي، دمشق، سوريا، دت.
15. أسلوب الاستفهام في القرآن الكريم: غرضه، إعرابه: عبد الكريم محمود يوسف، ط1، مكتبة الغزالي، دمشق، سوريا، 1421هـ-2000م.
16. أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية: حسن طبل، ط1، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، 1418هـ-1998م.
17. أسلوب الحذف في القرآن الكريم وأثره في المعاني والإعجاز: مصطفى شاهر خلوف، ط1، دار الفكر، عمان، الأردن، 1430هـ-2009م.
18. أسلوبية الانزياح في النص القرآني: أحمد غالب الخرشنة، ط1، الأكاديميون للنشر والتوزيع، عمان، المملكة الأردنية الهاشمية، 1435هـ-2014م.
19. أسئلة بيانية في القرآن الكريم: فاضل صالح السامرائي، ط1، مكتبة التابعين، القاهرة، مصر، 1429هـ-2008م.
20. الإشارة إلى الإيجاز في بعض أنواع المحاز: عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام السلمي، تقديم: رمزي سعد الدين دمشقية، ط1، دار البشائر الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1407هـ - 1987م.
21. إصلاح المنطق: أبو يوسف يعقوب بن إسحاق ابن السكيت، تح: أحمد محمد شاكر، عبد السلام محمد هارون، دار المعارف، مصر، دت.
22. الأصوات اللغوية: إبراهيم أنيس، دط، مكتبة نخضة مصر ومطبعتها بمصر، مصر، دت.
23. الأصوات في النحو: أبو بكر محمد بن سهل بن السراج، تح: عبد الحسين الفتلي، ط3، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، 1417هـ-1996م.

24. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن: محمد الأمين بن محمد المختار الحكني الشنقيطي، تح: محمد عبد العزيز الخالدي، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1424هـ-2003م.
25. الإعجاز البلاغي في الخطاب القرآني "الالتفات نموذجاً": مازن موفق صديق الخيرو، ط1، دار البيان، دمشق، سوريا، 1431هـ-2010م.
26. الإعجاز البياني في ترتيب آيات القرآن الكريم: محمد أحمد يوسف القاسم، ط1، دار المطبوعات الدولية، القاهرة، مصر، 1399هـ-1979م.
27. الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق، دراسة قرآنية لغوية بيانية: عائشة عبد الرحمن، ط3، دار المعارف، القاهرة، مصر، دت.
28. الإعجاز الصربي في القرآن الكريم: دراسة نظرية تطبيقية: التوظيف البلاغي لصيغة الكلمة: عبد الحميد أحمد هنداوي، ط1، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، 1429هـ-2008م.
29. الإعجاز الفني في القرآن: عمر السلامي، ط1، مؤسسة الرسالة عبد الكريم بن عبد الله، تونس، 1980م.
30. إعجاز القرآن والبلاغة النبوية: مصطفى صادق الرافعي، ط3، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، 1425هـ-2005م.
31. إعجاز القرآن: أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني، تح: السيد أحمد صقر، دط، دار المعارف، مصر، دت.
32. إعجاز القرآن: الفواصل: حسين نصار، ط1، مكتبة مصر، مصر، 1999م.
33. إعراب الجمل وأشباه الجمل: فخر الدين قباوة، ط5، دار القلم، حلب، سوريا، 1409هـ-1989م.
34. أقسام الكلام العربي من حيث الشكل والوظيفة: فاضل مصطفى الساقى، دط، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، 1977م.
35. الألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية: الجملة البسيطة: ميشال زكريا، ط2، المؤسسة الجامعية للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1406هـ-1986م.
36. آليات ترابط النص القرآني: رشيد برقان، ط1، أفريقيا الشرق، المغرب، 2015م.
37. الإيضاح في علوم البلاغة: الخطيب القزويني، شرح وتعليق: محمد عبد المنعم خفاجي، ط3، المكتبة الأزهرية للتراث، مصر، 1413هـ-1993م.

38. البحث الأسلوبي: معاصرة وتراث: رجاء عيد، د ط، منشأة المعارف، الإسكندرية، مصر، 1993م.
39. بحر المحبة في أسرار المودة في تفسير سورة يوسف: أحمد الغزالي، دط، القاهرة، مصر، 1963م.
40. بحوث في قصص القرآن: السيد عبد الحافظ عبد ربه، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 2000م.
41. بديع القرآن: ابن أبي الأصبع المصري، تح: حفي محمد شرف، دط، نخضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، دت.
42. البديع: عبد الله بن المعتز: تعليق: إغناطيوس، كراتشوفوسكي، ط3، منقحة، دار الميسرة، بيروت، لبنان، 1402هـ-1982م.
43. البرهان في تجويد القرآن: محمد الصادق قمحاوي، دط، المكتبة الثقافية، بيروت، لبنان، دت.
44. البرهان في توجيه متشابه القرآن: محمود بن حمزة بن نصر الكرمانلي، تح: عبد القادر عطا، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1406هـ-1986م.
45. البرهان في علوم القرآن: بدر الدين بن عبد الله الزركشي، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دط، دار التراث العربي، القاهرة، مصر، دت.
46. بلاغة التراكيب: دراسة في علم المعاني: توفيق الفيل، دط، مكتبة الآداب، القاهرة، مصر، 1991م.
47. بلاغة التقديم والتأخير في القرآن الكريم: علي أبو القاسم عون، ط1، دار المدار الإسلامي، بيروت، لبنان، يناير، 2006م.
48. البلاغة العالية: علم المعاني: عبد المتعال الصعيدي، تقلد: عبد القادر حسين، ط2، مكتبة الآداب، مصر، 1411هـ-1991م.
49. البلاغة العربية أسسها، وعلومها وفنونها: عبد الرحمن حسن جبنكة الميداني، ط1، دار القلم، دمشق، سوريا، والدار الشامية، بيروت، لبنان، 1416هـ-1996م.
50. بلاغة القرآن بين الفن والتاريخ: دراسة تاريخية فنية مقارنة: فتحي أحمد عامر، دط، منشأة المعارف، الإسكندرية، مصر، 1983م.
51. بلاغة الكلمة والجملة والجمل: منير سلطان، ط3، منشأة المعارف، الإسكندرية، مصر، 1996م.
52. بلاغة تصريف القول في القرآن الكريم: عبد الله محمد النقراط، ط1، دار ابن قتيبة للطباعة والنشر، دمشق، سوريا، 1423هـ-2002م.

53. البلاغة فنونها وأفنانها: علم المعاني: فضل حسن عباس، ط4، دار الفرقان للطباعة والنشر والتوزيع، الأردن، 1417هـ-1997م.
54. البلاغة والأسلوبية: محمد عبد المطلب، ط1، مكتبة الشركة المصرية العالمية للنشر، لوبنجان، القاهرة، مصر، 1994م.
55. البيان في الإعجاز والتناسب في القرآن الكريم: عقيد خالد حمودي العزاوي، ط1، دار العصماء، دمشق، سوريا، 1436هـ-2015م.
56. البيان في روائع القرآن: دراسة لغوية وأسلوبية للنص القرآني: تمام حسان، ط3، عالم الكتب، نشر وتوزيع وطباعة، القاهرة، مصر، 1430هـ-2009م.
57. البيان والتبيين: أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، تح: عبد السلام محمد هارون، ط7، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، 1417هـ-1998م.
58. تاريخ القرآن: تيدور نولدكه، تعديل فريدريش شغالي، تر: جورج تامر، ط4، منشورات الجمل، بيروت، لبنان، 2008م.
59. تأملات إيمانية في سورة يوسف: ياسر برهامي، دط، دار الإيمان للنشر والتوزيع، الإسكندرية، مصر، 2004م.
60. تأويل مشكل القرآن: عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، تح: السيد أحمد صقر، ط3، المكتبة العلمية، بيروت، لبنان، 1401هـ-1981م.
61. تحرير التحرير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن: ابن أبي الأصعب المصري، تح: حفني محمد شرف، دط، لجنة إحياء التراث الإسلامي، دت.
62. التحرير والتنوير: محمد الطاهر ابن عاشور: دط، الدار التونسية للنشر، تونس، 1984م.
63. تحفة الأريب بما في القرآن من الغريب: أثير الدين أبو حيان الأندلسي تصحيح: طاهر النعاني، مطبعة الإخلاص، حماة، سوريا، 1345هـ-1926م.
64. الترابط النصي في ضوء التحليل اللساني للنخاطب: خليل بن ياسر البطاشي، ط1، دار جرير للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 1430هـ-2009م.
65. التراكيب النحوية من الوجهة البلاغية عند عبد القاهر الجرجاني: عبد الفتاح لاشين، دط، دار المريخ للنشر، المملكة العربية السعودية، دت.

66. التسهيل لعلوم التنزيل: أبو القاسم محمد بن أحمد بن جزى الكلبي الغرناطي، تح: محمد عبد المنعم اليونسي، إبراهيم عطوة عوض ، دط، أم القرى للطباعة والنشر، القاهرة، مصر، دت.
67. تصريف القول في القصص القرآني: دراسة بلاغية تحليلية لقصة موسى عليه السلام: أحمد محمد صافي المستغامي، دط، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، 2011م.
68. التصوير الفني في القرآن: سيد قطب، ط16، دار الشروق، مصر، 1433هـ-2002م.
69. التعبير الفني في القرآن: بكري شيخ أمين، ط1، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، تموز/يوليو 1994م.
70. التعبير القرآني: فاضل صالح السامرائي، ط4، دار عمان، الأردن، 1427هـ-2006م.
71. التعريفات: علي بن محمد الشريف الجرجاني، دط، مكتبة لبنان، بيروت، لبنان، 1985م.
72. التغيرات السياقية في القرآن الكريم: حازم ذنون إسماعيل السبعواوي، دط، دار الكتاب العربي، دمشق، سوريا، 2006م.
73. تفسير أبي السعود: المسمى إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم: أبو السعود محمد بن محمد العمادي، دط، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، دت.
74. تفسير البحر المحيط: محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي، تح: عادل أحمد عبد الموجود، علي محمد معوض، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1413هـ-1993م.
75. تفسير البغوي: معالم التنزيل: أبو الحسين بن مسعود البغوي، تح: محمد عبد الله النصر، عثمان جمعة ضميرية، ط1، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض، المملكة العربية السعودية، 1409هـ-1989م.
76. تفسير الثعالبي: المسمى بالجواهر الحسان في تفسير القرآن: عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف أبي زيد الثعالبي المالكي، تح: علي محمد معوض، عادل أحمد عبد الموجود، ط1، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، 1418هـ-1997م.
77. تفسير الفخر الرازي: الشهير بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب: فخر الدين محمد الرازي، ط1، دار الفكر، بيروت، لبنان، 1401هـ-1981م.
78. تفسير القاسمي: المسمى محاسن التأويل: محمد جمال الدين القاسمي، تعليق: محمد فؤاد عبد الباقي، ط1، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه، مصر، 1376هـ-1957م.
79. تفسير القرآن العظيم: عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي، تح: مصطفى السيد محمد وحسن عباس قطب وآخرون، ط1، مؤسسة قرطبة، الجزيرة، مصر، 1421هـ-2000م.

80. التفسير القرآني للقرآن: عبد الكريم الخطيب، دط، دار الفكر العربي المعاصر، القاهرة، مصر، دت.
81. تفسير النسفي المسمى: بمدارك التنزيل وحقائق التأويل: أبو البركات عبد الله بن أحمد محمود النسفي: تح: سيد زكريا، دط، مكتبة نزار مصطفى الباز، مصر، دت.
82. تفسير غريب القرآن المجيد: أبو الحسين زيد بن علي بن الحسين بن علي ابن أبي طالب العلوي الهاشمي القريشي، تح: محمد يوسف الدين، ط1، حيدر آباد الهند، 1422هـ-2001م.
83. التفسير والمفسرون: محمد حسين الذهبي، ط2، دار الكتب الحديثة، القاهرة، مصر، 1396هـ-1976م.
84. التفكير البلاغي عند العرب أسسه وتطوره إلى القرن السادس (مشروع قراءة): حمادي صمود، دط، منشورات الجامعة التونسية، تونس، 1981م.
85. التقدير والتأخير في القرآن الكريم بلاغة وإبلاغ: خلدون سعيد صبح، ط1، دار الينابيع، طباعة ونشر وتوزيع، دمشق، سوريا، 2002م.
86. التقديم والتأخير ومباحث التراكيب بين البلاغة والأسلوبية: مختار عطية، دط، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، مصر، 2005م.
87. التناسب البياني في القرآن: دراسة في النظم المعنوي والصوتي: أحمد أبو زيد، دط، مطبعة النجاح الجديد، الدار البيضاء، المغرب، 1992م.
88. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تح: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، 1423هـ-2002م.
89. جامع البيان عن تأويل آي القرآن: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب أبو جعفر الطبري، تح: عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط1، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، القاهرة، مصر، 1422هـ-2001م.
90. الجامع في أسباب النزول: حسن عبد المنعم شليبي، ط1، مؤسسة الرسالة، ناشرون، بيروت، لبنان، 1431هـ-2010م.
91. الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة وآي الفرقان: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي: تح: عبد الله بن عبد المحسن التركي وآخرون، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، 1427هـ-2006م.

92. جماليات الإشارة النفسية في الخطاب القرآني: صالح ملا عزيز، ط1، دار الزمان: للطباعة والنشر، دمشق، سوريا، 2010م.
93. جماليات المفردة القرآنية: أحمد ياسوف، تقديم: نور الدين عتو، ط2، دار المكتبي للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، سوريا، 1419هـ-1999م.
94. الجمل: أبو بكر عبد القاهر عبد الرحمان بن محمد الجرجاني: تح: علي حيدر، دط، مجمع اللغة العربية، دمشق، سوريا: 1392هـ-1972م.
95. الجملة الاسمية: علي أبو المكارم، ط1، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، 1428هـ-2007م.
96. الجملة العربية والمعنى: فاضل صالح السامرائي، ط1، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، 1421هـ-2000م.
97. الجملة الفعلية: علي أبو المكارم، ط1، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، 1428هـ-2007م.
98. الجملة النحوية نشأة وتطورا وإعرابًا: فتحي عبد الفتاح الدجني، ط2، مكتبة الفلاح، الكويت، 1408هـ-1987م.
99. الجنى الداني في حروف المعاني: الحسن بن قاسم المرادي، تح: فخر الدين قباوة ومحمد نديم فاضل، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1413هـ-1992م.
100. حاشية الصبان: شرح الأشموني على ألفية ابن مالك ومعه شرح الشواهد للعيني، تح: طه عبد الرؤوف سعد، دط، المكتبة التوفيقية، مصر، دت.
101. الحجية في القراءات السبع: ابن خالويه، تح: عبد العال سالم مكرم، ط3، دار الشروق، القاهرة، مصر، 1399هـ-1979م.
102. الحذف البلاغي في القرآن الكريم: مصطفى عبد السلام أبو شادي، دط، مكتبة القرآن للطبع والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، دت.
103. الحذف التركيبي وعلاقته بالنظم والدلالة بين النظرية والتطبيق: فايز صبحي عبد السلام تركي، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2011م.
104. الحذف بين النحويين والبلاغيين: دراسة تطبيقية: حيدر حسين عبيد، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1434هـ-2013م.

105. حروف المعاني: أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجي، تح: علي توفيق الحمد، ط2، دار الأمل، إربد، الأردن، 1406هـ-1986م.
106. الحيوان: أبو عثمان عمر بن بحر الجاحظ: تح: عبد السلام هارون، ط2، مصطفى الباي الحلبي وأولاده، مصر، 1384هـ-1965م.
107. خصائص التراكيب: دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني: محمد محمد أبو موسى، ط4، مكتبة وهبة، القاهرة، مصر، 1416هـ-1996م.
108. الخصائص: أبو الفتح عثمان بن جني، تح: محمد علي النجار، دط، دار الكتب المصرية، مصر، دت.
109. الخطاب القرآني: دراسة في العلاقة بين النص والسياق "مثل من سورة البقرة" خلود العموش، ط1، جدارا للكتاب العالمي وعالم الكتب الحديث، الأردن، 1429هـ-2008م.
110. الخطيئة والتكفير: من البنيوية إلى التشرحية (مقدمة نظرية: دراسة تطبيقية): عبد الله محمد الغدامي، ط3، دار سعاد الصباح، الكويت، القاهرة، 1993م.
111. الدر المصون في علوم الكتاب المكنون: أحمد يوسف المعروف بالسمين الحلبي، تح: أحمد محمد الخراط، دط، دار القلم، دمشق، سوريا، دت.
112. دراسات قرآنية: محمد قطب، ط4، دار الشروق، القاهرة، مصر، 1403هـ-1983م.
113. دراسات لغوية تطبيقية في العلاقة بين البنية والدلالة: سعيد حسن بجيري، ط1، مكتبة الآداب، 1426هـ-2005م.
114. دراسة بلاغية في السجع والفاصلة القرآنية: عبد الجواد محمد طبقة، ط1، دار الأرقم للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، 1413هـ-1993م.
115. درة التنزيل وغرة التأويل: أبو عبد الله محمد بن عبد الله الأصفهاني المعروف بالخطيب الاسكافي، تح: محمد مصطفى آسيدين، ط1، جامعة أم القرى، معهد البحوث العلمية، المملكة العربية السعودية، 1428هـ-2001م.
116. دلالات التقديم والتأخير في القرآن الكريم: دراسة تحليلية: منير محمود علي المسير، تقديم: عبد العظيم المطفي وعلي جمعة، ط1، مكتبة وهبة، القاهرة، مصر، 1426هـ-2005م.
117. الدلالة الزمنية في الجملة العربية: علي جابر المنصوري، ط2، الدار العلمية الدولية، ودار الثقافة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2002م.

118. دلالة السياق القرآني وأثرها في التفسير: دراسة نظرية تطبيقية من خلال تفسير ابن جرير: عبد الحكيم بن عبد الله القاسم، ط1، الدار التدمرية، المملكة العربية السعودية، 1433هـ-2012م.
119. دلالة السياق في القصص القرآني: محمد عبد الله سيف العبيدي، وزارة الثقافة والسياحة، صنعاء، اليمن، 1425هـ-2004م.
120. دلالة السياق: ردة الله بن ردة بن ضيف الله الطلحي، ط1، مكتبة فهد، مكة المكرمة، المملكة العربية السعودية، 1424هـ.
121. الدلالة السياقية لاقتران أسماء الله الحسنى في خواتيم الآيات القرآنية: هانم محمد حجازي الشامي، ط1، مكتبة الأداب، القاهرة، مصر، 2013م.
122. دور الحرف في أداء معنى الجملة: الصادق خليفة راشد، دط، دار الكتب الوطنية، بنغازي، ليبيا، 1996م.
123. دور الكلمة في اللغة العربية، ستيفن أولمان، تر: كمال بشر، ط12، دار غريب، القاهرة، مصر، 1997م.
124. ديوان الأدب: أبو إبراهيم إسحاق بن إبراهيم الفارابي، تح: أحمد مختار عمر، مراجعة: إبراهيم أنيس، دط، مجمع اللغة العربية، دمشق، سوريا، 2003م.
125. ديوان امرؤ القيس: شرح: عبد الرحمن المصطفاوي، ط2، دار المعرفة، بيروت، لبنان، 1425هـ-2004م.
126. ديوان ذو الرمة: شرح: أحمد حسن، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1415هـ-1987م.
127. ديوان لبيد بن ربيعة: اعتنى به: حمدو طماس، ط1، دار المعرفة، بيروت، لبنان، 1425هـ-2004م.
128. رسالة أسباب حدوث الحروف: أبو علي الحسين بن عبد الله بن سينا، تح: محمد حسان الطيان ويحيى ميرعلم، دط، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، سوريا، دت.
129. رصف المباني في شرح حروف المعاني: أحمد بن عبد النور المالقي، تح: أحمد محمد الخراط، دط، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، سوريا، دت.
130. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: أبو الفضل شهاب الدين محمود الألوسي، دط، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، دت.
131. زاد المسير في علم التفسير: أبو الفرج جمال الدين عبد الرحمن علي بن محمد الجوزي القرشي البغدادي، ط3، المكتب الإسلامي، بيروت، دمشق، 1404هـ-1984م.

132. الزمن واللغة: مالك يوسف المطلبي، دط، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1986م.
133. الزيادة والإحسان في علوم القرآن: ابن عقيلة المكي، ط1، مركز البحوث والدراسات، جامعة الشارقة، الإمارات العربية المتحدة، 1427هـ-2006م.
134. سر الفصاحة: أبو محمد عبد الله بن محمد بن سعيد بن سنان الخفاجي، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1402هـ-1982م.
135. سر صناعة الإعراب: أبو الفتح عثمان بن جني: تح: حسن هندراوي، ط2، دار القلم، دمشق، سوريا، 1413هـ-1993م.
136. السياق اللغوي ودراسة الزمن في اللغة العربية: محمد رجب الوزير، ط1، عالم الكتب، القاهرة، مصر، 2015م.
137. شرح الرضي على الكافية: رضي الدين الاستراباذي، تعليق: يوسف حسن عمر، ط2، منشورات جامعة قازبوس بنغازي، ليبيا، 1986م.
138. شرح المفصل: موفق الدين بن يعيش النحوي، دط، إدارة الطباعة المنيرية، مصر، دت.
139. شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب: أبو محمد عبد الله جمال الدين ابن هشام الأنصاري، دط، دار الطلائع للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، دت.
140. صبح الأعشى: أبو العباس أحمد القلقشندي، دط، المطبعة الأميرية، القاهرة، مصر، 1331هـ-1913م.
141. صحيح المنقولات في أسباب نزول السور والآيات: فخر الدين بن الزبير علي المحسي، ط1، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، 1428هـ-2007م.
142. صحيح مسلم: أبو الحسن مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، اعتنى به: أبو صهيب الكرمي، دط، بيت الأفكار الدولية الرياض، المملكة العربية السعودية، 1419هـ-1998م.
143. الصناعتين الكتابة والشعر: أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري، تح: علي محمد البجاوي، محمد أبو الفضل إبراهيم، ط1، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، مصر، 1371هـ-1952م.
144. الضوء المنير على التفسير: علي الحمد محمد الصالح: جمعه من كتب ابن قيم الجوزية، دط، مؤسسة النور للطباعة والتجليد، الرياض، المملكة العربية السعودية، دت.
145. الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز: يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم العلوي، دط، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، دت.

146. ظاهرة الحذف في الدرس اللغوي: طاهر سليمان حمودة، دط، الدار الجامعية للطباعة والنشر والتوزيع، الإسكندرية، مصر، 1998م.
147. علاقة الظواهر النحوية بالمعنى في القرآن الكريم: محمد أحمد خضير، دط، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، مصر، 2001م.
148. علامات الترقيم في اللغة العربية: فخر الدين قباوة، ط1، دار الملتقى للطباعة والنشر والتوزيع، حلب، سوريا، 1428هـ-2007م.
149. علم الصوتيات: عبد العزيز أحمد علام، عبد الله ربيع محمود، دط، مكتبة الرشد، الرياض، المملكة العربية السعودية، 1430هـ-2009م.
150. علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق: دراسة تطبيقية على السور المكية: صبحي إبراهيم الفقي، ط1، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، 2000م.
151. علم لغة النص النظرية والتطبيق: عزة شبل محمد، تقديم: سليمان العطار، ط2، مكتبة الآداب، القاهرة، مصر، 1430هـ-2009م.
152. علوم القرآن: نور الدين عتر، ط1، دار البصائر، القاهرة، مصر، 1433هـ-2012م.
153. عمدة التفسير عن الحافظ ابن كثير، مختصر تفسير القرآن العظيم، تح: أحمد شاكر، إعداد: أنور الباز، ط2، دار الوفاء، المنصورة، مصر، 1426هـ-2005م.
154. العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده: أبو الحسن ابن رشيق القيرواني، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، ط5، دار الجيل، بيروت، لبنان، 1401هـ-1981م.
155. فتح القدير: الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير: محمد بن علي بن محمد الشوكاني: اعتنى به وراجع: يوسف الغوش، دار المعرفة، بيروت، لبنان، 1428هـ-2007م.
156. الفروق اللغوية: أبو هلال العسكري، تح: محمد إبراهيم سليم، دط، دار العلم والثقافة، القاهرة، مصر، دت.
157. فعالية القراءة وإشكالية تحديد المعنى في النص القرآني: محمد بن أحمد جهلان: تقديم: محمد بن موسى بابا عمي، ط1، درا صفحات للدراسات والنشر، دمشق، سوريا، 2008م.
158. فقه اللغة: دراسة تحليلية مقارنة للكلمة العربية: محمد المبارك، دط، مطبعة جامعة دمشق، سوريا، 1379هـ-1960م.

159. فهم القرآن الحكيم: التفسير الواضح حسب ترتيب النزول: محمد عابد الجابري، ط3، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، تموز/ يوليو، 2009م.
160. فواصل الآيات القرآنية: كمال الدين عبد الغني المرسي، ط1، المكتب الجامعي الحديث الإسكندرية، مصر، 1420هـ-1999م.
161. الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان: شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر ابن أيوب المعروف بابن قيم الجوزية، تح: جماعة من العلماء بإشراف الناشر، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1407هـ-1988م.
162. في البلاغة العربية والأسلوبيات اللسانية، آفاق جديدة: سعد عبد العزيز مصلوح، ط2، عالم الكتب، القاهرة، مصر، 2010م.
163. في النحو العربي نقد وتوجيه: مهدي المخزومي، ط2، دار الرائد العربي، بيروت، لبنان، 1406هـ-1986م.
164. في ظلال القرآن: سيد قطب: ط7 مزينة ومنقحة، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، 1391هـ-1971م.
165. في علم دلالة النص: نظرات في قصيدة الحذف بين مظاهر الإعجاز القرآني ومناهج التحليل اللغوي: محمد جعفر العارضي، ط1، تمور للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، سوريا، 2012م.
166. القصص القرآني: عرض وقائع وتحليل أحداث: صلاح الخالدي، دار القلم، دمشق، سوريا، الدار الشامية، بيروت، لبنان، 1419هـ-1998م.
167. قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية: بنية الخطاب من الجملة إلى النص: أحمد المتوكل، دط، دار الأمان للنشر والتوزيع، الرباط، المغرب، دت.
168. قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية: بنية المكونات أو التمثيل الصرفي-التركيب: أحمد المتوكل، دط، دار الأمان للنشر والتوزيع، الرباط، المغرب، دت.
169. قضايا اللغة في كتب التفسير: المنهج-التأويل-الإعجاز: الهادي الجطلاوي، ط1، كلية الآداب سوسة، دار محمد علي الحامي، صفاقس، تونس، ديسمبر 1998م.
170. قواعد تحويلية للغة العربية: محمد علي الخولي، دط، دار الفلاح للنشر والتوزيع، الأردن، 1999م.
171. الكافي في العروض والقوافي: الخطيب التبريزي، تح: الحساني حسن عبد الله، ط3، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، 1415هـ-1994م.

172. الكتاب: أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر سيبويه، تح: عبد السلام محمد هارون، ط3، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، 1408هـ-1988م.
173. الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري، تح: عادل أحمد عبد الموجود، علي محمد معوض، ط1، مكتبة العبيكان: الرياض، المملكة العربية السعودية: 1418هـ-1998م.
174. كشف المعاني في المتشابه من المثاني: بدر الدين بن جماعة: تح: عبد الجواد خلف، ط1، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، المنصورة، باكستان، 1410هـ-1990م.
175. الكليات: معجم في المصطلحات والفروق اللغوية: أبو البقاء أيوب بن موسى الحُسَني الكفوي، تح: عدنان درويش ومحمد المصري، ط2، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، 1419هـ-1998م.
176. كيف تكتب بحثاً أو رسالة: أحمد شلبي، ط6، مكتبة النهضة المصرية، مصر، 1968م.
177. كيف نتعامل مع القرآن العظيم: يوسف القرضاوي، ط2، دار الشروق، القاهرة، مصر، 1420هـ-2000م.
178. لباب النقول في أسباب النزول: جلال الدين السيوطي، تح: محمد محمد تامر، ط2، مكتبة الباز، المملكة العربية السعودية، 1425هـ-2004م.
179. اللباب في علوم الكتاب: أبو حفص عمر بن علي ابن عادل الدمشقي الحنبلي، تح: عادل أحمد عبد الموجود، علي محمد معوض، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1419هـ-1998م.
180. لسانيات النص: مدخل إلى انسجام الخطاب: محمد خطابي، ط2، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، 2006م.
181. لطائف المنان وروائع البيان في نفي الزيادة والحذف في القرآن: دراسة بيانية لإعجاز القرآن الكريم ونظمه وأسلوبه: فضل حسن عباس، ط1، دار النفائس، عمان، الأردن، 1430هـ-2010م.
182. اللغة العربية معناها ومبناها: تمام حسان، دار الثقافة، دط، الدار البيضاء، المغرب، 1994م.
183. اللمع في العربية: أبو الفتح عثمان بن جني، تح: سميح أبو مُغلي، دط، دار مجدلاوي، للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 1988م.
184. مباحث في علوم القرآن: صبحي الصالح، دط، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، أغسطس (آب)، 1977م.
185. مباحث في علوم القرآن: مناع القطان، ط7، مكتبة وهبة، القاهرة، مصر، دت.

186. مبادئ في اللسانيات: حولة طالب إبراهيمي، ط2، دار القصبية للنشر، الجزائر. 2006م.
187. المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر: ضياء الدين نصر الدين بن محمد ابن الأثير، تح: أحمد حوفي، بدوي طبانة، ط2، دار الرفاعي، الرياض، المملكة العربية السعودية، 1983م.
188. مجاز القرآن: أبو عبيدة معمر بن المثنى التيمي، تعليق: محمد فؤاد سركين، د.ط، مكتبة الخانجي، مصر، 1374م-1954م.
189. مجالس ثعلب: أبو العباس أحمد بن يحيى ثعلب، تح: عبد السلام محمد هارون، دط، دار المعارف، مصر، دت.
190. المحتسب في تعيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها: أبو الفتح عثمان بن جني، تح: علي النجدي ناصف عبد الحليم النجار، عبد الفتاح إسماعيل شلي، د ط، القاهرة، مصر، 1415هـ-1994م.
191. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي، تح: عبد السلام الشافعي محمد، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1422هـ-2001م.
192. المزهر في علوم اللغة وأنواعها: عبد الرحمن جلال الدين السيوطي، شرح وضبط: محمد أحمد جاد المولى بك، علي محمد البجاوي، محمد أبو الفضل إبراهيم، ط3، دار التراث، القاهرة، مصر، دت.
193. مشكل إعراب القرآن: مكّي بن أبي طالب القيسي، تح: ياسين محمد السواس، ط2، دار المأمون للتراث، دمشق، سوريا، دت،
194. مشاهد القيامة في القرآن: سيد قطب، ط14، دار الشروق، القاهرة، مصر، 1423هـ-2002م.
195. معاني الحروف: أبو الحسن علي بن عيسى الروماني، تح: عبد الفتاح إسماعيل شلي، ط2، دار الشروق للنشر والتوزيع والطباعة: جدة، المملكة العربية السعودية، 1401هـ-1981م.
196. معاني القرآن: أبو الحسن سعيد بن مسعدة الأحفش الأوسط: تح: هدى محمود قراة، ط1، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، 1411هـ-1990م.
197. معاني القرآن: أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء، ط3، عالم الكتب، بيروت، لبنان، 1403هـ-1983م.
198. المعايير النصية في القرآن الكريم: أحمد محمد عبد الراضي، ط1، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، مصر، 1432هـ-2013م.
199. معترك الأقران في إعجاز القرآن: جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، تح: علي محمد البجاوي، دط، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، 1970م.

200. مغني اللبيب عن كتب الأعراب: ابن هشام الأنصاري: تح: عبد اللطيف محمد الخطيب، ط1، الكويت، 1421هـ-2000م.
201. مفتاح العلوم: أبو يعقوب يوسف بن أبي السكاكي، ضبط: نعيم زرزور، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1407هـ-1987م.
202. المفردات في غريب القرآن: أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني: تح: نزار مصطفى الباز، دط، مكتبة نزار مصطفى الباز، مصر، دت.
203. مفهوم النص: دراسة في علوم القرآن: نصر حامد أبو زيد، ط7، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، 2008م.
204. المقتضب: أبو العباس محمد بن يزيد المبرد، تح: محمد عبد الخالق عزيمة، دط، لجنة إحياء التراث الإسلامي، مصر، 1386هـ.
205. مقدمة في التفسير (ضمن الفتاوى): أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، تح: حسنين محمد مخلوف، ط1، دار المعرفة، بيروت، لبنان، 1386هـ.
206. ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ في آي التنزيل: أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي الغرناطي، تح: سعيد الفلاح، دط، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1403هـ-1983م.
207. من أسرار اللغة العربية: إبراهيم أنيس، ط6، مكتبة الأنجلو المصرية، مصر، 1978م.
208. من الإعجاز اللغوي في القرآن: دراسة لغوية أسلوبية في مناسبة اللفظ لسياق الحال: مصطفى شعبان المصري، تقديم: عبده الراجحي، ط1، المكتب الجامعي الحديث، مصر، دت.
209. من بلاغة القرآن: أحمد أحمد بدوي، دط، نهضة مصر للطباعة والنشر، مصر دت.
210. من بلاغة القرآن الكريم في سورة يوسف: فتحي عبد القادر فريد، ط1، مكتبة النهضة المصرية، مصر، 1405هـ-1983م.
211. من جماليات التصوير في القرآن الكريم: محمد قطب عبد العال، دط، طبع بمطابع رابطة العالم الإسلامي، مكة المكرمة، ربيع الأول، 1415هـ.
212. مناهل العرفان في علوم القرآن: محمد عبد العظيم الزرقاني: تح: فواز أحمد زمولي، ط1، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، 1415هـ-1995م.

213. منهاج البلغاء وسراج الأدباء: أبو الحسن حازم القرطاجني، تقديم وتحقيق: محمد الحبيب ابن الخوجة، ط3، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1986م.
214. منهج السياق في فهم النص: عبد الرحمن بودرع، دط، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، 2006م.
215. الموافقات: أبو إسحاق إبراهيم بن موسى بن محمد اللحمي الشاطبي، ضبط وتعليق: أبو عبيد مشهور بن حسن آل سمان، ط1، دار ابن عفان، المملكة العربية السعودية، 1997م.
216. النبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن: محمد عبد الله دراز، دط، دار الثقافة الدوحة، قطر، 1405هـ-1985م.
217. نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي: أحمد عفيفي، ط1، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، مصر، 2001م.
218. نحو النص: اتجاه جديد في دراسة النصوص اللغوية: عادل مناع، ط1، العربية للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، 2011م.
219. النداء في اللغة والقرآن: أحمد محمد فارس، ط1، دار الفكر اللبناني، لبنان، 1409هـ-1989م.
220. النص الديني في الإسلام من التفسير إلى التلقي: وجيه قانصو، دار الفارابي، ط1، بيروت، لبنان، 2011م.
221. النص القرآني من تهافت القراءة إلى أفق التدبير: مدخل إلى نقد القراءات وتأصيل علم التدبر القرآني: قطب الريسوني، ط1، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، 1431هـ-2010م.
222. النص والخطاب: قراءة في علوم القرآن: محمد عبد الباسط عيد: تقديم: صلاح رزق، ط1، مكتبة الآداب، القاهرة، مصر، 1430هـ-2009م.
223. نظرية السياق بين القدماء والمحدثين: دراسة لغوية نحوية دلالية: عبد النعيم خليل، ط1، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، مصر، 2007م.
224. نظرية السياق: دراسة أصولية: نجم الدين قادر كريم الزنكي، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1427هـ-2006م.
225. نظرية السياق: دراسة تأصيلية دلالية نقدية: المثني عبد الفتاح محمود، ط1، دار وائل للنشر، عمان، الأردن، 1429هـ-2008م.

226. نظرية علم النص، رؤية منهجية في بناء النص النثري: حسام أحمد فرج، تقديم: سليمان العطار، ومحمود فهمي حجازي، ط2، مكتبة الآداب، القاهرة، مصر، 1430هـ-2009م.
227. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: برهان الدين أبو الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي، دط، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، مصر، دت.
228. نقد الشعر: أبي الفرج قدامة بن جعفر، تح: كمال مصطفى، ط3، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، 1398هـ-1978م.
229. النكت في إعجاز القرآن ضمن كتاب: ثلاث رسائل في إعجاز القرآن: الروماني والخطابي وعبد القاهر الجرجاني، تح: محمد خلف أحمد، محمد زغلول سلام، ط3، دار المعارف، مصر، دت.
230. همع الهوامع في شرح جمع الجوامع: جلال الدين السيوطي، تح: عبد العالم سالم مكرم، دط، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1413هـ-1992م.
231. الوافي بالوفيات: صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي، تح: أحمد الأرنؤوط، تركي مصطفى، ط1، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، 1420هـ-2000م.
232. الوساطة بين المتنبي وخصومه: علي بن عبد العزيز الجرجاني، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، علي محمد البجاوي، ط1، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، لبنان، 1427هـ-2006م.
233. وظائف السياق في التفسير القرآني: عقيد خالد العزاوي، محمد شاکر الكبيسي، ط1، دار العصماء، دمشق، سوريا، 1436هـ-2015م.

2- المعاجم والقواميس:

234. أساس البلاغة: أبو القاسم جار الله محمود بن عمر بن أحمد الزخشري، تح: محمد باسل عيون السود، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1419هـ-1998م.
235. تاج العروس من جواهر القاموس: محمد مرتضى الحسيني الزبيدي، تح: مصطفى حجازي، دط، الكويت، 1409هـ-1989م.
236. تهذيب اللغة: أبو منصور محمد بن أحمد الأزهرى، تح: محمد علي النجار، د ط، الدار المصرية للتأليف والترجمة، مصر، 1384هـ-1964م.
237. المحخص: أبو الحسن علي بن إسماعيل المعروف بابن سيده، تح: لجنة إحياء التراث العربي في دار الأفاق الجديدة، دط، بيروت، لبنان، دت.

238. دائرة معارف القرن العشرين: محمد فريد وجددين، دط، دار الفكر، بيروت، لبنان، 1979م.
239. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: إسماعيل بن حماد الجوهري، تح: أحمد عبد الغفار عطار، ط2، دار العلم للملايين، لبنان، 1399هـ-1979م.
240. القاموس المحيط: مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز أبادي الشيرازي، ط3، المطبعة الأميرية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1301هـ.
241. لسان العرب: ابن منظور، تح: عبد الله علي الكبير وآخرون، دط، دار المعارف، القاهرة، مصر، دت.
242. المصباح المنير: معجم عربي - عربي: أحمد بن محمد بن علي الفيومي، د.ط، مكتبة لبنان، بيروت، لبنان، 1987م.
243. معجم ألفاظ القرآن الكريم: مجمع اللغة العربية، طبعة منقحة، جمهورية مصر العربية، 1410هـ-1990م.
244. المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية والفرنسية والإنجليزية واللاتينية: جميل صليبا، دط، الشركة العالمية للكتاب، بيروت، لبنان، 1994م.
245. المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم: محمد فؤاد عبد الباقي، دط، دار الكتب المصرية، القاهرة، مصر، 1364هـ.
246. معجم مقاييس اللغة: أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكرياء، تح: عبد السلام محمد هارون، ط3، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، 1402هـ-1981م.

3- المجالات:

247. أثر السياق في فهم النص: عبد الرحمن بودرع، مجلة الإحياء المغربية، العدد 25، جمادى الثانية، 1428هـ-2007م.
248. الالتفات في القرآن الكريم: الهيشري الشاذلي، حوليات الجامعة التونسية، جامعة تونس، العدد 32، 1991م.
249. فن الالتفات في مباحث البلاغيين: جليل رشيد فالخ، مجلة آداب المستنصرية، العدد 09، 1404هـ-1984م.

4- الرسائل الجامعية:

250. دراسة وظيفية لأسلوب التوكيد في القرآن الكريم، عائشة عبيزة، (رسالة دكتوراه)، جامعة الحاج لخضر، باتنة، الجزائر، 2008م-2009م.

رابعاً- فهرس الموضوعات:

أ	مقدمة
01	المدخل: المصطلحات الموجهة لمضامين البحث
		الفصل الأول: أثر دلالة السياق في التركيب.
30	المبحث الأول: أثر دلالة السياق في التقديم والتأخير
31	تمهيد
36	أولاً: ما قدم في آيةٍ وأُخِرَ في أُخْرَى
46	ثانياً: علاقة التقديم والتأخير بالتكرار
52	ثالثاً: أثر التقديم والتأخير في التصوير
56	المبحث الثاني: أثر الحذف في دلالة السياق
57	تمهيد
62	أولاً: حذف المفرد
62	1- حذف الحرف
71	2- حذف الاسم
71	1-2- حذف المبتدأ
73	2-2- حذف المفعول به
76	ثانياً: حذف الجمل
76	1- حذف الجملة
79	2- حذف الجمل
84	المبحث الثالث: أثر دلالة السياق في تعيين نوع الجمل

الفصل الثاني: اتساع دلالة السياق في الخطاب القرآني

98	المبحث الأول: تنوع الصيغ في الخطاب القرآني وعلاقته بالسياق.....
99	تمهيد.....
101	أولاً: صيغ المبالغة.....
107	ثانياً: إثثار المفرد على الجمع.....
109	ثالثاً: صيغ الأفعال.....
109	1- تنوع زمن الفعل بحسب السياق.....
109	1-1: إثثار صيغة المضارع على صيغة الماضي.....
113	1-2: إثثار صيغة الماضي على صيغة المضارع.....
116	1-3: إثثار صيغة المضارع على صيغة الأمر.....
117	2- اختلاف صيغ الأفعال في الآية الواحدة.....
121	3- إثثار فعل على فعل بحسب السياق.....
126	المبحث الثاني: أثر دلالة السياق في إظهار تناسب الآيات وترابطها.....
127	تمهيد.....
140	أولاً: تناسب كلمات الآية الواحدة.....
146	ثانياً: تناسب الجمل مع سياق المشهد في السورة.....
148	ثالثاً: التعقيبات القرآنية وأثرها في بيان المناسبة.....
155	المبحث الثالث: المناسبة الصوتية لسياق الكلام وأثرها في بيان المعنى.....
156	أولاً: الأصوات.....
165	ثانياً: الفاصلة القرآنية.....
170	1- مشكلات الفواصل.....
172	2- اتفاق الفواصل مع اختلاف الموضوع.....

173	3- إتحد الموضوع واختلاف الفواصل.....
175	4- حرف الروي.....
179	5- الظواهر البلاغية الأسلوبية في الفواصل القرآنية.....
179	أولاً: أسلوب الاستفهام.....
186	ثانياً: أسلوب التوكيد.....
الفصل الثالث: الالتفات في الخطاب القرآني وعلاقته بالسياق.	
194	تمهيد.....
199	المبحث الأول: التفات الغيبة و الخطاب.....
200	أولاً- الالتفات من الغيبة إلى الخطاب.....
207	ثانياً- الالتفات من الخطاب إلى الغيبة.....
218	المبحث الثاني : التفات الغيبة و التكلم.....
219	أولاً- الالتفات من الغيبة إلى التكلم.....
238	ثانياً- الالتفات من التكلم إلى الغيبة.....
253	المبحث الثالث : التفات الخطاب و التكلم.....
254	أولاً- الالتفات من التكلم إلى الخطاب.....
259	ثانياً- الالتفات من الخطاب إلى التكلم.....
264	الخاتمة.....

الفهارس

269	فهرس الآيات القرآنية.....
287	فهرس الآيات الشعرية.....
288	قائمة المصادر والمراجع.....
307	فهرس الموضوعات.....

ملخص :

تناولت هذا الدراسة دلالة الخطاب القرآني في السّور المكية في الربع الثاني من القرآن الكريم، وذلك بمراعاة أحوال المخاطبين، وموضوع الخطاب، ومكان النزول وزمانه وأسبابه، وكل ما يحيط بالنص من ظروف وملابسات.

وللكشف عن هذه العناصر توضع الآية في سياقها القرآني، لما يحمله من قرائن ودلائل تعين على فهم النص، سواء أكانت قرائن داخلية خاصة بالسياق اللغوي أو ما يسمى بالسياق الداخلي، أم قرائن خارجية لها علاقة بالظروف المكانية والزمانية أو الثقافية أو الاجتماعية المحيطة بالآية أو مجموع آيات، وهو ما يُطلق عليه السياق الخارجي.

وقد استعنت بمجموعة من المستويات النحوية: كالتقديم والتأخير والحذف والتكرار و مختلف الصيغ الصرفية، التي كشفت عن مجموعة من الحقائق والتي من أهمها التناسب بين السياق اللغوي وأسباب النزول، إذ تساهم هذه الأخيرة في معرفة ظروف النص وملابساته وارتباطه بالواقعة التي نزل فيها، ليتبين لنا من خلال ذلك أن النص القرآني موافق لمقتضيات الأحوال.

كما بيّنت الدراسة أن الخطاب القرآني لا يمكن أن تُسبر أغواره أو تنكشف خباياه على الوجه الأمثل إلا بمراعاة المناسبة، والعلاقة بين آياته وسوره، ولا يتأتى هذا إلا بالإحاطة بأسباب النزول والسياق اللغوي في أن واحد.

وقد رصد البحث ستة أنواع للالتفات في السور المدروسة، بمجموع 168 آية، و النوع الأكثر وروداً هو الالتفات من الغيبة إلى التكلم، ثم الالتفات من التكلم إلى الغيبة، وفي هذا تعظيم لشأن المتكلم أو المخاطب، كما أثبت الالتفات بلاغة القرآن الكريم وإعجازه البياني.

Summary :

The present study investigates the meaning of Qur'anic discourse from the second quarter of Macciya's chapters (surahs) in the Holy Quran by taking into account the status of the addressees and the topic of the discourse and the place, the time, and the causes of its –Qur'anic Discourse-revelation and the existing conditions and circumstances surrounding the text.

In order to identify the already mentioned elements, every Qur'anic verse (Ayah) has been put in its context because this latter carries signs that would provide proper understanding of the text, and these signs can be either internal related to the linguistic context, which is also called internal context, or external related to special and temporal or cultural or social circumstances of the surrounding verse or verses, which can be called external context.

In this study, the researcher uses many grammatical processes including movement, deletion, repetition, and other morphological operations that disclose several important facts. Among these in particular is coherence between the *linguistic context* and *the occasions of revelation*. This latter has brought a great contribution in knowing circumstances of every text in connection to the incident of its revelation. This implies that the Qur'anic passages were revealed regarding incidents that occurred.

The study also shows that no one could have access to accurately know and identify facts and indications in the Qur'anic discourse without referring to the knowledge of its occasion and the interrelationship between its verses and chapters. This can be attained only by knowing the reasons of revelations and the linguistic context at the same time.

The research identifies six types of enallage (Iltifat) from the studied chapters, a total of 168 verses. The most commonly used enallage is the switch from the spoken about to the spoken to, and then from the spoken to- to the spoken about. This gives prominence to the speaker or the addressee. Besides,

enallage creates rhetoric and elequancy effects in the Holy Qur'an

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

Résumé

La présente étude analyse le sens du discours coranique à partir de deuxième trimestre des sourates mecquoises dans le Coran en tenant compte du statut du destinataire, le sujet, le contexte, le temps, et les causes de la révélation du discours, ainsi les conditions et les circonstances qui entourent le texte.

Afin d'identifier les éléments déjà mentionnés, chaque ayah (verset) biblique dans son contexte parce qu'il y a des signes qui permettent de comprendre correctement la signification de texte. Ces signes peuvent être soit internes reliées dans le contexte linguistique ce qui est aussi appelé «contexte interne», soit externes reliées aux circonstances temporelles et spatiales ou culturelles ou sociales qui entourent verset ou versets, ce qui est aussi appelé «contexte externe».

Dans cette étude, le chercheur utilise des outils et processus grammaticaux, y compris le mouvement, la suppression, la répétition et d'autres opérations morphologique, et parmi celles-ci la cohérence entre le contexte linguistique et les occasions de révélation. Ce dernier a apporté une grande contribution dans la connaissance des circonstances de chaque texte en relation avec l'incident de sa révélation. Cela implique que les passages coraniques ont été révélés concernant les incidents survenus.

L'étude montre aussi que personne ne pouvait avoir accès à connaître et identifier précisément des faits et des indications dans le discours coranique sans se référer à la connaissance de son occasion et à l'interrelation entre ses versets et ses chapitres. Cela ne peut être atteint qu'en connaissant les raisons des révélations et le contexte linguistique en même temps.

La recherche identifie six types l'enallage (Iltifat) sont étudiées dans les Chapitres, un total de 168 versets. Le plus souvent utilisé enallage est le passage de la parlé à la parlé à, et ensuite de la Parlé à la parole. Cela donne

l'importance au locuteur oule destinataire. En outre, l'enallage crée des effets de rhétorique et d'éloquence dans le Coran.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية